عباس محمود العقاد







نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



مقتبس مِن : يَقَظة الصباح . وَهَج الظهيرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحي الأربعين . هديَّة الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير . . . . ما بعد البَعد .

نظم
عبَّاس محمود العقاد



اسم الكتاب: ديوان من دواوين
اسم المؤلف: عباس محمود العقاد .

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٦

رقم الإيداع: ١٩٩٦/٣٣٠٨ .
الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0406 -7
تصميم الغلاف: م/ محمد العتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٨ - ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ .
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥
ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ .
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦
ص.ب: ٢٠ امبابة

بســــم الله الرحمن الرحيم

بين يدى القراء

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلى من شعرٍ نُظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت فى حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التى لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها فى بعض العهود ، فترددنا بين طبعها فى مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغنى فى تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التى تنوب عن شعر الدواوين جميعا إلى حين ، وتتم أبواب الشعر فى جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب فى عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر فى عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

وأصدق ما يكون ذلك الميزان فى دلالته على القول الأخير فى نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوى الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التى تسوّغ ما ليس بالسائغ فى موازين النقد والتمييز .

وبين يدى هذا المرجع الأمين ، بل هذا الموئل القرير الذى لا نرتضى لكلام نقوله موئلا سواه ، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعًا من قبل ، شاكرين ذاكرين .

عباس محمود العقاد


خواطر وتأملات

النـــور (*)

(. . . إلى أين ينتهى بنا تحليل النور على أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة والمتصوفة ؟ ينتهى بنا إلى أنه « معنى » يشبه المعانى المجردة ، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب) .

النور سر الحياة — النور سر النجاة
النور وحى النُّهى — النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى — النور شوق الفتاة
المحْـــــهُ بالروح لا — لمح العيون الخُواة
ما تبصر العين من — معناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى — لا ما افتراه الهُداة !

* * *

إلى غاندى (*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيا العريضة عاريا — وتقضى بها جوعًا ، وماعزَّ مأكل !
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا — على أى شىء بعد موتك تُقبِل
إذا البؤس والحرمان كان شفاعةً — لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ماندعوه بؤسى غنيمةً — لمن يطلب النعمى فبئس المعوّل

(*) النور : وحى الأربعين .   (*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنتَ فلســفــةً صُــراحًــا ... بلمح العين أقــرأها جــمــيــعــا
أذم العــيش فى ألفَىْ كِــتــابٍ ... وتَعــرض لى فــأمــدحــه ســريعًــا
إذا مــا الفــيلســوف أطال سـخطىً ... على لؤم الحــيــاة فكن شــفــيــعــا
غنيتَ عن الأدلة والأحـــاجى ... ومن حــاجــاك(١) لم يكُ مــسـتطيعــا

* * *

القدر يشكو(*)

صـغـيـرٌ يطلب الكبَـرا ... وشــيـخ ودّ لو صــغـرا
وخـال يشـتـهى عـمـلا ... وذو عـمل به ضـجـرا
ورَب المـال فـى تـعـب ... وفى تعب مَن افـتـقـرا
ويشـقى المرء منهـزمـا ... ولا يرتاح منتــصـــرا
ولا يرضى بلا عَــقِــب ... فإن يُعقبْ ، فلا وزرا(٢)
ويبـغى المجـد فى لهَف ... فــإن يظفــر به فــتـرا
ويخـمـد إن سـلا ، فإذا ... تولّه قلبــــه زفــــرا
فــهل حــاروا مع الأقـدا ... ر أو هم حـيروا القـدرا ؟
شكاةٌ مــالهـــا حَكَمٌ ... سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .
(١) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .
(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .
(٢) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

يارب حـــمـــد لم ينله الذى — قـــد ناله إلا لهـــجـــوى أنا
ورب هجـــوٍ طافَ بى لم يكن — يطوف بى لو لم أكن مـحـسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا مـــا الظلم حـــاق بنا — عـــدل الأناسىّ لا عـــدل الموازين
عـدل الموازين ظلمٌ حين تنصـبـهـا — على المســاواة بين الحـــرّ والدون
مـافـرّقت كـفـة الميـزان أو عـدلت — بين الحلىّ وأحـــجـــار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحـــسب الخـــبـــز لو درى لتـــأبّى — فى يد الجـــائع الفـــقـــيـــر إليـــه
إنما تُسلس الطّلاب جـــمـــيـــعـــا — لامـــرىءٍ هانت الطلاب عليـــه

* * *

شـــطور (*)

دليلٌ على أن الكمـــال مـــحـــرّمٌ — إنـاثٌ خُلقنا بينـهـــا وذكـــور
فـمـا المرء فى جـسم وروح بكامل — ولـكـنَّ كـل العـــَـالمين شـطور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين . ٤٢
(*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣
(*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

الآمـــال (*)

كـانت الآمـال تحـملنى   فـأرانى اليـوم أحـملهـا
إن أحــلامــا تعللنى   غـيـر أحــلام أعللهـا

* * *

يوم ميلادى (*)

يوم مــــيـــــلادى تـقــــدَّمْ   وتـأخَّــــــــــرْ . . . وتـكـلَّـم
لاتـقـل لـى قـــبـل عـــــام   كــــــيـف كـنـا ؟ أنـا أعـلـمْ
لا تـقـل لـى بعــد عــمــرى   كــيـف نُمـــسى ؟ لستَ تعلم
غــــــايـة الأمـــــــــر أظـانِـين ، وبـعـض الـظـن يـأثـم
ســــــوف نمـسى مـــــثـل مـــــا كـنَّـا ، ولـم نـولـد ونُـفـطَـم

إن يكـن ذلـك شــيـــئًــــا   لستُ بعـــــد الموت أعــــدَم
أو يــكـــن لـيـــس بـشـــىءٍ   أتـــرى « لاشـــىء » يـنـــدم ؟
أَيـة الحـــــــالـين قـل لـى   بعـــد طول العـــمـــر أسلم ؟ !
تــظــلـم المــوت إذا قــلـــ   ــت ظـلـومٌ لـيـس يـرحـم
نــحـــن لا بـالمـوت أُعـطـيــ   ــنـا ولا بـالموت نـحـــــرم
من يَعُــدْ يومًــا كـمـــا كـــا   ن فـــــقــــــدتمَّ وتمَّـمْ
صـفـقـة الأعـمـار فـيـهـا   قلّةُ الخــســران مـــغـنـم

(*) الآمال : وحى الأربعين .

(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخــيــر ولا ... أحسب الشر على الناس لزاما
أنا أغنيت يدى عن خــيــرهم ... وأمنت الشـر من حيث ترامى
فليكن من شـاء منهم مَلَكا ... أو يكن جنًّا على الكيد أقاما
كلهم بعـدُ سـواءٌ عند من ... لا يَدين الناس شكرا وانتقاما

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخـذه ... بل فاطلب الحب تُعطِى منه ماتجد
أشقى البـريَّة من لم يَعنه أحـدٌ ... وليس من كـان لا يُعنَى به أحـد

* * *

موضع العجب(*)

لا تعـجبنَّ لعـيب ... واعـجب لفـضل ونبل
نقص الطبـائع أصلٌ ... والفـضل ليس بأًصل

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شىءٌ فكيف أصـبح « لاشىْ ... ءَ » إذا تم للحـيـاة مـداها ؟
أغلب الظن أننى سـوف أرقى ... غـايةً بعـدها تفـوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .

(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .

(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .

(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

موت الحى (*)
أعجب من حياة الميت

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟ فيم متنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجب الحالتين عندىَ حىٌّ سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمان الذرّة (*)

دعوا الذرَّة تطغى فى زمان يعبد الذرّهْ
صغيزٌ كل مافى الأر ض من جاه ومن شُهرهْ
ومن خير ومن شر ومن رأى ومن فِكرة
فلو قيسوا بلا جسم لما ضاقت بهم إبرهْ

* * *

هذا وهذا وهذا (*)

قلت لعمرو : خاننى خالد ! وخاننى عمرو ، فماذا أقول . . ؟
أبلغتها زيدًا فما زادنى عن صاحبيه ، فاختوانى الذهول
ناجيتهم سراً ، وبى خيفةٌ من أناجيه ، ففيه فضول !
ثق من خيانات بنى آدم إذن وقل أنتم ثقات عدول
لاتشكُ هذا ، عند هذا ، ففى هذا ، وهذا ، عنصر لا يحول
كلُّ بنى الدنيا - ومن بينهم أنت - فروع جمّعتها الأصول

* * *

ميثاق الأمم (*)

أجيبوا صيحة الدنيا وهبُّوا ولبُّوا داعى الميثاق ، لبوا
توافقت الشعوب على رجاء فلا ينكلْ عن الميدان شعبُ

(*) موت الحى أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير .
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

ولاتصغوا إلى من قال «دعوى ... يروّج أمرها باغ وخبُّ»
هبوهم خادعين ، فهل رأيتم ... مخادعةً بشىء لا يُحَب ؟
إذا الأقوام جدَّ بها هواها ... إلى حق فما فى الحق صعب
ولو لم تصبُ دنياكم لسلم ... لما خُدعتْ به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد (*)

مهنئى أنت يا صديقي ... بمولدى - طبتَ من صديق
أنسيتنى أنه غروبٌ ... ساعةَ هنَّأتَ بالشروق
تسع وخمسون فى طريق ... لم أدر ما وجهة الطريق
أُسائلُ الركب أين يمضى ؟ ... وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟ ... يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليلٍ ... من محدَث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ ... ألفى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا ... فى مَشرع سار أو مضيق
يطيق طول السِّفار عدوًا ... وليس للمُهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا ... هنا على موقف عميق
فى أبدٍ لا زمان فيه ... مقترنٍ السبق باللحوق
أقرب من يومنا وأوفى ... من طارق الليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو ... كالظل من ستره الرقيق
أتُغْصَب العينُ حول سر ... والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات (*)

ما وجدنا من البرية إلا ... خُلقًا زائفًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ ... رَّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .
(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم (*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها ... تنام إذا طال الصياح على النَّهَمْ
وقهر الفتى آلامَهُ فيه لذةٌ ... وفى طاعة اللذات شىءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة (*)

قالوا الحياة قشور ... قلنا : فأين الصميم
قالوا «شقاء» فقلنا ... نعم ! فأين النعيم ؟
إن الحياة حياة ... ففارقوا أو أقيموا

* * *

المجد والفاقة (*)

ضلَّ الصوابُ وغُمَّ الأمر واشتبهت ... على المراقب يمناه بيسراه
شيبٌ عُراةٌ وأطفالٌ مجوَّعةٌ ... ونسوةٌ نسيت ما ليس تنساه
ليس البلاء بلاء القوت نندبه ... بل البلاء بلاء الخُلق ننعاه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها ... وأنفس الخبز فى مصر وزغلاه
لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها ... إذا الفقير طلابُ القوت أعياه
أيرزح القوت فى أرض بطالبه ... ويبلغ المجدَ فيها من توخاه ؟
هبكم قسوتم على من ذَنبُه كسلٌ ... عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
ما بالُ مَن ذنبه ياقوم أنكم ... فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال آكاما فهل نبتت ... فى باطن الأرض أو زادت خباياه
إن العزيز ليأبى الذل يلمحه ... كالإثم يأبى العفيفُ الذيل رؤياه
والهفَ نفسى على قوم إذا نظروا ... ذل الفقير سعوا فى كشف بلواه
وألف لهفٍ على قوم إذا شغفوا ... بالمال يدرون فى الدنيا مزاياه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سحقاً لهاتيك الوجوه فإنها ... كذّابةٌ لا تحسن التمويها
حسنتْ ولو نقلت صفات نفوسها ... لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

* * *

إلى السعادة (*)

مهْ ياسعادة عنى ... فما أنا من رجالكْ
لا تطمعى اليوم منى ... بالسعى خلف خيالك
فقد سألتك حتى ... مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لمّا ... سحرتنى بجمالك
إن الحبيب بغيضٌ ... إذا استعزَّ بخالك (١)
فلا تمُرِّى ببالى ... ولا أمرُّ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ ... معلقٌ بحبالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسر صديقى أن يرانى مُبرَّءًا ... من اللؤم موسوما بكل سماح
كما سرَّ خصما أن يراك أمامه ... تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للّئيم وجُنةٌ ... من الناس ، والدنيا مجال كفاح
فواهًا لنفسى فى المجال مجرّدًا ... أضعت مِجنى(٢) بينهم ورماحى

* * *

العقل والجنون (*)

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتا سائر فحاذرْ وأمسكْ
أول الخطوتين نسيانك النا ... سَ ، وأما الأخرى فنسيان نفسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(١) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أى أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط فى الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (٢) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

مـــــا للرجـــــاء كـــــأنه نَغمٌ — يدنو فـأســمـعـه فـيـبـتـعـد
يا ضــاحكا للناس يخــدعــهـم — هلاّ وفــــيـت لهم بما تعــــد
لو نال منك الناس أجـمـعـهـم — فــــــوق المرام لأمكـن المدد
لكنْ بخلت فــــمـــا يزال لهم — شــوقٌ إلى شــوق وإن جــهـدوا
وردوا إليـك فكـان أظمـــــأهم — قلـبٌــــا على شطّيك مَن وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ ، فـأمـا حـالهم فـعـبـيـد — وطيــرٌ ، ولكنّ الجـدود قــعــودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم — بعـيـد ، وأقطار السـمـاء بعـيـد !
مجـانينُ تاهوا فى الخيـال فـودعـوا — رواحــة[1] هذا العـيـش وهو رغـيـد
ومـا سـاء حظ الحـالمين لو أنهم — تدوم لهم أحـــلامــهم وتجـــود
فـوارحـمـتـا للظالمين نفوسَـهم — ومـا أنصـفـتـهم صـحـبـة وجـدود
ويذرون من مس العـذاب دموعـهم — فـيُنظم منهـا جـوهر وعـقـود
بنى الأرض كم من شاعر فى دياركم — غـبين ، وغبن الشـاعـرين شـديد
بنى الأرض أولى بالحياة جـمـيلةً — مـحبٌ عليـهـا من حـلاه نضـود
مـحبٌ تناجـيـه بأسـرار قلبـهـا — ومـهـمـا تردْ فى العـيش فـهـو يريد
على أنه قـد يبلغ السـؤالَ خـاطب — خلىٌ ويُزوى عن هواه عـمـيـد
بنى الأرض لاتنضوا له السيف إنه — يُذاد عن الدنيـا وليس يذود
أريدَ به للناس خـيـرٌ فلم يزل — به عَـمـهٌ عن نفسـه وشـرود
تجمّعت الأضداد فيـه فحكمـة — وحـمق ، وقلب ذائبٌ وجـمـود

(*) الرجاء : الجزء الأول .

(*) حظ الشعراء : الجزء الأول .

(١) رواحة : رفاهة .

حُمـاداه[1] صـبـرٌ فى الحـيـاة وإنما هى النار تخـبـو سـاعـة وتعـود
مـقيم على عـرش الطبيعـة حاضـر ولكنه بين الأنام فـقـيـد
إذا جـال بالعـينين فـالكون بيتـه فـإن مـدّ بالكفين فـهـو طريد
وأقـصى مناه فى الحـيـاة نهـاره وأدنى مناه فى الممـات خلود
يرى الغيب عن بعد - فمقبل عهده قـديم ، ومـاضيـه القـديم جـديد
إذا عـاش فى بأسـائه فـهـو ميت وإن مـات عـاش الدهر وهو شـهـيد
شـقـاوته فى الشـعـر وهو هناؤه وليس له عن حـالتـيـه مـحـيـد
جنونٌ أحق الناس طرًّا بهـجـره أولو الفـهم - لو أن الفـهـوم تفـيـد

* * *

عــزاء (*)

لا اليـأس أول يـأسٍ ولا الرجـاء بسـرمـدْ
فـإن تقـضّى رجـاءٌ فـإنه يتـجـدّد
أو حلّ يأسٌ فـأهلاً إن الطريق ممهـد
شـقّ الطريقُ قـديمًا فـالعـود أهدى وأحـمـد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصـفتَ مظلومـا فـأنصف ظالمًا فى ذلة المظلوم عـذر الظالم
من يرضَ عـدوانًا عليـه يَضـيـره شـرٌّ من العـادى عليـه الغـاشم

* * *

(1) حماداه : قصاراه أو خير ما يستطيعه .

(*) عزاء : وحى الأربعين . (*) إنصاف الظالم : وحى الأربعين .

أحلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر
العبقرى عبد الرحمن شكرى) : -

ستغرب شمس هذا العمر يومًا ... ويغمض ناظرى ليل الحمام
فهل يسرى إلى قبرى خيال ... من الدنيا بأنباء الأنام
ويُمسى طيف من أهوى سميرى ... ويؤنس وحشتى ترجيع هام
وأحلم بالزواهر دائرات ... وبالزهر المنوّر والغمام
ألا ليت النيام هناك تحظى ... بأحلام كأحلام النيام
وليت الورد يورق فوق رمسى ... فتعبق فى نوافحه عظامى
وأبسم فى أزاهره لِدُنيا ... عبست لوجهها فوق الرغام

فأجابنى بأبيات يقول منها :

وكان النصف أن نرضى بموت ... فلا طيف يساعد باللمام
أليس الكون أكبر منك شأنًا ... وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبيتَ علىَّ أحلام الرجام ... تنير حواشىَ الموت الزؤام
رضينا بالحمام أصمّ يحشو ... منافذَ حِسِّه سافى الرغام
رضينا بالحمام كما رضينا ... بعيش نوره ظل الحمام
خلعت اسمى على الدنيا ورسمى ... فماأبكى رحيلى أو مقامى
حياتى فى حياة الكون طرًّا ... كقطر الغيث فى اللجج الطوامى
وما شمس الحياة بمستحيل ... سناها إن قضيتُ إلى ظلام
يظل الحسن فى المعشوق حسنًا ... وإن حسرت لحاظ المستهام

***

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شــرٌّ مــايلقى الفــتى أجلٌ ضـــــيقٌ عن واسع الأمل
ولشــــرٌّ منهـــمـــــا أمل ضيق فى فــســحــة الأجل

* * *

الشىء من غير معدنه (*)

لــيس أضنــى لــفـــــؤادى من عـــجـــوز تتـــصـــابى
ودمــــــيم يتـــــحـــــالى وعـلـيـم يتــــغــــــابى
وجـــــــهـــــــول يملأ الأر ض ســــؤالا وجـــــوابا

* * *

خفــ العيش (*)

خفْ العـــــــيش فـــــإن المو ت لا يـفـــــــجـع مـــــــولـودا
وإن المــــوت إذ يــــأتــــيـــــــــ ــك لا يلفـــيك مـــوجـــودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشــقىَّ الذى لا صِنْوَ يشـبــهــه وللأصـــاغـــر أشـبـــاهٌ وأمـــثـــال
من شـــابه الناسَ ســرَّته مــودتهم ومن عـــلا عنهمُ ســـاءت به الحـــال
فـــاهنأ بمجـدك إذ تشــقى بعــزلتــه وليــحظ بالصــفــو أوغــادٌ وجــهـــال
إن السـعــادة تحت الأرض مـعـدنهـا لا يطلب السـعــد من آوته أجـيـــال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول .
(*) الشىء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) خف العيش : الجزء الأول .
(*) السعادة : الجزء الأول .

زمانـــــا (*)

فـشت الجـهـالة واسـتـفـاض المنكر ... فـالحق يهـمـس ، والضـلالة تجـهـر

والصـدق يسـرى فى الظلام ملثّمًا ... ويسـيـر فى الصـبح الرياء فـيـسـفـر

إنا لفى زمـن كـــأنّ كـــبـــاره ... بسـوى الكبـائر شـأنهـا لا يكبـر

من كل ذى وجـه لو آن صَـفـاته ... تَندى لكان من الفـضـيـحـة يقطر

بئس الزمـان لقـدٍ حـسبت هواءه ... دنسًـا وأن بحـــاره لا تـطهـــر

وكـــأن كـل الطيــبـــات يردها ... فـــيــه إلى شـــر الأمـــور مـــدبّر

وثب اللئـام إلى ذراه فـقـهـقـهـوا ... إن القـــرود لبـــالتـــسلق أخـــبـــر

مـــانيلَ فـــيــــه مطلب إلا له ... ثمن من العـرض الوفـيـر مـقـدر

وبقــدر مــابذل امـــرؤ من قــدره ... يُجـزى ، فـأكـبـر من تراه الأصـغـر

* * *

صلاح المشيب (*)

أبعـدَ الشـيـب ترغب فى الصـلاح ... وتـزهـد فـى المدامـــــة والمـلاح

فـرغتَ من الحـيـاة فـأنت ترجـو ... حـيــاةً فى الفـراديس الفـســاح

رجـعـت عن الحـرام وأنت عندى ... عـــجـــزت عن المحـــرّم والمبـــاح

فـمـا تقـوى الشـيـوخ سـوى اضطرار ... كـتــقــوى اللص بات بلا سـلاح

* * *

(*) زمانتا : الجزء الأول . ١١١ (١٠٦ فقرة ٢٦) .

(١) الصفاة هى الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذى لا يندى .

(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

عمر يوم(*)

من الناس فدم يومه مثل أمسه ... فأيامُه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حينًا بالحياة فشانها ... كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام (*)

أنا لا ألوم ولا أُلام ... حسبى من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح ... خللا تـوارثه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا ... م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ ... فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط(*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا ... جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك خاملٌ ... بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا ... ويعرفهم ، من أن يموق ويعلموا

* * *

قانون العظماء(*)

لاتلحَ ذا بأس وذا همة ... على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهمْ ... ولاهمُ مثلك فى المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول .
(*) الملام : الجزء الأول . ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول .
(*) قانون العظماء : الجزء الأول .

والليث لا توثِق أعـــضـــاده ... حـــبـــالة تنصب للثـــعلب
انظر إلى مـــا خلّفـــوا بعـــدهم ... من المعـــالى ثم لُمْ واعـــتب
لـــم يَـــخـــط إن داس رؤس الـــورى ... من علِقت كـــفـــاه بالكوكب
من ركب الهـــائل من أمـــره ... فـــعـــذره فى ذلك المركب

* * *

مدح الناس (*)

مـــا عـــهـــدنا الأنام أجـــودَ بالمد ... ح لأعـــلاهُم لـديهم مكانا
إنما يُظهـــرُ الأنام ضـــئـــيـــلا ... لِيس يخـــفـــيـــهمُ إذا هو بانا

* * *

حب النفس (*)

مـــا فى الأنام ســـوى مـــحب وامق ... سكن الغـــرام بكل قلب خـــافق
فى كل قلب صـــورةٌ مـــعـــبـــودة ... وكـــمينٌ وجـــد بالجـــوانح عـــالق
لا القـــبح ينقـــصـــه وليس بزائد ... حـــسن الشـــمـــائلُ فى هواه الصـــادق
عـــشق تملّك كل نفس حـــيـــة ... فى الكون والمعـــشـــوق عين العـــاشق

* * *

كنت فصرت (*)

كـــأس الحـــيـــاة أعلّينى على ظمـــأ ... وبللى بالحُـــمـــيّـــا طين صلصـــالى
وأسكرينىَ حـــتـــى لا يكون ردى ... إلا كـــمـــا غـــاب حس بعـــد جـــريال(1)
وفـــتـــشى فى زوايا القلب فـــاقـــتـــدحى ... ظنًا بظن وبلبـــالا ببلبـــال
إنى حـــســبت حـــيـــاتى غـــيـــر واحـــدة ... من التـــغـــيـــر من حـــال إلى حـــال
....

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول . (*) حب النفس : الجزء الأول .

(1) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .

(*) كنت فصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت ... ألوانها من مسرات وأوجال
كم ذا أهبت بروحى أن تفارقنى ... ورحت أجفل منها أى إجفال
فالآن أنشد آلامى وأحمدها ... كيما أحس بروحى بين أوصالى

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنَّ غنيًّا فى تنعُّمه ... قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها ... والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبى (*)

ياكتبى أشكو ولا أغضب ... ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتِنى حسرة ... هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبستَ جلدى الضنى ... لم يغن عنى جلدك المذهَب
كم ليلة سوداء قضيتها ... سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى ... جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إمَّا غارق فى الكرى ... أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه ... فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله ... بيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى ... وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى ... وخبرة صاحبها متعب
إذا أرانى النور قبحًا فيا ... حُسن الذى يضمره الغيهب
ياكتبى أين ترى المُنتأى ... عن أسر أرواحك والمهرب
أنقت منى ما يضن الورى ... به على الله ولم يذنبوا!

(*) الغنى والسعادة : الجزء الأول .

(*) ياكتبى : الجزء الأول .

من ضـوء عـينىّ ومن صـحـتى ... سـدًى ومن وقـتى ومـا أكـسب
ومن شـبـاب فـيكِ ضـيـعـتـه ... فـمـا أنا إلا الفـتى الأشـيب
لو كنت كـالجـبـار فى نقـمـتى ... لكان فى النار لـهـا مـعطب
فى ذمـة الطرس وفى حـفظه ... عـمـر تقـضّى شطره الأطيب
لا رحم الرحـمن فـيـمن مـضى ... من علّم العـالم أن يكتـبـوا

* * *

الشيب الباكر (*)

مـا أقبل الليل حتى طرتَ بالقـمَم ... ياصبحُ جرت على الظلماء فى القِسَم
وما انقضى شفق الأيام عن عمُرى ... فكيف لحت بفـجـر منك متّـهم ؟
لو كنت تحـسب أيامى لما خطرت ... يداك ياشـيبُ فى مـسـودّة اللِّمم[1]
دون الثلاثين تعرونى ؟ وما انصرمت ... إلا كـمـا تنقضى الأعوام فى الحلُم ؟
مـرت بقـادمـتىْ نسـر مـوليّـةً ... وكنتُ أعـهـد فـيـهـا ثقلة الرخم
ومـا اعـتـدادك بالأيام تحـسـبـهـا ... وإنما أنت خـدن الويل والألم
إذا ألمّا بإنسـان.صـحـبـتـهـمـا ... فـانزل فـقـد نزلا فى أعظمى ودمى
مـا أنت طارق دار لا رفـيق بهـا ... ولستَ مُـهـرِم قلب ليس بالهـرم
قد شبتُ والشعر مسودٌ فما عجبى ... من واضح الشيب بعد الشيب فى القتَم
ما كان مسودّ شعرى وهو مشتمل ... عليك إلا كـجلبـاب من الكتـم[2]
قل لابن تسعين لا تحزن فـذا رجل ... دون الثـلاثين قـد سـاواك فى الهـرم
إذا ادّكرتَ شبابًا فى النعيم مضى ... لم يذكـر من شـبـاب كـان أو نِعم
وما انتفاعى وقد شاب الفؤاد سدى ، ... إن لم تشب أبدًا كـفى ولا قـدمى
وليس ما يخدع الفتيان يخدعنى ... كـلاّ ولا شيم الفتيان من شيـمى
ياشيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها ... فـانزل بلا ضـائق بالشـيب أو برِم[3]
من لا يبـالى أفـجـر أنت تنذره ... بالصبح أم أنت ضوء النجم فى الظلم
يامرحـبًـا بصـبـاح ليس يسلبنى ... صـفـوًا ، وبُعْـدًا لِليلٍ فـيـه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثانى .
(١) اللمم : جمع لمة وهى الشعر .
(٢) الكتم : صبغ للشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذى ينطوى على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .
(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر (*)

إيه يادهر هات مــاشـئـتَ وانظر ... عــزمــات الرجــال كــيف تكون

مــا تعــســفتَ فى بلائك إلا ... هان بالصــبــر منه مــالا يهــون

* * *

الخداع القاتل (*)

إلامَ تخدعنى عينى وما انخدعت ... نفسى ولكنها تهفو مع البصر

جــربت كل خليل فى مــودته ... فما جمعت يدى إلا على صَفر (١)

أكلمــا ضــاء لى نجم فـأتبعــه ، ... خبا الضياءُ فلم أبصر سوى كدر

أكلمــا قلت هذا جــوهر ، نَطقتْ ... عليه دونَ بنانى حسةُ الحجر

أكلما لاح لى صيدٌ فأحسبه ... صيد الأسود ، إذا الجرذان فى الأثر

أكلمــا قلت هذا كــوثر خَضِرٌ ... تجمع الصابُ لى فى الكوثر الخضر (٢)

ويلاه ! مــا أحقر الدنيا وأبغضها ... لم ينجُ أحسن ما فيها من القذر

عَزَّ الكمال على خَلْق الخيال فما ... طماعةُ المرء أن يلقاه فى البشر

* * *

الهــداية (*)

كم فى الســمــاء نجــوم ... ضلت ســواء الســبــيل

وأنت فى الأرض تبــغى ... هدْيًا بغــيــر دليل ؟

* * *

(*) إيه يا دهر : الجزء الثانى .

(*) الخداع القاتل : الجزء الثانى .

(١)صفر : خلو . (٢) الخضر : البارد .

(*) الهداية : وحى الأربعين .

سحر الدنيا(*)

سحر دنياك ياأخيَّ قديم ... سوف يبقى ، ويذهب الكهان
أفيمضى بسحرها كاهنٌ ما ... ت وفيها الشموس والأغصان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الثغور والأجفان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الألحان والألوان ؟
كاهن الأولين أول مسحو ... ر ، وفى كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... مت عليها الحياة والإنسان

* * *

فلسفة حياة (*)

الغرام المِلْك ، والملكُ الضياعْ ... هات لى الحسن الذى ليس يضيعْ
ليلة قمراء ، أو سحرَ سماع ... أو قصيدًا راق ، أو زهر ربيع
قال قومٌ زينةُ الدنيا خداع ... قلت خيرٌ ! بالذى نشرى نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصامْ ... أنا أنعاها ولكن لا أصوم !
طامع الغرب رعى الدنيا وهام ... أنا أرعاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حدٌّ قوام ... ولْيَلُمْ من كل حزبٍ من يلوم

* * *

أيها السائل : ما بعد المماتْ ؟ ... يمم الصحراء وانظر قفرها
ماوراء القبر فى قول الثقاةْ ... حالة تحمد يوما سرها
لستَ بالراضى حياةً كالحياة ... لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحى الأربعين .

(*) فلسفة حياة : وحى الأربعين .

يعـبـد الأقـوام مـايخـشـونه   وأنا أعـبـد مـا لست أخـاف
لـيس ينسى الله من ينسـونه   فـعـلام البـحث فـيـه والخـلاف
إن وصلتم أو وقـفـتم دونه   لـم يقف دون مـقـام أو مطاف

* * *

شـرعُك الحسن فـمـا لايحسن   فـهـو لا يحلو ، وإن حلّ الحـرام
لـيس فـى الحـق أثـامٌ بـيّـنٌ   غيـر مسخ الحسن أو نقص التـمـام
مـاعـدا هـذين مما يمكن   فـاسـتـبحـه ، على الدنيـا السـلامْ

* * *

إنذار الغضب
إلى الحق المحتجب(*)

ياحقُّ لا تبـرح خـبـاءَكْ   أتعـبـتنا سـعـيًـا وراءك
فـيـمَ الإباء ؟ ولـم نكن   يا حق إلا أصـدقـاءَ ك
فـالزم مكانك فى الثـرى   إن شئت ، أو فالزم سمـاءك
مـا الروضـة الغناء ذا   بلةٌ إذا حُـرمتْ ضـيـاءك
والناس لا يجـفـوننا   يومًـا ، إذا علمـوا جـفـاءك
والحـسـن عـنـد المبطلـ   ـين ، وعند من يهوى عداءك
مـا فـاز من يرجـو رجـا   ـلك فى الحـيـاة ولا نسـاءك
أنا إن سلوتـك لـم أكـدْ   أشـتـاق مـا يغنى غناءك
يـاحق هـذا حـدثُنا   فـاختـر ظهـورك أو خـفـاءك
إن جـئـتنا طوعـا فـجئْ   أوْ لا فـلا تبـرح خـبـاءك ! .

* * *

(*) إنذار الغضب : وحى الأربعين .

كل مافيها امرأة (*)

أيّمـــا لـفـظة جــــرتْ　　مـن فـم المـرأة امـــــــرأة
تبـتــغى الزوج من فـئـــهْ　　والأخـــلاّء من فـــئـــهْ
ليس بالجـــسم وحــــده　　يعـــرف «الجنس» منشـــأه

***

المعروف والمنكر (*)

كل مـــاتصنع الحــيـــاة يُرجّى　　من بنيـهـا قـبـوله واعـتـقـاده
فـإذا أنكروا قـبـيحًا فـفى القبـ　　ـح من الموت لونه أو شــعـــاره
ذاك لب اللباب فى كل شىء ،　　شطٌ بالفكر أو تدانى مــــزاره

***

حكمة التوائم (*)

حـكـيمٌ ذلـك الـتــــــوأمْ　　ومـن آبـائـه أحــــــــزمْ
تهــــيّب أرضــــهم فــــردًا　　فـــجـــاء بصــاحب مُلزم !
ولو جـــاء بجـــيش كــــا　　ن فى تدبيـــــره أحكم !

***

(*) كل مافيها امرأة : «الجنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .

(*) المعروف والمنكر : وحى الأربعين .

(*) حكمة التوائم : وحى الأربعين .

على بحر الحياة (*)

أمـن نـظـرة الآبـاد والمثـل الأعـلـى
إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟

لقـد كـانت الأجيـال عندى قـريبـةً
فـقـد عـادت السـاعـات توسعنى ثقـلا

نظرتُ إلى عُليـا الحـيـاة أرودها
فألفيتها صفرًا ، ولم أحمد السفلى

فـآليت أقـضـيـهـا كـمن راح طافـيًا
على اليمِّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا

فـإن شـئـتَ قُلْ هذا غـريق وإن تشـأ
فـقـل سـابحٌ لـم يدر أقـبـل ولّى

* * *

نقمة فى نعمة (*)

نعـمـة الإحـسـاس مـا برحت
نعـمـةً فى طيـهـا نقمُ

لا يحس الفـقـدَ فـاقـدها
ونصـيب الواجـد الألمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

فـيم اقـتـحـام جنين واهن عُطُل
أرضًا أبوه بهـا حـيـرانُ مـهـمـوم

هى الرعونة فى طبع الحيـاة ثوتْ
وإنما حكـمـة الأقـوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقمة فى نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعـاقب السـوس والجراد ومـا   باد ربيع ولا انطوى شــجــر
فــلا تخف آفــة ولا غــيَّــرا   يُمنى بها فى الضمائر البشر
دنيـاك هذى قـويةٌ صـمـدت   لكل شــر جــرى به القــدَر

***

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًـا فـوق الحـيـاة مـدًى له   يعلو عليـهـا - هل بلغتَ مـداها ؟
مـا فى خـيـالك صـورة تشـتـاقـهـا   إلا وحــــولـك لـو نـظـرت تـراهـا
ولو اسـتـويت على الخلود وجـدتَّهـا   كــفــؤًا لعــينك لا تروم ســواها

***

على الشاطئ (*)

وردوا البــحــر فــأهلاً   بهـمُ - يابحـــر - أهلا
أنـت لا تحــفـل منهـم   مَـن وَلَـى أو مـن تـولَّـى

***

نـزلوا شطَّك غــيــدًا   وشــبــابا ومــشــيــبــا
طلبـــوا فى الماء بـردا   فــذكــا الماء لـهـيــبــا

***

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وردوا البـــحــــر عطاشـــا   رشـــفـــوه . غـــرفـــوه !
لو يكون البـــحـــر بحـــرًا   مـن ســــــرور نزفـــــوه

* * *

المســــــــاكين يـريـدو   ن من الدنيــا اتســاعــا
اخـــدعـــوها ، فـــهى لاتو   ســـعكم إلا خـــداعـــا

* * *

وإذا لاحــت بـوجــــــــه   يملأ الأبصـــار رعـــبـــا
فــاضــحكوا منهــا وقــولوا   مــا أُحَـيْلى مــا أحــبــا !

* * *

وإذا مـــــــدت إليــكـم   بيــد فـــيـــهـــا الحـــمـــام
فـــخـــذوا الموت وقـــولوا   هـو خُـلْـدٌ وســــــــلام !

* * *

نصف رغيف (*)

عـجـبى للحـيـاة أشـرف مــا تحـو   يه وقف على الحـــقـــيـــر الطفـيف
صــفــحــات الســمـــاء والأرض طرا   والمعـــــــانى مـن تـالـد وطـريـف
والـوجـــوه التى تشــوقك حــسنا   تنطوى إن فـــقـــدت نصف رغـيف

* * *

ذات وجوه (*)

وجـوه حـيـاتنا مـتـعـددات   ودع عنك البــراقع والطلاء
فإن تحـمـد وسـامتـها صبـاحـا   فـقـد تنعى دمـاتهـا مَسـاء

* * *

(*) نصف رغيف : وحى الأربعين .   (*) ذات وجوه : وحى الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كـان فى الأرض قـبل عـشـرين ألفـا ... من سِنى الأرض ، شـاعـرٌ عـبـقـرىُّ
كـان ، لا شك فـيـه عندى ولا مـيـ ... ـن ، وإن شك جـاحـدٌ وغـبـىُّ
نظم الشـعـر فى الحـسـان وحـيًى ... قـبلةَ الشـمـس وهو داع شـجىُّ
ليت لى من قـصـيـده بيت شـعـر ... فى ثنايا البـلاد يروِّيه حـىُّ
ليت لى من قـصـيـده فـردَ بيت ... صح أم لـم يـصـح مـنـه الـروىّ
اشـتـرى بيـتـه بديوان شـعـبـ ... ـين ، فـأين المسـاوم الصـيـرفىّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليـه ، ... أخلد الخـالدين فـينا دعىُّ !

***

أصداء الشارع (*)

بنـو جــرجـا ينادو ... ن على تفـاح أمـريكا
وإسـرائيـل لا يألـو ... ك تعـريبًـا وتتـريكا
وبتـراكى إلى الجـو ... د على الإسـلام يدعـوكـا
وفى كـفـيـه أوراق ... بكسب المال تغـريكا
وأقـزامٌ من اليـابا ... ن بالفـصـحى تحـيـيكا
وإن لا تكن الفـصـحى ... فـبـالإيماء تغنيكا
قـريبٌ كلها الدنيـا ... كـرجع الصـوت من فـيكا
دعى الداعى فلبـوه ... طغـاةً وصـعـاليكا
إذا ناديت يا دنيـا ... رُ من ذا لا يلبـيكا ؟!
فـمـا فى الناس هاذاك ... ولا فى الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحى الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مسرعين فى الثرى ... يركب منهم رأسه من ركبا
لولم يكن هذا الزمان آفةً ... ما اتخذوا السرعة منه مهربا

* * *

عسكرى المرور (*)

متحكمٌ فى الراكبين ... وماله أبدًا ركوبَهْ
لهم المثوبةُ من بنا ... نك ، حين تأمر ، والعقوبَهْ
مر ما بدالك فى الطريق ... ورُض على مهل شعوبَهْ
أنا ثائر أبدًا وما ... فى ثورتى أبدًا صعوبه
أنا راكب رجلى فلا ... أمرٌ علىّ ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه ... فى هذه الدنيا العجيبه

* * *

الفنادق (*)

فنادقُ تشبه الدنيا لقاءً ... وتفرقةً ، وإنْ قصر المُقام
تقول لكل من وفدوا عليها ... بأن العيش نهب واغتنام
فمن تلقاه فى يوم صباحا ... تفارقه إذا جنّ الظلام
ورب عصيةٍ فى الحب باتت ... وأقربُ من بدايتها الختام
تقول لقلبها ما الحب إلا ... أمانٌ حيث يزدحم الزحام
فلا سر هنالك مستباحٌ ... ولا شوق هنالك أو غرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق :عابر سبيل .

منازلُ كل ما فيها انسجام ! | منازل كل ما فيها انقسام !
وما افترقت شعوب الأرض يوما | كما افترقوا ، إذا انصرفوا أو هاموا
ففيهم يافثٌ حينا وشيثٌ | وفيهم تارةً حام وسام

* * *

المصرف(*) «البنك»

شبران من ذاك البناء
بينى وبين المال والدنيا العريضة والثراء
ليست بأقصى فى الرجاء
من حفرة المدفون فى شبرين فى جوف العراء
كلا ! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت آماد السماء ؟!

* * *

فى سكَّتى أبدا وما
من سكة أبدا إليه ، ولست ألغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
أنظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل : أهذا مصرفٌ ملأوا جوانبه دما ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فيه دم لا شك فيه
فى كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجرى هناك وأنت تحسبه من الورق الرفيه
نُغليه كالدم فى العروق سرى ، وكالدم نتقيه
وسل المدلس والنزيه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلنى فلم أك طالبـــا
ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا
وأعـــد منه حاســـبا
ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا
ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا
ودع الحســـود الغاضـــبا

* * *

يارب .. ويا خلق ! (*)

يـــارب !

يـــارب أعـــطـيـــنـــاك أرواحـــنـــا في هذه الحـــرب وفى الماضـــيـــةْ
يا ربنـا فـــاقـض لـنـا مـــرةً بالسلم فى أيامنا البـــاقـــيـــة

ياخلـــق !

ياخلق مـــا أرواحكـم ســـمـحـــةٌ عندى ، ولا إنْ سـمـحت كـافيه
أعطيـــتمُ إبليس أضـــعـــافـــهـــا من حَـيَـــوات عندكم غـــاليـــه
وبعـــتمُ فى ســـوقـــه كلّ مـــا وهبـتكم من عـيـشـة راضـيـه
لـم تشـــتـــروا السلم بأرواحكم بل اشـــتـــريتم نقـــمـــة ثانيـــه
عطاؤكـم إبلـيس ســــمحٌ بلا أجـــر ولا أمنيـــة خـــافـــيـــه
ومـــا بذلتم قط لى قـــربةً إلا رجـاء العـفـو والعـافـيـه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

بابل الساعة الثامنة (*)

(فى بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين ،حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌّ وما يبيع ، وهى خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه ، فهى بابل لامراء ! .

قابلْ بين بابل هذه وبابل الفجر الذى تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا لحقيقة فى الشعر ببعض الأصغاء) .

كم بابلٍ فى الساعة الثامنهْ ... تثور فى حلتنا الساكنهْ
خفيةَ الأصداء لا تنجلى ... ولم تكن عجماء أو واهنة
شتى فإن أفردتها لم تكد ... تبين منها لفظة بائنة
كأنما تصغى إلى راطن ... يتعتع الأحرف أوراطنة
فلفظة ينطقها دونها ... عشرون فى حلقومه قاطنة
واسمٌ يليه اسم وماجَمّعتْ ... قرينةٌ بينهما قارنة
إن بعدت عن سامع أو دنت ... لم تدنها أوصافها المائنة
البرتقال الحلو والفحم والا ... طباق والريحانة الفاتنة
والبيض والأثواب والتبغ والأ ... خشاب والزينة والزائنة
وأشربات العصر فى حينها ... مثلوجة إن شئت أو ساخنة
والناى والأرغن تتلوهما ... ربابةٌ كالهرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديهـا ويدعـو بهـا | إليـه ، فى زوبعـة زابنة[1]
مـخلوطة ممزوجـة كلهـا | معجونة فى لفظها عاجنة
فى بابل البـاعـة تلك التى | تسـمـعـهـا لا بابل الحـائنة
يحسبها الشرطى حتى إذا | حانت لديه السـاعة الثامنة
أطلقـهـا فـانطلقت فـجـأة | على الحمى كـالغارة الكامنة
تجـدّ أقـصى الجـد لكنهـا | فى السمع كـالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بى ضـحـوة | أو أرّقـتـنى خطرة رائنة
أيـقـظنـى مـن بـابـلـى هـذه | نفير حربٍ فى القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغـالـب الظا | لم لا تعـدمـوا من الظلم رغـمـا
لو وقـفـتم يومـا إلى جـانب المغلو | ب مـا فـاز غـالـبٌ قطُّ ظلمـا

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كـيف تسـتـغنى | إذا مـاشـئت أن تغنى
فـمن يجـهلُ مـايُلقى | فـقـد يجـهل مـا يُـجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .

(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .

(*) اعرف ما ترميه : وحى الأربعين .

فصد ! (*)

قالوا هى الحرب فصْدٌ به الشفاء يُؤمّل
قلنا : نعم . فصد عرق حىّ وإعفاءُ دُمَّل !

* * *

الخلود المزدرَى (*)

نفوسٌ أعاف مقامى بها أأخلد فيها ؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودى به أليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبى خالد يك . وقل مَن مُزَكٍّ لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا إذا سُرمدوا فى ضمير القرود
فرب خلود كقيد السجـ ـين ونسيان قومٍ كفكّ القيود

* * *

الشعر (*)

إنى ألوذ بشعرى حين يَطرقنى من الطوارق نُزَّالٌ وضِيفان
والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذّ بين الناس رحمان
كأن من صُور إسرافيلَ دعوته لو يسمعُ الصورَيوم البعث صفوان
يظل ينطف من ماء الحياة ندًى على الجماد فيزكو فيه ريَعام
فما يزال لراويه وقائلّه من الخلائق سُمّار وخُلصان
يجنى المودة مما لاحياة له إذا جفاه من الأحياء خوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*) الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ نقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ ألحاظا تساهره — والودقَ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه — ثغرُ الورود ومال السرو والبان
أوملٌّ هاتفةَ الأصوات أسمعه — للريح والغاب أبواقٌ وعينان
تُفضى له ألسن الدنيا بما علمت — كأنما هو فى الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التى جمعت — ما فرقته أقانيم وصلبان
الحب والشعر دينى والحياة معا — : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هى الحياة جنين الحب من قِدم — لولا التجاذبُ ما ضمتك أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضى الحياة بهاً — إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة — خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام فى الكون ركنٌ للحياة يُرى — ففى صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر فى طريقك (*)

سر فى طريقك بين اللائمين ولا — تحفل بمن جدَّ فى لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم — ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شىء غُنيةً — عنه ، وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا — يغنى العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر فى طريقك : وحى الأربعين .
(*) الخلاصة : وحى الأربعين .

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا ! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ، وكذلك هذه الوصايا إنما هى وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

وال المدنَّس بالعيوب ولا تكن ... يوما وليًّا للنبيل الطاهر

فذَوُوا المعائب لا تناحر بينهم ... والنبل فيه سبيل كل تناحر

وذوو المعائب آمنون لمن وفى ... والنبل ليس بآمن للغادر

وذوو المعائب مالهم من حاصر ... والنبل محصورٌ قليل الناصر

وذوو المعائب يسترون خلالهم ... والنبل ما لهناته من ساتر

وذوو المعائب عذرهم فى نقصهم ... والنبل ما لكماله من عاذر

وذوو المعائب ينعمون بحظهم ... والنبل ما لشقائه من آخر

ولرب ربح فات من ذى ذمة ... يسعى إليك مع الخؤن الخافر

رأىُ السلامة إن أردت فخذ به ... أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحى الأربعين

(*) الضعة والشرف . وحى الأربعين .

بمن تثق ! ؟ (*)

ثقى بالرذيلة تلقــــهـــا　　فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمـــا　　تـلـقـــاك إلا عـــابرة
حــتى الأفـاضل عـرضـةٌ　　لـهــوى الـهنات البـادرة
مــــــاكـل يـوم يُـرتجـى　　عطفُ الـنفـــوس الطاهرة
ومـــن الــنـــوادر أن تــرى　　عند التــــعطُّف قـــادرة
مـــن لـم يـدُر فـى دهــره　　دارت علـيـــــه الـدائـرة

* * *

ومن تكون (*)
ومن لا تكون

كن بينهم « بوذا » فـــإن لـم تطقْ　　فكن كـــتــيـــمـــور ونيـــرونا . .
أو عش مـــعـــافىً بينهم لا ترى　　إصـــلاحَـــهـم دنيـــا ولا دينا
قـــد ضل من يطلب إصــلاحـــهم　　لا غـــرو أن ســـمـــوه مـــجنونا !
يأمنهم من فـــاتهم طائعًـــا　　أو ســـاقـــهم كـــرهًا مطيـــعـــينا
أو راح مِنهم طالبًـــا نفـــعـــه　　لا عـــــاليًـــــايأبى ولا دونا
مـــن هـــان أو هــان الـورى عـــنده　　أو ســـامـــهم فى ظلمـــه ا لهُـــونا
أولـئـك الـرهـط الـذى لـم يـزل　　يأمن مـــا يخـــشى النبـــيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــهـــا　　إلا طغـــــاةً أو مـــــرائيـنا

* * *

(*) بمن تثق : وحى الأربعين .
(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى والذكر آمال الزمان الغابر
قد ييأس الإنسان من غده ولا تلقاه ييأس من حنين الذاكر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به بعضُ الغد الآتى كأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا عجبا فى حبه الخطر
فإذا ما الطفل هام به جعلوه طرفة السمر
يامحبى القرش ويحكمُ هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمتم فى طرائفكم أىّ قرش بالهيام حَرٍ ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من حبه إياه فى الصغر
وهو أولى من قروشكم كلها بالحب والسهر
هو « حقّ » عنده جلل حاضر الميعاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بها وجمال الحسن والنظر
وأفانين الملاعب لم تخل من نفع ومن ثمر
وهو وهمٌ فى خزائنكم وخيال كاذب الوطر
وسجين ثم مدَّخر لرجاء غير مدخر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا منه بالآيات والعبر
الحياة الحق ناضرة فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .

(*) قرش معقول : عابر سَبيل .

جلال الموت (*)

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا ... جـــلالة حق لا جـــلالة باطل
فــلا تجـعلنّ الموت حـجـة كـاذب ... لمدحــة مـذمـوم ورفــعـة ســافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

طـــار فـــى الـــذرى ... هام فـى الســـهـــول
مـــســـرع الخطى ... حـــيـــثـــمـــا يجــول
مـــالـــه عـــــدا ... عـــــدوة الـوعـــــول
مـــالـــه سـطـــا ... سطوة الســـيـــول
فـى صـــعـــوده ... يـشـــبـــه الـنـزول
تلك ســـرعـــة الحـــا ... ثـــر المـــلـــول
تـلـك ســرعـــة الآ ... ثـم الخـــجـــول
أيـن ســـرعـــة الـــ ... ـــســـعـى والـوصـل ؟

* * *

التقديس (*)

عـــارفُ الـتـــقـــديس رو ... حىٌّ ، وإن قـدّس جـسـمـا
ومُــهين الجـسم جــســمـ ... ـىٌّ ، وإن كـــان «برَهمـــا »
أنت بالـتــقــديس تسـمـو ... لا بما قـــدسـتَ تُـســـمى

(*) جلال الموت : وحى الأربعين .
(*) عصر السرعة : عابر سبيل .
(*) التقديس : هدية الكروان .

السرور (*)

منع السرورَ حذار قلبىَ قبله ... ألا يتمّ ، وبعده التنغيصا
ويزيدنى كلَفا به وضنانةً ... ألا يباح - إذا أُبيح - رخيصا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألم أقل لك مهلا ... فالناس لؤم وشر
لا تولهم منك عطفا ... فهم من العطف صفر
لو كنت تعلم علمى ... لما أصابك ضُر

نعم نعم . قلت هذا ... إنى بذاك مُقرّ
وأنتَ عندىَ طفلٌ ... وأنت عندى غِرٌّ
وما لقولك وزن ... وما لنصحك شكر
أنفقت عطفك قبلى ... وذاك ياصاح فقر
كم حكمةٌ هى جهل ... وغفلة هى فخر

* * *

الحكمة الصادقة

حكمةٌ قد تناقضت ، ... هذه أصدق الحكم
ليس للعلم من تما ... م إذا الجهل قيل تم
فاغتنم منه ما بدا ... وأنتظم منه ما انتظم

(*) السرور : هدية الكروان .

(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .


صفات وأشباه

فُرضة البحر(*)

قطبَ السَّفين وقِبلةَ الربان ... ياليت نورَكِ نافعٌ وجدانى

يُزجى منارك بالضياء كأنه ... أرِقٌ يقلِّب مُقلتى ولهان

وعلى الخِضَمِّ مطارحٌ من وَمضه ... تسرى مدلَّهة بغير عنان

كمطارح الأفكار فى لُجج على ... لجج من الشُّبهات والأشجان

تخفى وتظهر وهى فى ظلمائها ... بابُ النجاة وموئلُ الحيران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شرَّعٌ ... صورٌ إليك من البحار روان

كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى ... شملَ الأحبَّة فيه والإخوان

جودىّ(١) كلِّ سفينة لم يبنها ... نوح ولم تمخر على الطوفان

فيها التقى بر وبحرٌ ، واستوى ... شرقٌ وغربٌ ، ليس يستويان

بسطت ذراعيها تودّع راحلاً ... عنها وتحفل بالنزيل الدانى

زُمَر توافت للفراق فقاصد ... وطنًا ، ومغترب عن الأوطان

متجاورى الأجساد مفترقى الهوى ... متباينى اللهجات والألوان

فانظر إلى تلك الوجوه فإنها ... شتى ديار جُمِّعت بمكان

فى فرضةٍ متقاصرٍ عن متنها ... موجٌ أشمُّ أحمّ(٢) ليس بوان

موجٌ يطيف بها وقد ران الكرى ... فيها طواف الضيغم الغرثان(٣)

أَلقيت مراسيَها السفائنُ عندها ... وتحصنت منها بدار أمان

فكأن ضوء منارها نار القِرى ... لو كان يُبعث ميّت النيران !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(١) الجودى : هو الجبل الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف - والمعنى أن الفرضة كالجود تنتهى إليها رحلة كل سفينة .

(٢) أحم : أسود . (٣) الغرثان : الجوعان .

الخريف (*)

حيّ الغمائمَ فى السماء كأنها ... طيرٌ سرت فى مستهل ربيع
بيضاء ترتع فى فضاء شاسع ... صافى السراة[1] على السنا مرفوع
طورًا كتمسيح الذيول وتارةً ... كالرغو بين مُفرّق وجميع
ترفو حواشيَها الرياحُ وتنتحى ... أَوساطها بالفتق والترقيع
والدَّوح مهدولُ الأرائك ساهم ... كالعاشقين هنيهة التوديع
والماء كالممرور فى وسواسه ... يشجوك منه ترنّمُ المفجوع
والشمس ساهية الشعاع كمقلة ... وطفاة جللها البكى بدموع
ضحكُ الطبيعةِ فى الربيع كأنهُ ... ضحك الغريرة فى عناق خليع
فإذا تبسم فى الخريف جبينها ... أبصرت نظرة ريبة وخشوع
كالغادة الحسناء يغرب حسنها ... أثناء شيب فى الشباب سريع

* * *

أنس الوجود (*)

تماثيلَ مصرٍ أنت صورتها الصغرى ... وطلّسمها الواقى ، وآيتها الكبرى
حياتك أجدى من رجال كأنهم ... تماثيل لاتمحى الصناعة والذكرى
رعى الله من أسوان دارًا سحيقة ... وخلّد فى أرجائها ذلك القصرا
أقام مقام الطّود فيها وحوله ... جبال على الشطين شامخة كبرا
بعيدًا عن الأقران ، منقطعًا بها ... فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

(*) الخريف : جزء أول .

(١) السراة : الصفحة .

(*) أنس الوجود : جزء أول ٢٤ (٦ «فقرة ٤٢») .

ـمرصودًا وهل يُعبد الضحى … بأظهر منها للضحى كيفما ذرا ؟
ر الله حول ربوعها … نطاقًا وأجلى عن مطالعها السترا
ـمس أهلوها إذا اشتد قيظها … وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا
، كأفواه البراكين قاذف … شآبيب ما زحيا وما أقتل القطرا
ـثت فينا الحياةَ ضرامُها … فأنفسنا من حرها شعلة حرَّى
ـحيث الدارجون عروشهم … قيام تناجى فى سكينتها الدهرا
ـلى تلك الرمال كأنها … خُطى الزمن الوثاب تاركة إثْرا

* * *

....

ا إليه النهر ليلا كأننا … عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى
ـحيهٌ فيه الزمان الذى مضى … فكان له رسما وكان له قبرا
ـدنا منه شخوصًا كأنها … مساحيرُ ترجو كاهنا يبطل السحرا
ـفق ذاك القلب بعد سكونه … ويُملأ من أهوائه ذلك الصدرا !
ا يشبه الخلقَ صنعها … تغالوا فقالوا الأنس قدمسخت صخرا
ـبروا إلا على الله صنعها … فقالوا براها ، ثم أصمتها قهرا

* * *

السماء (*)

ـماء البرزة(١) المحجوبة … أعجب ما أبصرت من أعجوبة
ـمجمها المشبوبة … تهولنا قبَّتها المضروبة
ـها الهاوية المقلوبة … كأنها الجمجمة المنخوبة

* * *

: جزء أول .

البارزة الحسنة .

وقفة فى الصحراء (*)

هضـابُك أم هذى أواذىُّ عـيلم[1] ؟ … وهل فـيك من وِرد لغـيـر التـوهم !
تخـايلت كـالدنيـا وأقـفـزتِ مـثلهـا … فـلا تخـدعـينى ، إننـى لست بالظمى
أيـا ربـة الآل الخـلـوب وإنمـا … إلى الآل[2] ركب الناس جمعاءفاعلمى
خـلوتِ فـلا آثارُ حىّ ثوابتٌ … عليك ولا آثار مـيْت مـعظّم
نبـا بك عن حـال العـمـار وضـده … شمـاسٌ ، فلم تبنى . ولم تتـهـدمى
تشـابهت الأيام فـيك فلم يكن … إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديبةٌ … كعهدك لم تعبس ولم تتبسم [3]
لَفـيك وإن طال الزمـان غـواربٌ … على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضـاءَت عليـهـا النيـرات ولم تزل … هنالك فى ليل من الغـيب أيْهمِ
إلى أى ركن فـيك يلجـأ هارب … وفى أى ظل من ظلالك يحتمى
تسـدين أرجـاء السـمـاء بحاصب … من النار موّار العجاجة مظلم
ثؤرٍ كأفواج الدخان تطلعت … إلى علوٍّ[4] من قاضى قرار جهنم
إذا مـا رآها الوحش ولى كأنها … من النقع تُجلى عن خميس عر مرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة … خياشيمه م القيظِ يبضضن بالدم
ويذهل حتى يفلت الليثُ صيدَه … ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وماسكنتها الوحش إلا لأنها … أحب إليها من جوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة فى الصحراء : جزء أول .
(١) أواذى عيلم : أمواج بحر . (٢) الآل : السراب .
(٣) الزمان فى الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .
(٤) علو : أى السماء .

السينماتوجراف (*)

بربك مـاذا فى سـتـائرك الطُّلس[1] أأشـبـاح جنٌ تلك تظهـر للأنس ؟
إذا لم تكن جنًّا فـمـالى عـهـدتها تفـر فـرار الجنَّ من طلعـة الشـمـس
سـتـور ولكن يُكشف النور عندها فنونًا من الأسـرار تخـفى على النفس
كـأنى أرى فـيـهـا قـريحـة شـاعـر مـصـورة للناس فى عـالم الحس
وكـالعين إلا أنهـا تمسك الرؤى وترسلهـا رسـمًـا تراه على الطرس
تردُّ تجـاليـد القـبـور كـواسـيًـا وتبعث أشخاص الرفات من الرمس
وتحـمـدها عين الغـريب لأنهـا تنوب بهـا الرؤيا لديه عن الحـدس
تميط عن الطرف الحجاب كـمـا رأى نبىُّ الهـدى فى مكة صـورة القـدس
وكم مـعـجـزات للصناعـة بيننا يجىء بهـا رُسل المعـارف والدرس

* * *

الشتاء فى أسوان (*)

ألقِ الربيع على البـشـيـر كـانون آذن بالظهـور
أسـوان تزهو حين يذ بل كل مـخـضـرٌ نضـيـر
فـى كل مـربأة[1] بهـا نـور تـألّـق فـوق نـور
بلد تجـود له الطبـيـ ـعة بالصغـيـر وبالكبـيـر
لا تسـتـجنُّ شـمـوسـه إلا على غـيـر البـصـيـر
نسـمـاتهُ برءُ العليـ ـل ومـاؤه عـذب نميـر
مـا طبُّ جـالينوس قـيـ ـس بطبـه إلا غـرور

(*) «السينما توجراف» : جزء أول .

(1) الأطلس : الأغبر إلى سواد وهو لون الصور على اللوحة قبل التلوين .

(*) الشتاء فى أسوان : جزء أول

(1) مربأة : مكان مرتفع .

أبـدًا تحـــــــوط بـهِ ودا ... ئعـهــا بســور خلف ســور
من كـل شـــاهقـــة كــأنّ ... قــلالهــا عـــمــد الـدهور
حـــصن تهــاب ظروفــه الآ ... فــــات طرًّا والـشــــرور

* * *

بولون أقـــفـــر غـــابهـــا ... من كل مــخــتــال فــخــور
ســرحتك صـوادحـهـا وأطلـ ... ـق وُرقـه الأيك الغـضـيـر
يلقطن حـــبـــات القلو ... ب من الجــوانح والصـــدور
الـفــــاتنـات تكاد إحـ ... ـداهن من حــسن تنيــر
الناهدات كـــمـــا ترى الأ ... هرام فى الرسم الصـغـيـر
العــبــهــريات الشـذى ... الكـوثريات الثــغـــور
الــورد فـى وجـنــاتـهــنّ ... يضـوع فى كل الشــهـور
المرسـلات الشـعـر كـالز ... رياب [1] مـصـغـرًا غـزير
مــتــمنطقــات بالدمــقـ ... ـس مـــؤزّرات بالحـــرير
من كل قـــاع جــؤذر[2] ... تلقــــاه أو ظبى غــــرير
مــثل الشــمـوس برزن للأ ... كـوان من فـجـر الشـعـور
داراتـــهـــن مـــطـــالـــع ... لـم تدر مـــا نور البـــدور
فـــيـهن مـعــتـرك الغـرا ... م ومـعـرض الحسن الطرير
الحــــور هنّ خلقـن للـ ... ـفــردوس لا للزمــهــرير

* * *

الماء فــــاض على الجنا ... دل والســواحل والجســور
خلجـــانه تنســاب كـــالـ ... ـحـيـات مـا بين الصـخـور
مــتــســابقــات كـالسـوا ... بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيل مـــصطفق كــمـن ... قـــد هزه فــرط الســـرور
مـــتــــدفّع الأمـــواج تر ... قص وفق توقــيـع الخـــرير
وترى الزوارق كـــالبـــوا ... شق حــومّــا أو كـــالنســور
قــد حــار فـيــهــا العنصرا ... ن الريح والماء القــــدير

(١) الزرياب : الذهب أو ماؤه .
(٢) الجؤذر : الظبى الصغير .

والشـمس شـاخـصـة تكا	د تنوءُ من جـهـد المسيـر
فـضـفـاضـة الأذيال تخـ	ـطر كـالعـروس إلى السرير
وكـأنهـا فـوق الذرى	فـوق الجـزائر والبـرور
حـسناء ترقب قـادمًـا	فى النيل من أعلى القـصور
وعلى الروابى والهـيـا	كل مسحة الشفق الأخير
تبـدو كـمـا نصل[1] الخضا	ب بعـارض الشـيخ الوقـور
مـا كـان أول مـغـرب	شـهـدت على مـر العـصور

* * *

كـم آيـة فـى الـكـون أخـ	ـفى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العـيـا	ن فـمـا يرى إلا يسـيـر

* * *

ليلة الأربعاء (*)

شفّ لطفًا عـمـا وراء السـمـاء	نور بـدر مـفـضّض اللألاء
رق سجف السـمـاء حتى كـأن الـ	ـعين تتلو هناك سـرَّ القـضـاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ	ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كـالعـبـاب فـمـا فى الـ	ـكون غـيـر الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصـيـف والصـيـ	ـفُ بهـيجٌ فى الليلة القـمـراء
يمّنَ الله سـعـيـه من رسول	يطرق الأرض وافـدًا من ذُكـاء[2]
مَـولِد الأرض فـهى تلبس فـيـه	كلَّ عـام مطارف الأضـواء
أضـرم الجـوَّ بالمشـاعل كـالظا	فـر يعـدو فى إثر جند الشتاء
فنهـضنا للّهـو فى دار ذى القـر	نين بين الصـحـاب والقـرناء
بلد مـا تحـجّب الجـو إلا	ناب عنه الصـفـاء فى الدأماء
كلٌّ من ينتـحى حـمـاه غـريبٌ	عنه حـتى مـا فـيـه من غـرباء
تكشف الشـمس ثَمَّ مـايضـمـر اليمّ	كـعين المنوم النجـلاء

(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧) .

(١) نصل الخضاب : زال .
(٢) ذكاء : أى الشمس .

فـــعلى اليمّ للمطيـــفين ســـرٌّ كـــاشفٌ عن ســـرائر الأنبـــاء

* * *

ليلةَ الأربعـــاء بالله عـــودى وأعـــيـــدى ياليلة الأربعـــاء

ليلةٌ أرسل الزمـــان بهـــا عـــفـ ـــوًا فـجـاءت كـحكمـة البلهـاء

قـد نسـينا الصبـاح حـتى ذكـرنا بـنـور مـن بـدرها الـوضـــاء

فـــوصلنا مـــســاءها بصـبـــاح ووصلنا صـبــاحـــهـــا بمسـاء

. . . .

خيـر مـا فى الحيـاة يا قلب مـا أنـ ـســاك ذكـر الحيـاة والأحـيـاء

بيـد أن النفـوس تصبـو إلى الذكـ ـر وإن كـــان فـيـــه بعض العناء

* * *

. . . .

نسج الفـجـــر للنجـــوم الدرارى برقـعًـا حـيك من شعـاع الضيـاء

وكـــأنّ النســيم همـــوم اللـ ـيل والليـل مـــؤذن بانقـضـاء

همـســاتُ العـوّاد حـول حـبيـب بات لم يبق منه غـيــر الذماد [1]

وترى البـحـــر لو توســـده النا ئم لم ينتـبـــه من الإغـــفـــاء

فى سكون كـــأنه نفس الحـــا لم أو خـــفق طائر فى الهـــواء

وكـأن الخرير صـوت يناجى الغيـ ـب حـــتى لهـمّ بالإصـــغـــاء

فـبعـثنا الأرواح سـربًا كـروح الله قــدْمًــا ترف فـــوق الماء

* * *

الورد(*)

أراح[2] الورد عـــازفـة النفـــوس وأشـــرق نجـمـــه بعـــد الخنوس

وغـــرّد هاتف الأطيـــار لما جـلا البسـتـان عن خـدر العـروس

وأشـــرقت الرياض على الروابى مـكللـة المفـــارق والرؤوس

نـديم الكـأس طف بالروض تنظر غـصـون الورد مـترعـة الكؤس

وفـيـــه ثمـالةٌ [3] لم يودعـوها من الأفـــراح كـــرمَ الخندريس

(١) الذماء : بقية الروح . (*) الورد : الجزء الأول .

(٢) أراح أى رد وعازفة أى بعيدة . (٣) ثمالة : فى الكأس أى بقية .

تبسّمَ فى خمائلهُ [1] النشاوى … فأضحك غرة الزمن العبوس
يُخيِّل ناطقًا لولا حياء … ثناه عن مناجاة الجليس

.... … ....

أطل من الرغام كأن روحًا … تنادى الناس من خلف الرموس

.... … ....

مجامر للطبيعة أرّجتها … وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها … على الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخوز السحر حور … من الجنان خافية الحسيس
جنى الفردوس إلا أن فيه … ذَكاء النار والجمر القبيس
يكاد يبث حوليه ضياء … كما بثته نيران الوطيس [2]

* * *

.... … ....

لو انا قادرون لما هفونا … إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو … ويبلو القلب بالغرض الخسيس
لما ألهاه عن آس وورد … بحبات من البُرّ [3] الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبْ به من منظر سَرِىّ [4] … ومن نبات طيب ذكىّ
متصل الخضرة فِردَوسى … نُزّه عن تصوّح [5] وعرىّ
جنّاته تثنى على الوسمى … بالبرتقال الواضح الروىّ
كالسُّرُج المذكاة بالعشىّ … تستقبل المقبل إذ تحيى
منها بألف كوكب دُرِّىّ … كالشمس فى جلبابها الفجرى
غصنا على غصن زمرّدىّ … من بارز وضامر خلفىّ
وساجد فى الأرض كالقسىّ … مكلل بطلعه محنىّ
كأنه جلاجل الحلىّ … يأخذ عين المبصر الذكى
أخذ الحلى مقلة الغوىّ … على نحور البيض والثدىّ

(١) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف . (٢) الوطيس : الفرن . (٣) البر : القمح .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول . (٤) سرى : فاخر . (٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبى   من كنز قارون ، وكل شىّ
فاعجب لهذا الصائغ الغنىّ   صائغ هذا الثمر الجنىّ
من نفَس حام ومن طمىّ   وصابغ الطلع بألف زىّ

ومخرج الحى بغير الحى

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير   والليل شفُّ الستور
والدر ينشر نورًا   كأنه نصف نور!
كأنما الكون يبدو   من خلف ستر وثير
كأنه ظلُّ كونٍ   مغيَّب فى الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذرْ   ويرجف فى الجو نور القمرْ
وللشمس مِشيةُ مستكرِه   يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهرٍ كمرآة مهجورةٍ   على وجهها من جواها أثر
وللروض زهرٌ به طائح   تقلّب فى الأرض كالمحتضَر
ونادى المنادى بركب الطيو   ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره   وهذا يصيح ولمّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا   كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ   تعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها   نشيجٌ إذا الليل أغضى ظَّهر[1]
تُحطِّم أعوادَها العاريا   ت تحطيمَ ذى جنة منذعر
فياويل من بات فى ليله   يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .

(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠١ فقرة ٩٣) .

(١) أى يكاد يظهر إذا اختفى الليل .

النهر النائم (*)

تمهّلْ يا نســـــــيم ولا تكدّر	نعاس النهـر بالهمس الضعيف
وقِـــرّى يا طيـــور على الحـــوافى	وكـــفى يا غـــصـــون عن الخـــيف
لعل النهـــر ينطق وهو غـــاف	بســـر فـــيـــه أو حلم لطيف
ويحكى طيف هاتيك الليـــالى	ليـــالى الوصل فى عـــهـد الخريف

* * *

ياقمــر (*)

فـــضضْ الماء ياقـــمــــرْ	وانقش النور فى الحـــجــرْ
وانظم الغــــصنَ بالندى	والثم الزهر فى الشـــجــر
واجـــعل الكون ضـــاحكا	عن ســـمـــاء من الغُـــرَر
وأملك الليل مـــفـــردًا	ومع الشـــمس فى البُكَر

* * *

فى مـــجـــاليك راحـــةٌ	راحـــةُ النوم والســـهــــر
فى ليـــاليك بهـــجـــةٌ	بهـــجـــة الفكر والنظر
ليس كـــالليل فى الظلا	م ولا الصـــبح فى الكدر
أنت كـــالطيف والدجى	ناعس اتلطرف ياقـــمــــر

* * *

ســــــاهد الليل لا تجِمْ	واتل مـــاشـــئت من ذِكَـــر
قـــد تناسـيت مـــا مـضى	ولنا اليـــوم مـــا حـــضـــر
من يذق لذة الهـــــوى	يسل لذاته الأخـــــــر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .

(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيلة (*)

هات نرجيلةً يضاحكنى منـ ـها خرير كجدول البستان
ذات أنبوبةٍ كحية حوا ءَ بفيها تفاحةُ الحرمان !
إنّ بين الضلوع نارًا أُوار يها فأخفى زفيرها فى الدخان

* * *

القمراء (*)

كلما أشرق فى الليل القمَرْ
وسها الناس ولاذوا بالحُجَرْ
خلتُ أرواحا تداعت للسمر
زُمَرا تهمس من حول زمرْ
إن هذا الحسن لا يمضى هدرْ
حيثما أسفر نور وانتشرْ
وحلا فى خلوة الليل السهرْ
فهنا لا ريب حِسٌّ وبصرْ
شيمةُ المسحور يقفو من سحر

* * *

(*) النرجلية : جزء أول . (هى المعروفة بالشيشة) .
(*) القمراء : وحى الأربعين .

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خـــوضِ الأيـاجى ... فـــالجُ مـــا بين صـــفـــحـــة وســـراج
وجـــمــــالٍ من النـفـــوسُ يُناجَى ... فى أســــارير وجـــهـــه ويناجى
مـــســتــهلِّينَ والطبـــيــعـة غـــضبى ... وكـــلانا من هولهـــا الصـــعب ناج
نتـــحـــدى الرياح والليل والأهوا ... ل طرًّا بصـــفـــحـــة من زجـــاج !
فــــإذا مـــايروع منهـــا ويضنى ... نتلقــــاه هـهنا بابتــــهـــــاج
كـــالذى يشـــهـــد الكوارث فنًّا ... من فنون التـــمـــثـــيل والإخـــراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعـــشّـــقتُ من زهر القـــرنفل لونه ... ونشـــرًا كـــريح البـــابليـــة[1] زاكـــيـــا
تَقـــسّم نور الشـــمس أحـــمـــر قـــانيـــا ... وأصـــفـــر وضّـــاحـــا وأخـــضـــر زاهيـــا
ونازع مـــحـــزون البنفـــسج لونه ... وحـــاك له ثوبًا من الجـــو صـــافـــيـــا
كـــواعبُ أترابٌ تـقـــاربن صـــورةً ... وسـيــمـةَ حـسن واخـتلفن كـواسـيـا
وأســـمع منه حين أقـــبس ضـــوءه ... وأنشق رياه فـــأُنصت واعـــيــــا :
«تشـاغلْ بما يجلو العـيـون وغـمـضـهـا ... ســـرائر دنيــــانا ، وإن كنت رائيـــا
وســيــان تحـديق العــيــون وغــمــضــهــا ... إذا كـــان مـــاترتاده العين خـــافـــيـــا
فـحـسـبك منهـا زينة تبـهـر النهى ... فــغـــيـــر قليل مـــاترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .

(*) زهرة القرنفل : جزء أول .

(١) البابلية : أى الخمر .

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ سَنَى الخجل المورّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها ولولا سناها قلت : كنت أراها !
تلوح كذكرى حالم يستعيدها لعمق معانيها و بعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً ورقةَ شجان ، وطاب نداها
وداعةَ ذات الدّل شاب فؤادَها شوائب من هجر ، فراض صاباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها وشفّتْ دياجيها ورقّ سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوّار الدهور على الكرى ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها ترسلت الأحلامُ ملءَ مناها
هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى تحس الليالى فيه خمسَ خطاها
هنا العالم الشهود ذكرى قديمةٌ وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أُحسُّها لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين .
(*) ليالى رأس البر : هدية الكروان .

جمالكَ - رأس البر - وفى زى ناسك   إذا ضاحكَ العينَ الضحوكَ شجاها
لياليك-رأس البر- فى صومعاتها   مناسك ضلّت فى الظلام هداها
صحابك-رأس البر- أطيافُ نائم   تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيامَ من الرُّؤى   ولم أر جهدًا فى الحياة عناها

* * *

حياتك-رأس البر - طفل مُجَدد   سقته ثدىٌّ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفةَ الخلد كلما   فنينا ، وكم تُفنى الجسومَ نُهاها
بحسبى من أبناءِ آدم إن صفا   لنا العيش يوْمًا ، أن تكفَّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهوى قلبى   زورقٌ يجرى
أين يمضى بى   نهره الخمرى
ليتنى أدرى !

* * *

ليته يجرى   يا أبا الأنهار
مثلما تسرى   فى حمى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف   مسبل الشعر
ناعس الأطياف   سابح الفكر
فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

يارياض النيل علمى قلبى
فرحة التّهليل عشتِ للحب
يامنى الصب

* * *

قال لى قلبى والهوى يرعاه
هو فى قربى ما الذى أخشاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتوارى فى الشتاء المغلّف المسدود
كل خاف يريد أن يتجلى فى الربيع المزخرف المشهود
هات لى العالم الصريح ودعنا من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر ! لكل شىء لاح فى ضوء القمر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليست من الآجرّ هاتيك البنىٰ لا بل خيال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل .
(*) فى القمر : عابر سبيل .

أكـــــــاد عـنـد رؤيـتـى طـلاءهـا أُرسـل عـــــــــينـىّ لمـا وراءهـا
كما تخوض نظرة فضاءَها

* * *

قد شفت بالصخرة مصباح الدجى فكيف بالنفس وكيف بالحجى
عاش على مر الليالى مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صفحة الجو على الزرقاء كالخد الصقّيل
لمعة الشمس كعينٍ لمعت نحو خليل
رجفة الزهر كجسمٍ هزهُ الشوق الدخيل
حيث يممت مروج وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشىء ! إنما العيش جميل

* * *

القمر والظلام (*)

لا أوثر القمراء فى حسنها على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يابدر يرينى الثرى وظلمة الليل ترينى النجوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .

(*) القمراء : الأعاصير . ص ٥٠ وبعنوان «القمر والظلام» (أعاصير مغرب ١٣٥) .

صداح الأثير (١)

ملأ الآفاق صداح الأثير ... لا فضاء اليوم .بل صوت ونور

لك من كل فضاء شاسع ... حيثما يممتَ ، داع وبشير

ماصقاد الجو إن فتشته ... غير أصداء حواليك تمور

لجِبٌ لكنه مستأذن ... يطرق السمع بسلطان قدير

أوْ هى الأرواح إن قلت احضرى ... حضرت ، أو شئت أعياها الحضور

قيل أمواج . فقلنا وبحور ... من معانٍ وبيان وشعور

تركب الألبابُ فيها سفنًا ... سبَّقا بين طويل وقصير

حملت من كل زاد ، وقرت ... كل غاد ، ووعت كل أثير[٢]

ولها فى كل يوم مددٌ ... يلتقى الأول فيه والأخير

* * *

كان فرعون له مجلسه ... وهو ذو الصرح المعلّى والسرير

ولنا فى كل دار مجلس ... يسع العالَم أيان يدور

هو نادلك ، أو مدرسة ... أو مجال السبق ، أو ملهى السرور

غلب الوهَم الذى زينه ... فى الأساطير خيالٌ مستطير

دعوة المارد إن قيست إلى ... دعوة المذياع ظن وغرور

بورك العلم لعمرى إنه ... من صفات الله ، والله قدير

ربما أسمعنا فى غده ... نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

* * *

(*) صداح الأثير : أعاصير مغرب .

(١) اقترحت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى .

أســود يلتحى (*)

أليس كــفى هذا الســوادُ فــزدتَه ... ســواد غــراب فى لحــاك مــعلق ؟
ســريت برأس لا حــدود لوجــهــه ... فــمــا زال فــيـه الليل بالليل يلتــقى
ألا فــانتظر حــتى تشــيب فــقــد ترى ... ســوادك مــحــفــوفــا بأبيض مــشــرق
وأخلقُ أن يرتادك الشــيــب حــالكا ... على حــالك ، لو كــان يجــرى بمنطق

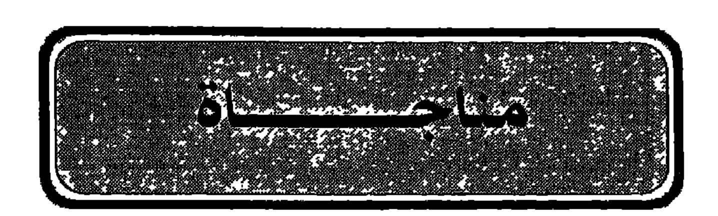
***

على شاطئ البحر (*)

نفض النســيم عن النفــوس رمــادها ... فـــأعـــاد للســـالى قـــديم هواه
والبـــحـــر تطّرد الخــــواطر عنده ... مـــــثل اطّراد اللـج حـين تـراه
لم أبصـــر الآذىَّ فـــيـــه كـــأنه ... خـيل الطّراد تســوقــهنَّ صَـبــاه
وكــأنّ متن الماء فى شــمس الضــحى ... فــيــروزجٌ قــدح الضــيــاء سناه
وكــأن مــبــيضّ الجليــد طفــا به ... إن مج بالزبد النقى حـــشـــاه
إلا وددتُ بــأن أراة فـــــلا أرى ... أفُـــقـًــا يصـــد الطرق دون مـــداه
الروح يطـمع أن يتــيــه بلا مــدى ... والعين ترسم فـى الفــضــاء خطاه
البــحــر أقــدم والنفــوس قــديمة ... فــالـنفـس تـألفــه ولا تنســاه

***

(*) على شاطئ البحر : الجزء الأول .


مناجـــــــاة

منـاجاة(*)

يا مـن أُحـب لـقـــــاءه ... ســرًّا وأزوى عنه جـــهـــرا
إن الـعـــيـــون بمرصــد ... لـى فـى هـواك ، وأنـت أدرى
من ذا يتـيـه على الـحـمـا ... ل وأهله بالـتـيــه أحــرى
الـشـمـس تحـيـى بالـضـيـا ... ءلحـاظنا فنغض قـســرًا
كن فى المَلاحـة والـصـبـا ... لَقلوبنا فــخًّــا ووكـــرا
واغنـم بحــسـنك حــبـنا ... واقنع بهـــذا الحب أجـــرا

***

لسان الجمـال(*)

يا من إلى البعـد يدعونى ويهجرنى ... أسكتْ لسـانًا إلى لقـيـاك يدعـونى
أسكتْ لسـان جـمـال فيك أسمعـهُ ... فى كل يوم بأن ألقـــاك يغـــرينى
أباالجـــمـــال تـناديـنى وتجـــذبنى ... وبالمقـــال تجـــافـيـنى وتقـــصــينى
هيـهـات لست بسـال عنك مـانطقت ... فـيك المحـاسن فـانظر كـيف تسلينى
أعـصيـك أعـصيك لأنّ آلوك معـصيـةً ... ولست أعصى جمـالا فيك يحـيينى

***

مــتى !(*)

متى تشرق الشـمـس التى قـد رأيتـهـا ... تغـيـب وراء الأفق فى مـغـرب الأمس
لقـد طال عـمـر الليل حـتى حسـبتـهـا ... توارت من الـغـرب المعـصـفـر فى رمس

***

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .

(*) لسان الجمال : الجزء الأول .

(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(. . . كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاى الشاعران النابغان المازنى وعلى شوقى قصيدة ابن الرومى النونية التى يمدح بها أبا الصقر ويقول فى أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان
فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعنــاب مهدّلة
سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازنى قصيدته فى مناجاة الهاجر ونظم شوقى قصيدة فى هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومى :

يهنيك يازهر أطيــــارٌ وأفنان
الطيــر ينشــد والأفنان عيــدان

طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهنى !
إنى ظمــئت وأنت اليــوم ريان

هذا الربيع تجلى فى مواكبه
وهكذا الدهر آن بعــدها آن

تفتحت عنه أكمام السماء رضىً
وزفــهُ من نعــيم الخلد رضــوان

وشائع النور(1) فى البستان باسمةٌ
والأرض حــاليــة والماء جــذلان

الشمس تضحك ، والآفاق صافية
جلواء ، والروض بالأثمار فينان(2)

وللنسيم خفوق فى جوانبه
وللطيــور ترانيم وألحــان

فى كل روض قُرى للزهر يعمرها
ياحبــذا هى أبيــات وسكان

مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ
كمــا تراسل بالأسواق حبّــان

الورد يحمر عجْبًا فى كمائمه
والياسمين على الأغصان ميسان (3)

وللقرنفل أثواب ينوعها
عن البِلَور صَناعُ الكف رقّــان (4)

(*) الحب الأول : الجزء الأول .

(1) وشائع الثوب : طرائق نسجه .

(2) فينان : مثمر .

(3) ميسان : نائم من الوسن .

(4) رقّان : مزركش - بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسَّكة　　كأنه راهب فى الدير محزان

وحبذا زهر الليمون يسكرنا　　منهنَّ جام خلا من مثله الحان

والليل يحييه والأطيار هاجعة　　بلابل وشحارير وكروان(١)

مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا　　فيستجيب له بَرٌّ وغيان

والصبح فى حلل الأنوارطرَّزه　　فى الشرق والغرب أسحار وأصلان(٢)

كأنما الأرض فى الفردوس سابحة　　يحدو خطاها من الأملاك ربان

ضاق الفضاء بما يحويه من فرح　　فكل ما فى فضاء الله فرحان

إلا المحب الذى لاحبّه دنس　　ولا مودته خِبٌّ وإدْهان(٣)

نقاه عن عُرس الدنيا شواغلُه　　إن الحدا عن الأعراس شغلان

. . . .

يامن يرانى غريقا فى محبته　　وجدًا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟

واضيعةَ الحب أُبديه وأكتمهً　　ومن عنيت به عن ذاك غفلان !

لى فى مديحك أشعَارٌ أضنّ بها　　على امرئ فخره عرش وإيوان

على محياك من وشى الصبا روَع (٤)　　وللمحبين أحداق وأعيان

ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم　　بحسن وجهك يهذى وهو ولهان ؟

ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبهُ　　ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟

هما شقيقان فارفق أن تحيلهما　　ضدّين بينهما نأىٌ وهجران

من علّم النا س أن الحب مأثمة　　حتى كأن ليس غير البغض إحسان

هبها جناية جان أنت آثمها　　ما كان يعصم لا إنس ولا جان

إن الجسوم مثنّاةٌ جوارحها　　إلا القلوب فصيغت وهى أُحدان

لكل قلب قرينٌ يستتمُّ به　　خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟(٥)

إِن التعاطف بالأرواح بغيتنا　　وفى الوجوه على الأرواح عنوان

تمثالك الصخر أحظى منك أن نفرت　　عنك العيون ، ولم يشملك وجدان

إنا لمن معشر حب الجمال لهم　　حبٌّ لما كان فى الدنيا ومن كانوا(٦)

---

(١) كروان : جمع كروان .　　(٢) أصلان : جمع أصيل .

(٣)إدهان : مكر وملق .

(٤) روع : ملاحة وجمال .

(٥) خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .

(٦) لايعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شىء إلا من لخص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

ليـأمنْ الطيـر أنا لا نكيـد له ... ولايخفْ مكرنا وحش وعقبان

لو تسمع الورْق[1] نجوانا لكان لها ... منا غصون نضيرات وأحضان

أو كان يدرَى حيىّ نبت عفتنا ... لم تُغض منه بأيدينا أغيصان

أو ينظر السائم النابى طويتَنا ... لم تألف القفرَ آرامٌ وغزلان

ولا اتقى الحوتُ شرًّا حين يبصرنا ... إذا وقته شباكَ الإنس قيعان

ياليت أن لنا كهفًا نعوذ به ... إن راح يفزعها بغىٌ وعدوان

* * *

....

ماضـرٌ من نال فى حين سعادته ... إن فاته فى طويل الدهر أحيان

إذا جنيت من الأيام زهرتها ... فاقنع ؛ فسائرها شوك وعيدان

ولا وربك ما بالنفس مقتنع ... أكان نجح لها أم كان حرمان

فإن روينا ، فبعض الرأى مظمأة ... وإن ظمئنا ، فما يرتاح ظمآن

أى الفريقين أحمى لهفةً ووجىً ... من ذاق أو لم يذق ؟ فالكل لهفان

ياليلة حُطمت أنوال حائكها ... فلا يحاك لها فى الدهر ثُنيان

العيشُ من قبلها شوق نعمت به ... والعيش من بعدها ذكر وتحنان

طالت ولا غرو فالجنات خالدةٌ ... وفى الوصال من الجنات ألوان

أصبحت والله لا أدرى لبهجتها ... أليلةٌ سلفت أم تلك أزمان

وكيف لا وهى شطرٌ حين أحسبها ... والعمر شطرٌ ، وفيها عنهُ رجحان

لقد شقانا الهوى خمرًا معتّقة ... صبا بها قبلنا شيبٌ وشبان

هيهات لا تبلغ الصهباءُ نشوتَها ... ولو تناول منها البحرَ نشوان

فاض الهيام على قلبى ففاض به ... نبعٌ له من وراء الدمع شطآن[2]

وددت والدمع فى عينىّ محتجزٌ ... لو سال منه على خدىَّ غدران

أمسيت أرشف شهدا من مراشفه ... والسلسبيل بعليين غيران

والنيل تجرى له فى كل ناحية ... جداولٌ لؤلؤيات وثغبان

يقودنا حيث شاء الموج واطّردت ... أمواهه ، فكأن الفلك وسنان

حتى تصرم جنح الليل وانبثقت ... من كل مطّلع للصبح عمدان

(١) الورق : أى الحمائم جمع ورقاء .
(٢) شواطئ .

فما أفقنا وعين الصبح شارفة ... وما هجدنا وغول الليل سهران

بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها ... شموس أنس مضيئات وشهبان

. . . .

بقية لك أتلوها وأُنشدها ... هذى القصائد لى فيهن سلوان

بقية من متاع الذكر قد صفحت ... عنها السنون . فلى بالذكر قنعان

كأننى تاجر فى الشط مرتقبٌ ... موج الخضمّ . وفلكى فيه غرقان

خذى بقاياك لو تسطيع تذهبها ... كما ذهبت فيطويهن نسيان

لا يأمن الحبَّ صبٌّ لا يكون له ... بالحب عن صلة المحبوب غنيان

ما كنت أجهل لما أن كلفت به ... أنى سألقاه يوما وهو غضبان

من لى به مثل ما أرضاه فى ملأ ... هاموا وهانوا فهم للوهم عبدان ؟

تفرق الناس أو طانًا وما افترقت ... لهم على حسب الأفهام أوطان

بتنا نساكنهم دارا ونحسبهم ... منا ، وشتان إنسان وإنسان

نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم ... هذا الشقاء ولا يجزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلاَّ كنت أكبرهم ... روحا فيتفقا ، روح وجثمان

صدَّقتَ باطل ما قالوا كأنهمو ... لا يكذبون ، أو آن العذل قرآن

أما علمت بأن الناس ألسنةٌ ... سودٌ لها غير ما تبديه أبطان

أحرى مزاعمهم بالشك أسيرها ... فالحق متئدٌ والإفك عجلان

وربَّ قولة زور قالها رجلٌ ... منهم فطاف بها فى الأرض ركبان

تداولوها فراحت فى مذاهبهم ... شريعةٌ نقضها كفرٌ وعصيان

ما كثرة المثبتين الأمرَ تثبته ... ولا بقلتهم للحق إيهان

فإن ألف ضرير ليس يَعدلهم ... بالمبصر الفرد يومَ الشك ميزان

. . . .

تكشَّفتْ هذه الدنيا فأنكرها ... حسى وأذهب فيها الحدْس إيقان

مازال يحرمنى دهرى ويوهمنى ... حتى غدا وهو بالأوهان ضنان

إناً لنضحك لا صفوًا ولا لعبًا ... وقد ينوح بغير الدمع أَسْوَآن[1]

أعيى العقول صلاحُ الخلق من قدم ... وضاق عن هديهم ذرعٌ وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة — لايجرمنّك[1] بَرُّ الناس أو خانوا

لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا — ونحن نحسب أن القوم قد مانوا

من عاش فى غفلة طاب البقاء له — وإن تولته بالأرزاء حدْثان

لم يدر من نام والأفلاك دائرة — أدار بالسعد أم بالنحس كيوان

فاطلب لنفسك منها مهربًا أمنًا — ودانِ من شئت فالأعداء خلاَّن

والزم حياتك واعشقها فبينكما — فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان

هى الوجود فصنه أن تجود به — على التراب ، فإن الحر صوان

. . . .

وانهض بها مرةً فى الدهر واحدة — ثم استرح أبدًا والحقْ بمن حانوا[2]

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى — وقالوا أراح الله ذاك المعذَّبا

فلا تحملونى صامتين إلى الثرى — فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا

وغنوا فإن الموت كأسٌ شهيةَ — وما زال يحلو أن يُغَنّى ويُشربا

وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى — فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !

ولا تذكرونى بالبكاء وإنما — أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

---

(١) لا يجرمنك : لا يهمنك .

(٢) حانوا : ماتوا .

(٢) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

قِــلاك مـن دفّـــاع نار الجـــحـــيم ووصلـك الجنـة دار الـنـعـــــــيم
وريـــقـــك الـــكـــوثـــر لـــكـــنـــه كـــالمُهل فى صـــدر المحب الكظيم
وخـــدّك الـزقـــــوم مــــــرٌّ لمن تزويه عنه وهو حلو الشـــمـــــيم
وأنـت تـضـنـى كـل جـــســـم سليمْ وأنت تشـــفـى من ضناه الســـقـــيم
وأنــت دان نــافـــــــــــر ، راحـــم قـــاس ، مــحـب ، كـــاره ، لا تدوم
ويـا نـســيــمًـــا شـــبـــمـــاً (١) ربما أذكى كـــمـــا أطفـــأ ذاك النســـيم
ويـا بـرىء الـوجـــــــه فـى نـاظرى ويا أثيـــمـــا فى الفـــؤاد الكليم
الحـب لـونـان ومـــــــــا أن أرى حـــبـــا بلون واحـــد يســـتـــقـــيم
كن لى على النعـــمـــة عـــونا أكن عـــونا لقلبى فى العـــذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غـــفـــر الذنبَ من بكائى عليك أننى لا أعـــود مـــا عـــشتُ أبكى
لا يـاوى - وقـــــد تعلمت منك- نسلُ حـــوّائكنَّ دمـــعـــةَ شك

خيـر مـا فى النسـاء سـاعـة ضـحـك

إلى صديق (*)

أُخىَّ وأعـــــذب بهـــــا لفظةً تذكّـرنى الـعـهـد عـهـد الصـفـاء
أهـــبْـــتَ بـــودى ولمَّـــا يمـــتْ فـأسـمـعـت حـيـاً بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .

(١) شبما : باردا .

(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين . (*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسنى القصر [1] عهدا خلا
وكيف وفى القصر معنى البقاء

وإن أنس شيئاً فإنى نسيـ
ـت يا صاحبى أيّنا قد أساء

ولست بقال ولا ناكث
ولكنْ كذلك شاء القضاء

وهذى القلوب بأيدى الزمـا
ن يقلب أهواء كيف شاء

وقد يذهل المرء عن نفسه
فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك فى اللواحظ إثمد [2]
إلا لدىّ فمن غبار يُرمِد

ها أنت بالرؤيا تضن لأنها
سلواىَ ، حين تركتنى لا أرقد

دل الظلام على المدامع خاطرا
أعيى عليه مع الصباح المورد

كم فى الدم المدعوّ بالإنسان من
زعم يطيش وعارض يتردد

العقل شيخ والحياة فتيِّة
والعيش بينهما شقاق مجهد

والطبع يغرينا ولست بواجد
كالطبع طفلا لا يفارقه الدّد [3]

أوّاه من عبث الحياة وسوء ما
يجنى الزمان وشر ما يتوعد

لا أشتكيه فقد أمرّ فساغ لى
ما لا يسوغ وسرنى ما يكمد

وجزعت حتى قيل جُن من الأسى
وصبرت حتى قيل صخر جلمد

أُبدى التجلد والتجلد فى الأسى
بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . .

وخميلةٍ يجنى الغداف قطافها
وترود حوليها الصّلال [4] الشرد

كرمتْ عنًاصرها وأينع يومها
حسنا ، ويوشك أن يطيب لها غد

ظللتها بالنصح إلا أنها
لم تلق من يرعى ومن يتعهد

باتت تجاذبها السّموم فتلتوى
طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد

يا من أصون جماله وكأنه
خصمٌ على تلك المحاسن يحقد

لا شىء أوجع لامرئ من أن يرى
حملا يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقى : الجزء الأول .

(1) إشارة إلى قصر ملا وهو طلل فى حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :

أعباس يهنيك قصر به   نسيت الوداد وعفت الإخاء

(*) خواطر الأرق : الجزء الأول .   (2) الأثمد : حجر الكحل .

(3) الدد : اللعب .   (4) الخميلة : هى الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا ... تخشى من الدانى الذى لا يبعد
وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى ... وتظل تنثر عقدها وتبدد
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... والنار حولك والدخان الأسود
لم تتبع نصحى وملت مع الهوى ... جهلا ، وغرَّك أن غصنك أملد
والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره ... ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود
إن كنت تحميك الطراءة والصبا ... شرٌّ التقصف فالتجرد أنكد
أولى بوجهك أن يضنيك حسنه ... من أن يحفك منه غيم أربد(1)
هذى يمينى فى يمينك فاعتصم ... أولا فأرسلها فما لك منجد
لو كنت نوحا لم تفدك سفينتى ... إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا
فاستبقِ ودك للذين عرفتهم ... إنى لغير الطهر لا أتودّد
ما كنتَ أوّل نعمة ودعتُها ... كلا ، ولست مع المودة تخلد
ماذا على الدنيا لو أن مغرراً ... منها يميل به الغواة فيفسد
لولا المشوب لما يمخض خالص ... منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا
ما كنتُ يوما بالأنام موكلا ... فأعدّ منهم من يضل ويرشد
إنى اتخذتك للصيانة قنية ... فعلمت أنك بهرج لا عسجد
فالآن ألقى فى التراب بحلية ... كانت أحب ذخيرة تُتقلد

إليك (*)
إهداء الديوان الثانى

إليك إهداءُ أَطرابى وأشجانى ... لوكنتَ تعلم إسرارى وإعلانى
شعر لحسنك فيه كلُّ قافية ... وما تضمَّن إلا بعضَ وجدانى
يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته ... كأنما هو قربانٌ لأوثان
ولو صمدتُ بتسبيحى إلى وثن ... إذن لأثلج صدرى صدقُ إيمانى
وخفف النار : نار الوجد عن كبدى ، ... علمى بأنك لم تجهل بقربانى
لكنْ جهلتَ مناجاتى فواجدلى ... لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان
يا من هو الناسُ فى عينى وإن كثروا ... إنى أخص بشعرى كلَّ إنسان
أُهدى إلى الناس ما أعنيك أنت به ... فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديوانى

(1) الأربد : اللون الكدر المتغير .
(*) إليك : الجزء الثانى .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهى مضيئة ... وأنت مضىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر ... وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبى للحياة فإنها ... شعور ، وكم فى القرب منك شعور
فهل فى ابتغائى الشمس والزهر سُبَّة ... وهل فى ولوعى بالحياة نكير

. . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا ... على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم ... رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ووا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم ... وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا ... إذا سئلت حارت وليس تحير (1)
أنشقى بدنيانا لأن منعَّما ... من الناس بسّام الثُّغير غرير
أيذوَى الصبا فينا لأنك ناشئ ... ربيع الصبا فى وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور ... بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا نتملى الحسن والحسنُ جمةٌ ... مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضيعة الدنيا إذا لم يكن بها ... غنىً عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعةَ النفس التى لا يجيرها ... من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالى غيابها ... وإن غبت آض العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع ... فيهدأ قلب بالضلوع نَفور
قريتَ ، ولم يخطئ عطاش تلهفوا ... على جدول فى السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التى أنا سائر ... عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم نُوَلِّ شطرك لامنا ... على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة ... وما لمحب فى سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (2) ... وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما فى الأرض حظ لناظر ... ولا النجم فى عُليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثانى ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .

(١) تحير جوابا : أى ترد .

(٢) شوار العروس : جهازها .

بعد عام (*)

كاد يمضى العام يا حلو التثنى ... أو تولّى
ما اقتربنا منك إلا بالتمنى ... ليس إلا !

* * *

مذ عرفناك عرفنا كل حسنٍ ... وعذابِ
لهب فى القلب ، فردوس لعينى ... فى اقترابى

* * *

غير أنا لا نرى الفردوس إلا ... رسمَ راسمْ
وشربنا من جحيم الحب مُهلا ... شرب هائم

* * *

لا تلمنى أنّ قلبى خاننى ... أو عشقتُكْ
لم يكن منّىَ إلا أننى ... قد رأيتكْ

* * *

كان فى الدنيا جمال لا يُعَد ... ثم لُحتا
فعددنا الحسن طرّا فهو فرد ... وهو أنتا

* * *

كأس على ذكرى (*)

. . . .

هاتها واذكر حبيب النـ ... ـفس يا خير ثقاتى
ودع التلميح واجهر ... باسمه دون تقاة [1]
أترى نُحرم حتى ... ذكره فى الخلوات ؟
صفه لى صفه وما كا ... ن بمجهول الصفات

(* بعد عام : الجزء الأثانى . ١٤١ (٨ فقرة ٢٩) .
(*) كأس على ذكرى : الجزء الثانى . ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) .
(١) تقاة : مبالاة .

غـيـــر أنى أمــتع الســمـ ـــع بحظ الحـــدقـــات

صـفــه فى عـينى ومما تعـ ـــدو به وصف الأضـــاة[1]

صـفــه فى قلبى لو اسطعـ ـــت ، وتـرجم زفـــــراتى

أتـــرى ألـــبـــق مـــنـــه باصطيـــاد المُهــجـــات

أتـرى أمـلـح مـن خـطـ ـــرتـه بـين الخـطـرات

أترى أصـــبح من خـــد يــه بــين الــوجـنـــات

أترى أعــــدل من قـــا مــتــه فى الصــعــدات [2]

ذهبىّ الشـعـر سـاجى الطـ ـرف حلو اللفـــتـــات

وحـــــيىّ لا يحـــــيـ ـك بغـيـر البـسـمـات

جـــــاهل بالحب أشكو ه ولا يـدرى شـكـــاتـــى

وغـــــرير القـلـب لا يفـ ـهم مـــعنى نظـراتى

ودّ لـو يســــأل مـــالى مــســتــهَلّ العـبـرات

وإذا قـلـت «شـــجـــانى مـن أفـــــدّيـه بـذاتـى

ليس ينجـينى وفى كـفـ ـيـــه لو شـــاء نجـــاتى»

قـــال مـــا أقـــســـاه من جـــا ن غـليظ القـلب عـــات !

. . . .

صـفـه ! بل أمـسك فـقـد ها جت عليــه خُـــرُقـــاتى

جـــمح الوجـــد بأشـــجـــا نى وضـــاقت أزَمـــاتى

هاتهـــا صـــرفًـــا وأغـــرق فى طلاها حـــســـراتى

عـــوضـــاً عـــمـــا يؤاتى مــن هـــوى أو لا يـــؤاتـــى

الصبابة المنشورة (*)

صبابةَ قلبى ! أقبل الليل غاضياً [3] فهّبى ! فقد يغشى الرفاتُ المغانيا

وقد تهجر الموتى القبورَ أمينةً إذا الليل غشّى بالرقاد المآقيا

---

(1) الأضاة : المرآة .

(2) الصعدات : جمع صعدة وهى قناة الرمح .

(*) الصبابة المنشورة : الجزء الثانى .

(3) غاضيا : مظلما .

وثوبى إلى الدنيـا مع النوم فـانظرى ... مكانك قـد أنوى وعـرشك خـاويا [1]
ومُـرّى به مـرّ الغـريب وطالما ... تربعتِ فـيـه قـبل ذاك ليـاليـا
ولا تسـألى من بالديار ؟ فـأنهـا ... على مـوثقٍ ألا تجـيـب مناديا

* * *

بدا شـبح عـار من اللحم عظمُـه ... يجـاذب أضـلاعـاً عليـه حـوانيـا
يقـارب فى قـيـد المنيـة خطوه ... ويمشى به ليـلاً مع الليل ثانيـا
وقـال سـلام ! قلت فـاسلم وإن يكن ... دعـائى لميْت بالسـلامـة واهيـا
مَن الطارق السارى ؟؟ فـقال صبابة ... نعـمتَ بهـا حينا ومـا أنت ناسـيـا
فـقلت أرى جـسـمًا عـرى من روائه ... وعـهـدى به من قـبلُ أزهر كـاسـيـا
جـهلتك لولا مـسـحـة فـيك غـالبت ... بشـاشـتُـهـا أيدى المنون المواحـيـا
جـهلتكِ لولا هـزّة فى جـوانحى ... يدَ الدهر [2] لا تُبـقى من الشك باقيا
ألا شـدّ مـا جـار البلى يا صـبـابتى ... عليكَ . فكيف اسـتلّ تلك المعـانيـا
أأنت التى أسـهـرتنى الليل راضـيًـا ... وأنت التى أسكرت عينىّ صاحيا ؟؟
وأنـت الـتـى كـنـا إذا الـنـاس كـلـهـم ... تولوا ، وجـدنا مـغنمـا فـيك وافـيـا
وأنت الـتـى جلّيت لى الأرض جلوة ... أسـائل عنهـا الأرض وهى كـمـا هيـا
أسـائل عنهـا كل شىء رأيتـه ... أمـا كنتَ فـينان [3] المحـاسن شـاديا
نفـخت بهـا روحـاً فـغـرد صـامت ... ورنّم جلمـود ، وأصـغـيـتُ لاهيـا
فلمـا ألَمّ البين لاذت بصـمـتـهـا ... وأمـسـيتُ حـتى يأذن اللّه صـاغـيـا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة [4] ... ولو كـان فـيـه مـعـبـد [5] القـوم ثاويا

* * *

نعـم أنت لـولا سـاتر من منيـة ... وحـسـبك سـتـراً بالمنيـة سـاجـيـاً
وأن امـرءاً مـاتـت خـوالج نفـسـه ... فليت لقـد جمع الشرين حيّا وفـانيا
حـيـاة لهـا حـد ولا حـدّ للردى ... فـليت المنايا والحـيـاة تواليـا
كـمـا تـتـوالى يقظة العـيش والكرى ... وتعب أنوار الصـبـاح الدياجـيـا

---

(١) خاويا : تخرب .
(٢) أى إلى آخر الدهر .
(٣) فينان : مزهر .
(٤) نأمة : صوتا خفيا .
(٥) معبد : إمام المغنيين فى صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا (١)

* * *

الهين الصعب (*)

. . . .

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا

فإن تباعدت عنى وادّنيتَ لهم فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا

يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم فلا يملك عنا الصد والعجب

أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها أبهج من كل منظر نَضِر

كأنها والعيون تنهبها والنفس تَرْوَى بحسنها العطر

ألف ربيع للعين مُدخَّر بل ألف حب للقلب مختصر

يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً من حُسْن شتى الرياض والغرر

أضمه كله وأرشفه فى قبلةٍ كوثرية السَّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها ففيم الوقوف على الساحل ؟

إلى الماء ! لا بل إلى السابحـ ـين ، لا بل إلى الغرق العاجل

فليس على البحر إلا غر يقٌ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !

سواحره احتشدت كلها علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

(١) دواليا : بالتداول .

(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .

(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .

(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مـائـدة (*)

مـــائدةٌ أســـرف فى طهـــيـــهـــا عـشـرين عـامـا ، عـبـقـرىُّ الزمـانْ
أكـــرمنا الطاهى بهـــا ســـاعـــةً فـكـيـف بالمكـرم يلقـى الـهـــوان
حـــسنٌ وأنسٌ وحـــيـــاءٌ مـــعـــاً وطلعــــة البــــدر ونفح الجنان
مـــدتْ لنا طوعـــا فـــمـــا عـــذرنا إذا تركنا لـقـــمـــةً فـى الخـــوان [1]

***

لغـــير البيع (*)

جـواهر الحب قـالوا : غـيـر زائفـة مـهـلا ! فـمـا أنا فـيـه بائع شـار
كـــــلا ، ولا أنا مـن شـكٍ ولا ولع بالسـرِّ عـارضُ أحـجـارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه . . إنّى قـنـعـت بومضٍ مـنـه غـــــرار
مــــا للأناسىّ من حب يدوم ، ولا حب يقـــوم على صِـــدق وإيثـــار

***

ليلة البــدر (*)

هاتِ لى الذكـرى وجـدد مـا مـضى ، عندك الذكـرى ورُجـعــاها مــعـــاً
هاتَ مـا كـان كـمـا كـان انقـضى ، أو فـــجـــددْ غـــيـــره مـــبـــتـــدعـــا
ليلة البـــدر ، وقـــد كـــان الرضى مـــوعـــدَ الأهرام نبـــغـى مطلعـــا
فـــقـــضى اللّه ســـواه غـــرضـــا

***

(*) مائدة : وحى الأربعين .

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .

(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .

(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

قــــد نوينا ونوى الغـــيبُ لنا نيّـــةً أمــتعَ للمـــســتـــمــتع
خُـسف البـــدر وأمـــســيت أنا ادَّعى مـن نشـــوة مـــا أدعى
كلمــــــا ناديتنى هيّـــا بنا ! قلت : هيــا ! وأنا فى مــوضــعى
السنى عندى فــمــالى والسنى

* * *

خُسف البـدر ومـا كـان الخسوفْ شـيــمـة البــدر الذى بينَ يدىّ
نشــر الناس وطافــوا بالدفــوف وأنا والبـــدر فى نشـــر وَطىّ
خلٌ من شــاء كـمـا شـاء يطوف إن بـــدرى طـــالــع مـنــه إلىّ
لا أحب البـــدر ترعـــاه الألوف

* * *

يا ســمــير الليل يا نعم الســمــيـر مــا لنا والـصــبـح مــا دمت أراك
أنا فى نور وروض وعـــبـــيـــرْ حــينمـــا ألقـــاك لا ألقى ســواك
رشــفـةٌ من ثغـرك العـذب النضـيـر أو من الكأس احـتـوتهـا شـفـتــاك
وســـلامٌ أيهـــا الكون المنيـــر

* * *

هاتِ لى من فـيك أنفـاس الغــرامْ أو فـقل إن شـئتَ أنفـاس الحـيــاة
واسـقنى الخـمـرة من أعـذب جـامْ لا من البلوّر فى أيدى الســقـــاة
ثغـرك الضــاحك كـأسٌ ومُــدَامْ ونــديمٌ لـــى ، وراو فـــى الـــرواة
ينشـد الشعـر فيـشجينى الكلام

* * *

ينشـد الشـعـر جـديداً كـالصِّبـا وأنـا نـاظـمــــــــه مـنـذ سـنـين
بث فـيــه من صـبـاه عــجـبــا فـــــإذا قلتَ ارتجــــالٌ لا تمـين
هات لى الحـــســن وهات الأدبا واســقنى الخــمــر من الثـغـر المبين
ذاك حــسـبى فى زمـانى مطلبـا !

* * *

إعفــاء (*)

أعــــفـــيك من حليـــة الوفـــاءْ ... إنـك أحـلـى مـن الـوفـــــــاء !
خـونى . فـمـا أسـهل التـقـصّى ... عندى ومـــا أســــهل الجـــزاء
وليس بـالســـهل فى حـــســـابى ... فـــــقـــــدك يا زينة النســـاء !

* * *

الحـب الضاحـك (*)

فرغتُ من الحب الذى يُعقب الشكوى ... فحبى من النُعمى وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حـــجـــةً ... فـلا نار بعـد اليـوم . . اليـوم للحلوى

* * *

لو كان إلها (*)

(قال الشاعر الفرنسى «دوجيرل» لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدىْ قدرتى وقضائى، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين -إبتغاء قبلة واحدة» .
وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخير ما ... تبـدى القلوب من الغـرام الصـادق
بل لو غدوتُ كما اشتهيت وأشتهى ... رباً ، أخـــذتك أنت أخــذ الواثق
فـتــرين أنك حين فـزت بحظوتى ... أحلى وأجمل من جـمـيع خلائقى
وتسيطرين على الصـروف ، وفـوقَـهـا ... نبـضـاتُ قلبى المسـتـهـام الوامق
إن كـــان رب الكون عندك قلبــه ... أهونْ لـديك بأنجم وصــــــواعق
وبكل شـمس فى السمـاء وضيئةٍ ... وبكل بحـــر فى البـســيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحى الأربعين .

ماذا عليه (*)

مــاذا عليــه إذا اســـتــوى   وإذا التــوى ، مــاذا عليــه ؟
هـذا القـــوام جـــمـــالـهُ   مـهـمـا تعـسّف ، فى يديه !
أنّـى تمـايـل عـطـفـــــه   مـــالت جـــوانحنا إليـــه
أشـــتـــاق بعض نفـــاره   شـغـفـاً برؤية صـفـحـتـيـه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هـات الـربـيـع الـغـضّ لـى كـلَّـه   فى روضــة ، بل طلعــة ، بل شـفـهْ
إن فـــاتنى جـــمـع أزاهيـــره   فى قطفــة ، فــالرأى أن أرشـــفــه

* * *

نبضات جديدة (*)

خـــفـــقـــاتٌ تلك من وزن جـــديدْ   أيهـا القلب ! فـأسـمـعنى صـداك
ذلك الوجـه ، ومـا العـهـد بعـيـد !   أنـت تهـــواه ، فـــلا تنكر هواك

* * *

أنـت تهـــواه وتســـعى بى هنـا   كـلّ يـوم بعـــــد يـوم كـى تـراه
لا تـراوغـنـى وقـلْ هـيَّـــا بـنـا   فى صـريح القـول ، نسـتـجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحى الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحى الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحى الأربعين .

نحـــسب الرقـــة فـــيـــه ألمَا   فـــإذا أنت من الـوجـــد تـذوبْ
لا يـــكـــون الحـــب إلا هـــكـــذا   أنا لا أجـــهل أســـرار الـقـلوب

* * *

كـاصـفـرار الشـمس فى ثوب الغـروبْ   واصـــفـرار العـــاج فى ثوب القِـــدمْ
ذلك اللونُ نـســمّـيـه الـشـحـوب   وهو فى الحـسـن شـفـيع للسّــقم

* * *

رحـــمـــةً للقلب من ذاك الوُجـيـــهْ   صـــــيـغ ذوبَـىْ حـنـان وحـنـينْ
كـلمـــا رفـــرفت بالـعين عليـــه   شـبَّـهَ الـفـرحـان عندى بالحـزين

* * *

إن أشـــأ قلتُ خـــيـــالٌ فى الكرى   أو أشـــأ قلت عـــيـــان لا خـــيـــال
جُـــمع الأمـــران لى فـــيـــمـــا أرى   حين صحَّ الحُلم فى خـيـر مـثـال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلمـــا قلتَ لى الربيع جـــمـــيلٌ   قلتُ : حـقّـاً . وزاد عندى جـمـالا
عـجـبـاً لى بل العـجـيـبـة عندى   صـور الكون كم يسـعن كـمـالا
خلتُنى قـد وعـــيـــتـهن عِـيـانـاً   وتتـبـعـت من وَعـوها خـيـالا
شـاعـراً عـاشـقـاً وقـارئ كـتْـبٍ   قـــرأ الكتب دارســاً ، فـــأطالا
فـــإذا نظرةٌ بلحظك تبـــدى   صـــوراً مـــا طرقنَ عنـدىَ بالا
بـعــــداد الأنوار فى أعين الحـــ   ـــب نعـد الأكـوان والأجـيـالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم مـوعـدها البـعـيـد ألا ترى   شـوقى إليك ، ومـا أشـاق لمغنم ؟
شـوقى إليك يكاد يجـذب لى غـدًا   من وكـره ، ويكاد يطفـر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .   (*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرعْ بأجنحة السماء جميعها إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحد يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . .

يا يوم موعدها ستبلغنى المنى وتُتم لى الفردوس خير مُتَمّم
لا غصن رابية تقصِّر راحتى عنه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟
فأبيتُ ثم إذا احتوانى أفقها لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحى بصبحك حين تشرق شمسه فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأنى مثّال وحسنك تمثالى عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلب تسرى كأنها خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكالٍ الخيال وتنثنى وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمثَّت فيك معنىً لمستُها محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحتْ عينى فأنت مجيبها فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى غنىٌّ على وفر من الوقت والمال [1]
فما فيك من نقص ولكنما الهوى نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ لها زينتاها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ فى البحر والسما
جرّبها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ فى الأزياء
مجوّد الاتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزَّبَد الوضّاء
زيَّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسماء
ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء
وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبِّلٌ مبتسم الأضواء
مردِّد الأنغام والأصداء
وقبلةٌ منه على رضاء
غنىٌّ عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماءِ [1]
وعنك يا دنيا بلا استثناء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .

(١) الشابيب أول ما يظهر من الحسن . وشدة اندفاع كل شىء والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ نظيران يستبقان النظر
جمعتما أنا فى لثمة أو البدر قبَّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ة ، وأنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير [1] الذى أبقاك خائفةً على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واوَيْلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .
(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .
(١) النذير بالغارات .

ساعى البريد (*)

هل ثم من جـــديد　　　يا ســـاعى البـــريد

* * *

لو لم يكن خطابى　　　فـى ذلـك الـوطاب
لـم تـطـوِ كـلَّ بـابٍ　　　يا ســـاعى البـــريد

* * *

مـــا ذلك التنســيق　　　والجـــمع والتــفـريق
والقــفـز والتــعـويق　　　يا ساعى البـريد ؟!

* * *

كـسوتُك الصـفـراء　　　والخطوة العــرجـــاء
يمشى بهـــا الرجـــاء　　　يا مــحنة الجليـــد

* * *

لو لم تكن جـمـــالا　　　فى مِشية العجالى
صغنا لك التمـثالا　　　من جـــوهر فــــريد

* * *

لا أحسب الساعات　　　فى حـــاضـــر وآت
إلا على الميــقـات :　　　مـيــقـاتك الوئيـد

* * *

(*) ساعى البريد : هدية الكروان .

في شرفتي أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر يا ساعي البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتني تميتها
لقيتها ! لقيتها يا ساعي البريد

* * *

جددتَ لي انتظاري وقلة اصطباري
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

أكرم به من ثمر منتظرٍ مدّخر
في كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفاً بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور في ساعة البريد

* * *

في لمحة تنتشر منك المنى والعبر
وأنت ماض تعبر كالكوكب البعيد

* * *

كن أبًا مريدي بالخبر السعيد
وبابتسام العيد يا ساعي البريد

* * *

عجب الساعى (*)

عـجب «السـاعى» الذى كنتُ له أبداً فى شـرفـتى منتظرا
إنَّ من تُحـضـر لى أخـبـاره أيهـا السـاعى بخـيـر . حـضـرا
ألق إن شـئت وطاباً حـافـلاً لا أبالى لحظةً إن صـفـرا
الـطريق الآن لا أرقـبـه لأرى وجـهك . ولكن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العـذر ، فـلا تظهـر الآن . فـهـا قـد ظهـرا
لا تذكّـرنى نواه بعـد مـا كنت تروى عنه ذكـراً عطرا

* * *

تسلّم (*)

تسلّمْ هذه الدنيـا كـمـا خلّفـتـهـا عندى
وحـاسـبْهـا على قـربٍ بما تجنى على البـعـد

* * *

تسلم هذه الشـمـ ـس التى تؤنس أو تهـدى
لقـد كـانت هداها اللـ ـه مكسـالا من المهـد
تجـوب الأفق فى جـهـد ومـا تسـرع بالجـهـد
وكـانت تحـجب الأنو ار أو تُبـدى فـلا تجـدى
وكـانت شـعلة حـرَّى من اللوعـة والوجـد

* * *

(*) عجب الساعى : هدية الكروان .
(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيـا ر واسألها عن العهد
تُغنّى الآن فاسألها أغنّت قط لى وحدى ؟
وإن غنّت فهل كا ن سوى نوح لها مُعْد
وإن أعدَتْ فهل تُعدى بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها اللـ ـه : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف وأين تحية الفرد
لقد كانت لحاها اللـ ـه تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها وفيم تضن أو تسدى

* * *

تسلّم أنجم الليل بلا عدٍ ولا حد
تسلمها وكاشفها بما تخفى وما تبدى
وسلها كيف ضلّتنى وما ضلت عن القصد
وفيم تغامزٌ منها إذا حيّرنى قيدى
نعم قيدى الذى فى النـ ـفس لافى صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلم زهرك المحبو ب فى السهل وفى النجد
تراه ضاحك العين تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ ـس حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصى بغير الهم والزهد
فما عن لومه فى ذا ك يا مولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيا كما خلّفتها عندى
بحمد الله تلقاها كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيا عنها وعنى وعن الود

وعلمـــهـــا إذا مـــا عـــدت لا عـــدتَ إلى الـبــعــد
أمـــانـاً فى مـــغـــيب منـــ ـــك أو فى مـحـضَـر رغـد
فـــمـــا تـسـمع لى قـــولاً إذا ناجـيـتـهـا وحـدى !

* * *

ثـرثـارة (*)

أراك ثرثارة فى غـــيـــر ســـابقـــة فـهـات مـا شـئـت قـالاً منك أو قِـيـلا
مـــا أحـسـن اللغـــو من ثغـر نقـبلهً إن زاد لغـــواً لما زدناه تقـــبـــيـــلا

* * *

زمـن محـل (*)

أمـــحـــل الـدهـر واطَّـردْ لا خـــمـــيسٌ ولا أحـــد
لا انـتـظـار لمـوعـــــد أو هيـــامٌ بمـن وعــــد
كـل أيـامـنـا تـســـاً ويُـن فـى الـوسـم والـعـــدد
صـبـحـهـا مـثل ليلهـا والتـقى أمـسـهـا بغـد
تـنقص الـعـمـر كلهـا وبـهـا الـعـمـر لم يُزد (١)
لـم تزد مـاضـيـا وقـد نقـصـت مـقـبـل الأمـد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .

(*) زمن محل : هدية الكروان .

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد فى ثروة الماضى . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك منى الشكر حـــتى على ... إســاءة اللقــيـا غــداة الســفــر
أغــضــبــتنى منك فــأنجــيــتنى ... من لوعــة الهــجــر وطول الســهــر
إذا التــوى الصــبــر على عــاشق ... تَعــرَّضَ العــتب له فــاصطبــر
مـــا ذاكـــر اللجـــة رياً لـه ... كـــذاكـــر اللجـــة فـــيـــهـــا الخطر
ولهـــفـــة الظامِئ ترياقـــهـــا ... أن ينظر الغــصــة فـــيـــمـــا انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عـــــرفت من الحب أشكاله ... وصاحبت بعد الجمال الجمال
فـــحـــبّ المصـــور تمثـــاله ... عـــرفتُ ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القـــداســـة لم أعـــدُه ... وحب التـــصـــوُّف لم يعـــدُنى
وفـــى كـــل حـــب وَرَى زنـــده ... ســـمـــاتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

. . . .

وحب التى علمـــتنى الهـــوى ... وحب التى أنا علمـــتـــهـــا
ومن أســـتـــمـــد لديهـــا القُـــوى ... ومن بالقـــوَى أنا أمـــددتهـــا

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .
(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . .

صنوف من الحب لا تلتـــقى | وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق | لما كنتُ كفؤاً لهذا الهوى

* * *

هذا هو الحب (*)

غريرٌ تسأل : ما الحب ؟
بنيتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصر ما لا يُرى | أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسبغ الحق ما سرّنى | فإن أبى ، فالكذب المفترى

* * *

الحب أن أسأل : ما بالهم | لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله | هام بها بُهرًا وما فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفرق (1) من نملة | حينا وقد أصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارةً مقبلا | وخطوتى تمشى بى القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لى | سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل | نعم . ولا أحفل أن أسكرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .

(1) أفرق : أخاف .

الحب أن يفرق أعمارنا عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا عانقتني ألفيتني الأصغرا

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أن أجمع في لحظة جهنم الحمراء والكوثرا
وإنني أخطئ في لهفتي من منهما روّى ومن سعّرا

* * *

الحب أن يمضي عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت في ساعة حواشي الدفتر والأسطرا

* * *

بنيّتي ، هذا هو الحبُّ
فهمته ؟ كلا . ولا عتب !
مسألةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها . لو شفت حسب ،
إشارة دقَّ لها القلب

* * *

الحب (*)

ما الحب روح واحدٌ في جسدىْ معتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحان معاً كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة أو رجعةَ طرفةَ عين

* * *

الصدار الذى نسجته (*)

هنا مكان صدارك هنا ! هنا ! فى جوارك

* * *

هنا ، هنا ، عند قلبى يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل على المودة حسبى

* * *

ألم أنل منك فكرة فى كل شكّة إبرةْ
وكل عقدة خيطٍ وكل جرة بَكرة !

* * *

هنا مكان صدارك هنا ، هنا ، فى جوارك
والقلب فيه أسيرٌ مطوق بحصارك !

* * *

هذا الصدار رقيبٌ على الفؤاد قريبُ
سليه : هل مر منه إلىّ طيف غريب ؟

* * *

نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى ما زلت فى إصبعيك

* * *

(*) الصدار الذى نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبُعدًا نُرَجّى أم نرجى تلاقيا ... كلا البعدِ والقربَى يهيجُ ما بيا
إذا أنا أحمدتُ اللقاءَ فإننى ... لأحمَدُ حينا للفراقِ (النعم)
ألا من لنا فى كلِ يوم بفرقة ... تُجددُ ليلاتِ الوَداعِ كما هيا
ليالٍ يبيح الدّل فيها زماهُ ... ويُرخص فيها الشوقُ ما كان غاليا

* * *

وياليلتى لما أنستُ بقربه ... وقد ملأ البدرُ المنيرُ الأعاليا
تَطلَّعَ لا يَثْنِى عن البدر طرفه ، ... فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا
بنا أنت من بدر وددت لو أنه ... على الأفق يبدو أينما كان ثاويا
غدا تنظر البدر المضوّئَ . فوقنا ... وحيدين من دارين لم تتلاقيا
أشم شذى الأنفاس منك وفى غد ... سيرمى بنا البين المشتُّ المراميا
وألثمه كيما أبرد غلتى ... وهيهات لا تلقى مع النار راويا [1]
فقبّلت كفيه وقبلت ثغره ... وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا ... فنشتدّ من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادى طائر عاد إلفه ... إليه فأمسى آخرَ الليل شاديا
إذا ما تضامنا ليسكن خفقه ... تنزّى فيزداد الخفوق تواليا
أو شجَّ فى كلتا يديه رواجبى [2] ... وشيجا يظل الدهرَ أخضر ناميا
وتلمس كفى شعره فكأننى ... أعارض سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجنى ، فينفر غاضبا ... وأعطفه نحوى فيعطف راضيا
أقول له يكفيك أنك قادر ... على أمل أعى الزمان المعاديا
قدرت على إسعادنا ومنحتنا ... لياليَ أعيى منحهن اللياليا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن ... جميلا به أن يترك الخل شاكيا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .

(١) راويا : اسم فاعل من روى الماء .

(٢) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعيـة صـاحت ولِلَّيل هجـعـة — فـقـال : «عـلام البـوم ينعب ناعـيـا»
«لقبحتِ منعـميـاء تقرأ فى الدجى — إذا اسـود أسطار الخـراب الخـوفـيـا»
فقلت :علىَ النفس التى سوف تغتدى — طلولا بأحناء الضلوع حـوانيـا
تجوس أفـاعى الحـزن فى جنبـاتهـا — ويا ربما تأوى الضلوع الأفـاعـيـا
فـلا تحـسبن البـوم تنعى المغـانيـا — فـقـد تندب البـوم النفـوس البـواليـا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها — أخـو غـمـرات ليس الفـيـافـيـا

* * *

ولما تـقـضـى الـليـل إلا أقـلـه — وحـان التنائى جشت بالدمع باكـيـا
فـأقـبـل يرعـانى ويبكى وربما — بكى الطفل للبـاكى وإن كـان لاهيـا
وزحـزحنى عنه بكف رفـيـقـة — وأسـبل أهداب الجـفـون السـواجـيـا
يقـول لقـد ران الكرى وتفـرّقت — نجـوم الدجى والديك أصبح داعـيـا
فـقـلت وكم من ليلة إثر ليله — سـهـرتُ وقد أمسيت وحدك غـافـيـا
فـهـب من رقـادك ليلة — تمرٌ ، فـإنى قـد وهبت حـيـاتيـا
حـرام علىَّ النوم ، مـادام هاتف — من الليل لا ينسى إذا بت ناسـيـا
وأسلمت كـفى كـفـهُ فـأعـادها — وقلبى ! فـهـلا أرجع القلب ثانيـا
فلم أر ليـلا كـان أبيض مطلعـا — وأسـود أعـقـابا وأشـجى مـعـانيـا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . .

يدور بهـا السـاقى علينا كـأنهـا — مـبـاسم ثغـر والحـبـاب ثناياه
جـرت فى صـفـاء الدمع وهى دواؤه — فـمن ذاتهـا لم تجـر بالدمع عـيناه
تنيـر فلولا أن تسـيل رحـيـقـهـا — لقلت لظى أذكى النسـيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧٤ (٦٢(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغـــلام بجـــامـــهـــا ... يرفـرف حــوليـه الفــراش ويغــشـــاه

لـهــــا فى يمين الـشــــاربين توهج ... إذا مـا خـبـا قلب من الحـزن أذكـاه

تلوح كـمـاء المُهل [1] أمـا مـذاقـهـا ... فمن سلسبيل الخلد فى طيب سقياه

تشـابه فى عين النديم ومـا انتـشى ... فــوارغُ صف كـــالـثـــريا ومــــلآه

كؤوس كجام السحر [2] يكشف وحيه ... لعـينيك من سـر العـوالم أخـفـاه

إذا طاب فى الفـردوس رياً نسـيـمـهـا ... فـــأطيبُ فى دار الشـــقـــاوة زياه

ولو مـــزجـــوا بالخـــمـــر طينة آدم ... لعــاش ولم يدر القطوب مـحـيـاه

***

حسناء عمياء (*)

قــــرة الـعـين عــــزاءً ... لـك فى الـكون المنيــــــر

إنّ طرْفــــاً يأســــر النا ... س هو الآن أســـــيــــر

إن سـحـرا غـاض فى عـينـ ... ـيك هيـهـات يحـور [3]

صـدت الـشـمس ضـيـاها ... عنـك يا أخـت البـــدور

غــــربت عنـك غــــروباً ... مــــا لـه الـدهر بـكـور

ليت نور العين مــصـبـا ... ح مــعـــار فـتـــعـيـــر

لـيس أولى ببكى العـــيـ ... ـن من الحـسـن الضـــرير

وجـمـــال عن جــمـــالِ الـ ... ـكون مكفـوف حـســيـر

مـطـمح الأبـصــــار بـدع ... أن يُرى غــيـــر بصـــيـــر

***

(١) المهل : شراب أهل جهنم .

(٢) هى الكأس التى يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .

(*) حسناء عمياء : الجزء الأول .

(٣) يحور : يعود .

من تقليد «نشيد الأناشيد» (*)

أجل تلك خـبـايـاهـا   وهـاتيـك خـطـايـاهـا
فـهـل تدرين مـاذا   ك الذى يدعى مـزايـاها ؟!

* * *

لما فـيـهـا من العـيـب   سننسـاه وننسـاها
وللحـسن الذى فـيـهـا   سنُحـيى الآن ذكـراها

* * *

سأحـصى لك مـا يعـجـبـ   ـب منهـا ، وهو كـالشـمس
كـمـا أحـصيت مـا يغـضـ   ـب بعـد السـعى والدس

* * *

ثـنـايـاهـا ثـنـايـاهـا   وهـل ذقـت ثـنـايـاهـا ؟!
وعـيـنـاك . ويا لـلقـلـ   ـب كم تسـبـيـه عـيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنةُ الخـمـر   يةُ السكران رائيـهـا
أفى الجنة يا رضـوا   ن تفـاحٌ يحـاكـيـهـا ؟!

* * *

وتلك القـامـة الهـيـفـا   ء زانتـهـا زواياها
إذا مـا جـار ردفـاها   أقـام الجـور نهـداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسمة الحلو ... ة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراش ... ية فى النور السماوى !

* * *

دعيها تفسد الخمس ... ين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الأكس ... ير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميّا [1] الش ... عر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدن ... يا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصدا ... قة يا بنىّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلصتا ... ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا ... وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصا ... ب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكْذبا خلقى ورأيى ... وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت فى لوميك يوما ... وقد أخطأت فى عذرِيك حينا

* * *

(١) الحميا : سورة الخمر .
(*) مزيج : أعاصير مغرب .
(*) ندم : أعاصير مغرب .

تقويم العـام (*)

تقـــــويمُ هـذا الـعـــــــام مـن ... لحـظــاتـــه الأولـــى لــديــكِ
قـــومـى ارفــعـيـــه وارفـــعـى ... عنـه الـغـطـاء بـراحـــتـــيـكِ
مـن يـوم مـطـلـعــــــــه إلـى ... رجـــعـــاه مـــوقـــوف عليكِ

* * *

وإذا انـتــــــهـت أيـامــــــه ... ولـكـل عـــام منتـــهـــاه
فـــعـلـيـك أنـت وداعـــه .. ... وتـرحـــــــبـين بمـا تـلاه
ويُـــحـــى إذا دار المــدى ... ورعـــيـتُ وحــدى ملتـــقــاه !

* * *

هى قـــبلة ضـــمـت عُـــرى ... عـــامين فـــاتصـــلا اتصـــالا
ومُـنى الخـــواطر فى غــد ... عـــام كـــســابقــه مـــآلا
لا تـعـــجلنّ بـه فـــمـــاً ... أقـسى الحـيـاة على العـجـالى

* * *

لا . لا . فــــهـــذا يومنـا ... وغــدٌ ، وبعــد غـد ، خـفــاء
أنا مـــغـــمض عـــينى ومســ ... ـتـــمع إلى حـــادى الرجـــاء
فـــإذا ســـمــعت حـــداءه ... فـــدعـيـــه يمضى حـيث شـاء

* * *

وعام ثان (*)

بـشـــراى . مـــا أنا شـــاهدٌ ... يا عـــام وحـــدى ملتـــقـــاك

(*) تقويم العام : أعاصير مغرب .

(*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بـروجُـك والـهـــــــوى		يخطو وتتـــبـــعـــه خطاك
وحــمــدت وجــهك مــقــبـلاً		ومــضى . فلم أذمّ قـــفــاك !

* * *

هـذى فـــــتـــــاتى هـذه !		هى لا خـــوف ولا اشـــتـــبـــاه
هى فى بديع قـــوامــــهـــا		هى فى الصـبـا ، هى فى حــلاه
هى فى غـــوايتــــهــــا وآ		هٍ من غـــوايتــــهـــا ، وآه

* * *

ضُـــمى ثغـــريْك يا بنيـ		ــة وابعـــــــثى منـه الأمـل
لا بـالعــــهـــود إلى مـــدى		عـــــام . ولكن بالـقُـــبـل
إن ســـاعـــفــتنى ليلة		فـــدعى العــــهــــود إلى أجل

عـــام تفـــتح بالرجـــا		ء وبالرجـــاء خـــتـــمـــتـه
ودعـتِ ذاك الـعـــــــام فى		قـــربى كـــمـــا اســتـقـبلتِـه
قـــولى ، وقـــد ولّى ، أفى		شـــرع الوفـــاء قـــضـــيـــتـه ؟

* * *

لا تخـــدعـــينى يا بنيـ		ـــة بالوفــــاء من اللـســـانْ
خـنّـا وخـنـت ولا أقـــــو		ل سـلى فـــلانـة أو فـــلان
ذهبت خـــيــانتنا مــعـــاً		والآن نـحـن البـــاقـــيـــان

* * *

ذهبت خـــيـــانتنا كـــمـــا		ذهـب الوفـــاء ومـن يـفـــون
لا ذمـــــةٌ تبـــــقـى ولا		يبــــقى الوفـىّ ، ولا الخـــؤن
كم ذمـــة ضـــيـــعـتــهـــا		يا عـــام فى تلك الغـــضـــون !

* * *

انظر ألست ترى فـــتــــا ... تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلســــة الأمس التى ... حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت ... صدرى ولا فارقتها

* * *

وإذا ســـألتَ وربما ... جـاء السؤال بلا كلام
«ماذا تقول مودعى ... والليل يومىء بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستمـ ... ـع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندى أيّهذا ... العام كلك بالسعيد
لكنْ سويعاتٌ مضت ... لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها ... وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى ... أعطت ، ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها ... وقليلها أبدا كثير
إن عاد يومُ غدٍ كأمـ ... ـس فدرْ - زمانُ - كما تدور

* * *

أكذبينى (*)

. . . .

أكذبينى وأكذبينى ... كلما شئت أكذبينى
ما غناء اللب عندى ... إن أبى أن تخدعينى
أنا فى ثروة وفـر ... منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضيرٍ ؟ ... درهما أو درهمين !!

* * *

(*) أكذبينى : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

خل الملام فليس يثنيـــــهـــــا ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيها تكيد به من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طُول ذل بات يشقيها
أنت الملوم إذا أردتَ لها ما لم يُردْه قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كيف يُتاح لى نسيانها وخيالها فى ناظرىّ معلّق
حتى نسيت ، فعدت أذكر أنها كانت هواى ، فلا أكاد أصدق

* * *

مصيبتان (*)

قالوا اسلها ودع البكاء فإنها فى حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كل يبكى الأوفياء ففى الأسى لمن استحق أساه بعضُ عزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التى كنت أغليهـا واذكـرها ... صُبحا ومُسْيا ، وفى سر وإعـلان
قـد كنت أرحم نفسى من تذكّـرها ... فـاليوم أرحمهـا من فرط نسيـانى
عجائب القلب . ويلى من عجائبه . ! ... عـزت نظائرها فى العـالم الفـانى

* * *

فراغ . فراغ (*)

فـراغ بـارد شـات .! ... بـلا مـاضٍ ولا آت
أأمـوات ؟ نعم . لكنْ ... نحس فنـاءَ أمـوات
ويا بؤسَ الفناء نحسـ ... ـه فى كل ميـقـات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

متـجـردان ويملكان سعـادة ... لكليهما ، لا يحتـويهـا العـالم
يتمليـان الصحـوة الكبـرى وقـد ... سعـدا بأسعـد مـا يراه الحـالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب .

(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .

(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفـــأت منى الليـــالى   شُـــعَـــلا بعـــد شُـــعَلْ
من غـــواياتى وأحـــلا   مـــى ، ومــن بــرق الأمــلْ
فلمـــا يُومض فــيــهـا النــ   ــور من نـار القُـــــبل
عـــجـــبـــا ،لكنّه وهــ   ــو عجيبٌ قد حصل ! . .

* * *

عـــجـــبـــا والدهر لا يفــ   ــنى أعـــاجـيبَ الحـيــاة
مـــفـــرِقٌ شـــاب يُشــ   ــبّ الحبٌ فى قلب فـتـاة
شـــركٌ صـــاد - ولم أنــ   ــصبه - صـيّـادَ البُـزاة
وقـــديمـاً كـــــان إن دا   ر على الصـــيـــد نصل

* * *

لـو لـســـــانٌ قـــالـه لى   لم أصـــدّق مـــا يقـــول
غـيـــر أنّ الشـوق فى خـد   يكِ يســـرى ويجــــول
مـــزهـرًا بعـــد ذبول   مـــشـــرقـــاً بعـــد أفـــول
قـــسمٌ فـــاه بـه قلـ   ــبكِ ، بـل وحـىٌ نـزل

* * *

أحـــوج الـوحى إلى مـــعـــ   ــجـــزة وحىٌ عـــجـــاب
عند قلب كـــافـــر بالنـ   ــاس يغلو فى ارتيـــاب
يـا رســــــول الحب آمنـ   ــتُ وفى كـفى الكتـاب
طفلة تهـــفـــو إلى الشـ   ــيب ؟ أجـل ثـم أجـل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لمّحت تغابيـ ـتُ ، ولى والله عذرُ
وانثنى التلميح كالتـ ـصريح والشكُّ مصرّ
ثم طاش السر حتى كاد يسعى وهو جهر
وتلاقينا فماذا كا ن ؟ بركان جفلْ

* * *

خاب شكى وأنا الآ ن بما خاب سعيد
وسعيدٌ كلما خا ب ببرهان جديد
بين حسن فيك يزدا د وإقبالٍ يزيد
وسلام شاع فى نفـ ـسك كالليل شمِلْ

* * *

يا فتاتى هو من ربـ ـك والله قدرْ
قدرٌ أرحم ما حمّ على قلبَ بشر
أغمضنى عينيك وامضى فيه أيّان استقر
واطمأنى . ما قضى الله قضاءً فارتجلْ !

* * *

صاغه الله عجيباً ومحا عنه عجيبا
غير بدع أن يهيج الشـ ـرر الحى لهيبا
إنما البدع لهيب يبتغى منا شبوبا
كله إن جل أو قـ ـل من الشمس وصلْ

* * *

نحن فى الآفاق قُربى بعضنا ينشد بعضا
ربما قيل رماد وهو ملء الأفق رمضا
إن فى النور لقاحا صنوه بالصنو يرضى
رب نجم منك لو لا شرر منى أفلْ

* * *

انتقام جيتى (*) (١)

يا صديقى القديمَ «جيتى» اعتذارًا ... لك من سوء ظنّتى ومالمى
كنت أنعى عليك حبك فى السـ ... ـتين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامى
وأرانى على ملامك من قبلُ ... لحب دون الثمانين دام
فانتظرنى فقد يجىء اعتذارى ... لك طوعاً فى مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفيـ ... ـنا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروى لك شعرى ؟ ... أنا أدرى . أنا أدرى

* * *

أنا أدرى . يا فتاتى ... حيث ألقى بالأغانى
إن شعرى سمعته ... شفتان . . شفتان !
ها هنا سرب إلى القـ ... ـلب الذى أغنيه دان

* * *

(*) انتقام جيتى : بعد الأعاصير .

(١) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب فى الستين وأخرى فى الثمانين .

(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفَّ شــعــرى حــيث رفّت   بالأمـــانى قـــبـــلاتى
وتـصـــفّـــحت صـــداه   قـــبـــســـاً فى الوجنات
هو مـن ثغـــر فـــتـــاتى   وإلى ثغـــر فـــتـــاتى

* * *

فـــيم تســـعى رحلتى بـ   ـــين المعـــانى وتطول
ها هنا الشـعـر ومـوحى الـ   ـشـعـــر يصـغى ويقـول
كل إصـــغـــاءٍ لعـــمـــرى   بين هـذيـن فـــضـــول

* * *

مــزج (*)

ســمَّــيــتنى باسم اللّدات وبيننا   عــمــرٌ كــعــمــرك أو يزيد قليــلا
مـزجَ الهوى العـمـرين فى جيلٍ فلا   تقـــديم بينهـــمـــا ولا تأجـــيـــلا
ومـــحـــا الفـــوارق كلهن فلم يدع   غـيــر الهـوى جـيـلاً لنا وقـبـيـلا

* * *

لفـــاع (*) [1]

لفـــاعك فى عنقى كـــالوفـــا   ء يطوّق جـيـدَ السـمـيع المجـيـب
مـكـانٌ ذراعـــــيـــك أولـى بـه   نسـيجُ يديك السـخى القـشـيب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير .   (*) لفاع : بعد الأعاصير .

(١) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق فى الشتاء .

إذا فـــاتـنى منك طيب العنا ... ق فلســواى منه بديلٌ قــريب
فــلا أُحــرَم الدفء عند القــا ... ء ولا أحــرم الدفء عند المغــيب

* * *

رأيـــت(*)

رأيت النهــر ظمـــآ ... ن إلى البيــداء يرويهــا
رأيت الزهر مــشـتــاقـا ... إلى الأطواد يُحليـــهــا
رأيت الليلة الليــــلا ... ء والكوكب حــاديهــا
رأيت الحــان تنســاب ... إلى أفــواه حــاسيــهــا
رأيت العــجب العــاجـ ... ـب فى الدنيا وما فيـها
شــبــاباً هام بالهـــا ... مـة قـد شـابت نواصيـهـا
إخـال الحب يسـتحـد ... ث ترويحـاً وترفـيــهـا
ألا فليْلهُ مـــا شـــا ... ء فـمـا تفنى مـلاهيـهـا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حــزين النفس أُعطيت مناها ... فـاغنم الفـرصـة حـتى منتـهـاها
لا تنغّـصـهـا اخـتيـارًا واكـتناها ... إن مـن خــاف مـن الجن يراها

* * *

. . . .
لا تقل يا وردتى شـوكك أينا ... مـا علينا منه فـيـهـا مـا علينا ؟
إنهــا أخـفــتــه عنا فـانتـهـينا ... حــسـبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .

(*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صديق النفس من عهد صباها ... نصحك الصادق لو تُشفَى ، شفاها
محنةٌ تبلغ فى يومٍ مداها ... ما ترانى صانعاً ، أو ما تراها ؟

* * *

ناصحى أنت بزهرى أنتشيه ... لا أَبالى الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقى أتقيه ... يخرق الدرع وإن دقت عراها

* * *

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع ! ... بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالفخ ينهاك ويدعو ... وبلاء النفس فى مسّ جناها

* * *

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا ... الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا ؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا ؟ ... الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها !

* * *

وردتى آفتها فرط التحدى ... جاوزت فى كل شىء كلّ حد
حسنها هيهات منه حسن ورد ... شوكها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام ... وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العيش بوشى ونظام ... وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد: أعاصير مغرب .

آه من برئى وآه من سـقـامى آه من صلحى ، وآه من خـصـامى
آه من شـمـسى وآه من ظلامى آه من لـذعـة آه فى جـواها

* * *

لذعـة النيـران ينفـثن دخـانا ليـضىء اللهب الخـافى عـيـانا
لهـبـاً صـرفـا تعـالى وتدانى مـن قـرار النـفس يرتـاد ذراها

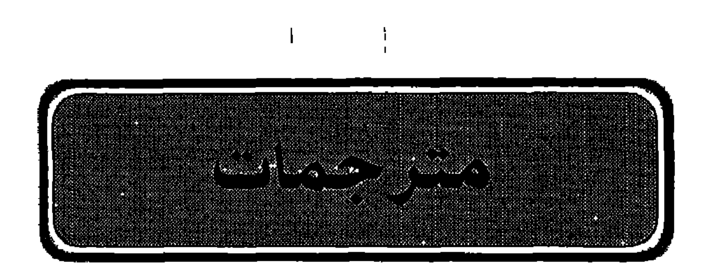
* * *

آه من آه لحـاها اللّه جـداً لا تزل خـالدة فى النـار خلداً
من قلوبٍ تلتظى حـبـاً وحـقـدا حـرقت آهاتهـا آها فـأها

* * *

أنا لا أطلقـهـا حـتى تذوبا فى لظاها ، كلمـا شـبت شـبـوبا
وأرانى يا صـديقى لن أتوبا فـإذا تابت عـرفنا منتـهـاها

* * *


مترجمات

فينوس على جثة أدونيس[1]

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكى يستجيشها ... فما راعها إلاّ اصفرارٌ عليهما

وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها ... فلا رمقاً فيها تُحس ولا دما

ومالت على أذنيهِ حتى كأنهُ ... ليسمع منها شجوها والتندما

وتفتح جفنيه لتبصر فيهما ... سراجين كانا يسطعان فأظلما

سراجين كانا يجلوان لعينها ... جمال محياها فواراهما العمى

وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر ... فقد فجع الموت المحاسن فيهما

فقال «برغمي إنك اليوم ميّت ... وإن الضحى لمَّا يزل متبسما»

* * *

«ألا أيُّها ذا الحب إنك بعدهُ ... ستصبح داء في الجوانح مسقما

ستصبح أنَّى سرت ترعاك غيرة ... بعين تريك الوهم صدقاً مجسما

ستقبل محمود الأوائل سائغاً ... وتدبر مشئوم العواقب مؤلما

وإنك إما عن مرامك قاصرُ ... فتأسف أو مجتازهُ متهجما

عذابك بالصفو الذى فيك راجح ... ومأؤك ممزوج به الرى والظما

* * *

«بلى سوف تغدو أيها الحب كاذباً ... لجوجاً ملولاً جافياً متبرما

يطير بعطفيك النسيم إذا سرى ... وترمى بك الأنفاس فى كل مرتمى

(*) فينوس على جثة أدونيس : جزء أول .

(١) فينوس عند الأقدمين هى ربة الحب وأدونيس فتى جميل من أبناء ملوك قبرص كان مولعاً بالصيد والطراد ورأته فينوس طاردًا فهويته ونصحته بالإقلال من الصيد خوفا عليه ولكنه أبى ، وما زال حتى قتله خنزير وحشى فوقفت على جثته حزينة تريق عليها من شراب السلسبيل إلى أن نبتت فى موضعها زهرة نضرة ، والأقدمون يرمزون بهذه القصة إلى تجدد الربيع بعد موته ويقال إن عبارة أدونيس مأخوذة عن الشرق وأن اسمه مأخوذ من أدوناى وهو اسم من أسماء الله بالعبرية .

تطوف وما أحلاك يا حب ساقياً ... بكأس تغر الحاذق المتوسما
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذةٌ ... وما ضمنت إلا سماماً وعلقما
تهد قوى الثبت المريرة من جوىً ... فتعرفهُ [1] إلا مشاشاً وأعظما
وتنفخ فى روع العييّ فينبرى ... فصيحاً ويغدو مدره القوم [2] أبكما

* * *

«ويا حب تعفو عن كبائرَ جمة ... وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما
ويا حب تضرى من يدب على العصا ... فيضرى ، وتنهى الضارى المتقحما
وتبتز أموال الغنى وربما ... منحت كنوز المال من كان معدما
عراقة [3] مجنون ورقة مائق [4] ... ويا ويح قلب وامق من كليهما
وقد يحلم الفتيان فى ميعة الصبا ... ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
هيوباً ولا شيءً يهاب لقاؤه ... عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وترحم أحياناً وفيك قساوة ... وأنت بأن تقسو جدير وترحما
وأخدع شيء أنت إن قيل منصف ... وأصعب شيء أنت إن قيل أسلما
وإن شئت أزجيت الجبانَ فاقدما ... ووسوست فى قلب الجرىء فأحجما

* * *

«ألا أيها الحب الغويّ ألا انطلق ... على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
ألا ولتفرق والداً عن وليده ... فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وكم فتنة يا حب تورى ضرامها ... وترسلها شعواء فى الأرض والسما
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه ... أحق امرئ فيه بأن يتنعما»
نبوءة ولهى رُوّعتْ فى حبيبها ... وجار الردى الباغى عليها فصمما

* * *

(١) فتعرقه : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام والثبت المريرة هو الصبور الوثيق الخلق .
(٢) مدره القوم : المتكلم عن القوم . (٣) عرامة : شراسة .
(٤) مائق . أحمق .

العرض (*)

معربة عن شكسبير

أرى الذكر للإنسان أنفس جوهر ... تزان به أعراضه ومناقبه
وما سارقي من يسرق المال إنني ... أرى المال من يظفر به فهو صاحبه
تَقلّب في الأيدي فقبلك كاسب ... حواه ، وقد يحويه بعدك كاسبه
ولكنّ من يسلب من المرء عرضه ... فذلك في شرع الحقيقة سالبه
يُضيع على المثلوب زينة نفسه ... وليس يفيد العرض من هو ثالبه

* * *

الوداع (*)

معربة عن بيرنز

قبلة بعدها يطول الفراق ... وعناق ، وليس بعدُ عناق
سوف أبكيك والمحاجر شَكْرَى [1] ... بدموع من الفؤاد تراق
سوف أدعوك في الدجى بأنين ... وزفير في الصدر منه احتراق
كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً ... مَن محياك نجمه الألّاق
بيد إني درجت في ظلمة اليأ ... س فحَوْلي من الظلام نطاق
لست ألحى على الهام فؤادي ... قَدَرُ الحب دفعه لا يطاق
من رآها فكيف يسلو هواها ... يعشق القلب إذ ترى الأحداق
آه لولا صبابة وغرام ... قد شربناه والكؤس دهاق
ما غدونا ولي فؤاد كسير ... وجبين سماؤه الإطراق
فسلاما يا قرة العين والقلـ ... ـب وأحلى من صوَّر الخلاق

(*) العرض – معربة عن شكسبير : جزء أول .

(*) الوداع – معربة عن بيرنز : جزء أول .

(1) شكرى : ملأى .

حــاطك اللّه بالســعـــادة والحب ... ورواك مـــــــــاؤه الـرقـــــــــراق
قـــبلةً بعـــــدها يطول التنائى ... وعـنـاق ، أواه ! ثـم افــــتـــــــراق

* * *

لا طــلـع الصبــاح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمـبـتـعـدٌ ومـا اقـتـرب الصـبـاح ؟ ... كـأنّ الدهر شـيـمـتـهُ السـمـاح !
أراعك صـــــائح الـطيـــر المغنى ... فـخلت الليل ينعـاه الصـيــاح ؟
ترّفقْ لا عــدمــتك من حــبـيب ... فـليـس عـليـك مـن رفـق جُـنـاح
فــــذاك البلبل المسكين يبكى ... فــيطربهُ كــمــــا شــاء الـنواح
يــرفُّ لــه وجـنــح الـلـيــل داج ... على رمــــان دوحـــــتنا جـنـاح
أكنت حــسـبـتـهـا الورقـاء هبّت ؟ ... لقـــــــد واللّه جـــــدٌ بـك المزاح
قليـــلا مـــا أقـــمت فــقف مَليــاً ... قُــبَـيل الفـجـر ، لا طلع الصـبـاح

* * *

الـــــوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزى وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتنى بهـا مَن خـدُّها مـثل لونهـا ... مــبللة الأوراق باكـيــــة السن
جنتـهـا لهـا تربٌ حَـصـان تزفـهـا ... إليها ، وقد يجنى على الورد من يجنى

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .
(*) الوردة : جزء أول .

كـــــــــأنَّ نـدىّ الـطـل دمـعٌ أطـلـه ... فـراق وُرَيدات صـغـار على الغـصـن
فـأمـسـكـتـهـا خـجلى الحـيـا أهزها ... لتنشط من خـوفٍ وتبـسم من حـزن
فمـا كـان أقسـانى ! لقـد فاض روحـهـا ... وطتـرت بداداً فى التـراب إلى الدفن
ولو لطفت كـفى لفـاحـت وأزهرت ... كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كـــــذاك يكـون اللـوم طـعنـاً وربما ... حوى بلسما يشفى الجريح من الطعن
وكم راح تعنيف الشـجى بروحـــه ... ألا إن بعض العـذل يضنى ولا يثنى
ولو لمتَ فى رفق رأيت ابتـســامـــة ... تجـول مكان الدمع من جـانب العين

* * *

القـــــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزى

إنما الغــيـب كــتـــاب صـــانه ... عن عـــيـــون الخلق رب العـــالمين
لـيس يبــــدو منه للناس ســوى ... صـفـحـة الحـاضـر حـيناً بعـد حين

* * *

لا مرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى ... فـفـيك قـرأت الحـسن سطرا منمّـقـا
حـبـــاك الـفـضــاء اللازوردى لونه ... فـــجــــلاك كــــالمرآة تلمع أزرقـــا
أراك وقـد فـيـأت «ليلى» عـشـيـة ... صمـوتا كـمن يصغى إليـهـا محـدّقا
تمثل منهـا وجـهـهـا - فـعلَ عـاشق - ... يظل إلى مـعـشـوقـه مـتـشـوقـا
فـتطلعـه كـالبـدر يبـدو مـثـاله ... بمصطفق الآذىّ أبلجَ مـــشـــرقـــا
فمـا حـفلت عين بما فـيك من حصى ... حكى الدر أو عـــشبٍ هنالك أورقـــا

(*) القدر : جزء ثانى .

(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

وما ينظر الرائى السماء مصعّدا إلى الأفق بل يستوضح الماء مطرقا
لك اللّه كم حسناً حويت ورونقا روى الماء عن ليلاى فيك فأصدقا
فعينان أبهى زرقة وملاحة من الزهر ينمو فى حوافيك مونقا
وحسبك من در البحار بمبسم تضاحك فيه دره وتألقا
وثغر كأن الورد باكره الندى فجال على أوراقه وترقرقا
وجيد كمثل العاج أبلج ناصعا على أنه كالغصن مال على النقى
وفرع كخفق الموج فيك خفوقه يكلل منه الزهر فودا ومفرقا
وفيك من المرجان يا حوض دملج تحلى بأحلى معصم حين أحدقا

* * *

رفعت يدى دون النسيم وقد سرى مخافة ذاك الظل أن يترنقا
أحدث نفسى أننى منك لا قط إذا ما مددت الكف درا منسقا
وأرشف من ماءٍ هنالك ريقٍ جلا الحسن عذبا فى حواشيه ريقا

* * *

على أن ليلى خلفتك وأجفلت إلى أمها تعطو لديها تأنّقا
فأنى لأدلى فيك طرفى فلا أرى سوى الماء أمسى راكد الحس ضيقا
تذوقت منه قطرة بعد قطرة فألفيت ما لا يستطاب تذوقا
وكنت أرى حسنا فمالىَ لا أرى سوى حشرات أو نبات تفرقا

* * *

حنانيك يا بنت المشارق إن لى فؤادا بربات الجمال تعلقا
لحسنك سر فى الفؤاد كسرّه على الماء أن حكاك فدققا
فقد رسمت فيه لحاظك صورة مدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقا
عذيرى من تلك اللحاظ كأنما هى النجم فى عرض السماء تألقا
إذا رمقت فالصبح ، أو حال دونها خمارٌ ، فهذا ليل من قد تعشقا

* * *


حديقة الحيوان

مسودات الحياة (*)

مسوّدة ! (*)

تأمل ترَ الأحياء عُجمًا كأنها ... مسوّدةٌ للخلق لمّا تُنقّح
ويارب سر فى كلام مسوّد ... يعود فيخفى فى الكلام المصحح
أراها كأخوان تفاوت حظهم ... وميرائهم ، من سابقين ورزّح
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه ... ومن خاسر رفديهما أو مطرّح
ومن يلقهم يلق الحياة كأنها ... حبتْ طفلةً من مهدها المترجّح

* * *

رأى واحد (*)

فى وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قرداً ... قد ترقى وتحَلى
وأنا س يزعمون الـ ... ـقرد إنسانا تدلى
هو رأى واحدٌ نقلـ ... ـبه علواً وسفلا

خنزير أعجف (*)

فيه خنزيرية ظاهرة ... ما نفاها عنه ذاك العجف
هو خنزير ولكن شانه ... جسدٌ فى وضعه منحرف

(*) مسودة : وحى الأربعين . ١٤٠ .

(*) رأى واحد : وحى الأربعين .

(*) خنزير أعجف : هدية الكروان .

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخماوريه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقدسافر مرة وتركه بمصر فقتل فى دمشق ، فأعجب لرجل حرسته السباع واغتاله الناس! .)

ركنت إلى السباع خمارويه ... ولم تركن إلى أحد سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى ... قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثاً ... يذود رعية عمن رعاها ؟
وأن يحمى ابنَ آدم من أخيه ... سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظٍ ليس يُرشى ... ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم ... وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك فى دمشق ... لضرَّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

يهم ويعبيه النهوض فيجثم ... ويعزم ، إلا ريشه ، ليس يعزم
لقدرنّق [1] الصرصور وهو على الثرى ... مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
يُلملم [2] حدباء القدامى كأنها ... أضالع فى أرماسها تتهشم
ويثقله حمل الجناحين بعد ما ... أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) خمارويه وحارسه : الجزء الأول .

(*) العقاب الهرم : جزء أول . ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .

(١) رنق : طار طيرانا خفيفا .

(٢) يلملم : يضم .

جناحين لو طارا لنصت فـــدوّمت ... شماريخُ رضوى واستقل يلملم [1]
ويلحظ أقطار السمـــاء كـأنه ... رجيم على عهد السموات يندم
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى ... مقضا عليه أم بماضيه يحلم
إذا أدفأته الشمس أغفى وربما ... توهمها صيداً له وهو هيثم [2]
لعينيك يا شيخ الطيور مهابةٌ ... يفر بغاث الطير عنها ويهزم
وما عجزت عنك الغادة وإنما ... لكل شباب هيبة حين يهرم

* * *

عيش العصفور [*]

حطَّ على الغصن وانحدر ... أقلَّ من لمحة البصر
مغرداً قط ما توانى ... مرفرفاً قط ما استقر
يلمس أيكاً بُعَيْد أيك ... كأنهما يلمس الإبر
مطارداً لا إلى طريدٍ ... مسابقاً لا إلى وطر
كخفة الطفل فى صباه ... لكنها خفة العُمر
وروده نغبة فأخرى ... من خوّف الطائرَ الصدَر ؟
يقارب السحب ثم يهوى ... يبشر الروض بالمطر
أصدق من سار فى سرار ... بين الحيا [3] العذب والشجر
ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقيه فتبتدر
للّه ما أهول المطايا ... وأضعف الراكب الأشِر [4]
طار وليداً شيخاً ... بين البساتين والغُدُر

* * *

(١) التدويم : تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا هما والجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .
(٢) الهيثم : العقاب الصغير .
(*) عيش العصفور : جزء أول .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) الأشر : المرح .

لا أعين الماء ناضبـــــاتٌ ... ولا خـــلا الروض من ثمـــر
أخـــبـــرُ بالنضج مـــقلتـــاه ... ممن ســــــقى الحب أو بذر
سلة عـن الجند والزمـــــر ... سله عن الملك والسُـــــرر
لـم يـأتـه عـنـهـمُ بـلاغ ... ولا دليل ولا خــــبــــر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه ... عليـــه يا أيهـــا البـــشـــر

* * *

هذا هو العـيش فـارحـمـوه ... عليـه واسـتـخـبـروا الغِـيَـر
فـــإن ســـألتم فـــســـائلوه ... عن صولة الصقر إن كسر [1]
وحـــيلة الدّبقْ [2] فى ثراه ... وغـــيلة الحـــيـــة الذكـــر
هنـاك ينزو لـه فـــــؤاد ... لا يجـــهل الريب والحـــذر
لـم يخف عن أعين الليـــالى ... ولا تـوارى من الصـــغـــر
حـــبـــائل الدهر قـانصـات ... من طار أو غـــاص أو خطر
من عـاش يومـاً أو بعض يوم ... يعلم مـــا ضـــربه القـــدر
أليس هذى الحـيـــاة ذخـراً ... وحـارس الذخـر فى خطر ؟؟

* * *

الــكروان (*)

هل يســـمـــعـــون صـــدى الكروان ... صـــوتا يرفـــرف فى الهـــزيع الثـــانى
من كـل ســـار فى الظلام كـــأنهُ ... بعض الظلام تَضلـه العـــيـــنان
يدعــو ، إذا مـا الليل أطبق فـوقـهُ ... مــوجَ الدياجــر ، دعــوة الغــرقـــان
ويشبّ فى الجـــو الســحــيق كـأنهُ ... يبـغى النجـاة إلى حـمى كـيـوان [3]

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيئ للانقضاض على الفريسة .

(٢) الدبق : الشرك .

(*) الكروان : الجزء الأول .

(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عــاف الـتـجــمل فـهــو فى جلبــابه — فـــان يرتل كـــالأبيل الفـــانى [1]
مـــــا ضـــــرَّ من غـنـى بمثل غنائه — أن ليسَ يبطش بطشـــة العـــقـــبـــان
إن المزايا فى الحـــيـــاة كـــثـــيـــرة — الخـوف فـيـــهـــا والسُّطا سـيـــان [2]

* * *

يا مــحــيىَ الليل اليــهــيم تهــجّــداً — والـطـيـــــــر آوية إلى الأوكـــــــان
يحـدو الكواكب وهو أخـفى مـوضـعـاً — من نابغ فى غـــمـــرة النســـيـــان
قل يا شـــبـــيـــه النابغين إذا دعـــوا — والجـهـل يضـرب حـولـهم بجـران [3]
كم صـيـحـة لك فى الظلام كـأنهـا — دقـــــات صـــــدر للدجنّة حـــــان
هن اللغـــات ولا لغـــات ســـوى التى — رفـــعـت بهنّ عـــقـــيـــرة الوجـــدان
إن لـم تقـيــدها الحـروف فــإنهـا — كـــالوحى ناطقـــة بكل لســـان
أغنى الكلام عن المقـاطع واللُّغى [4] — بث الحــزين وفــرحـــة الجـــذلان

. . . .

ما أحب الكروان (*)

ما أحب الكروان !

هل سمعت الكروان !

مــوعــدى يا صــاحــبى يوم افــتــرقنا — حــيـث كــانت جـيـرةٌ أو حـيـث كنا
عــاتفٌ يهـتـف بالأســـمـــاع وهنا [5] — هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كــــثــــيــــر أو قليـلْ — عندنا أو عندكم بين النخـــيـــلْ
ثَم صـــوتٌ عـــابرٌ كلَّ ســـبـــيـلْ — هو صوت الكروان ، فى سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : هدية الكروان .
(١) الأبيل الفانى : الراهب . (٢) سطا : جمع سطوة .
(٣) الجران : هو العنق . (٤) واللغى : جمع لغة .
(٥) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

لى صـــدى منه فــلا تنس صـــداك هــو شـــــــاديك بــلا ريــب هـنـاك
فــإذا مــا عـــســعس الليل دعـــاك ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكّروان ؟

* * *

مـــــفــــــردٌ لـكـنـه يـؤنـسـنـا ســــــاهـرٌ لـكـنـه يـنـعـــــسـنـا
صـــدحت فـى نفـســـه أنفــسنا فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحـــــدٌ أو مــــائة ترجــــعـــــه عـنـدنـا أو عـنـدكـم مـطـلـعـــــــه
ذاك شىءٌ واحـــــد نـســـمـــــعـــــه فى أوان وبيـــان ، هو صــوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عـــصــــور وعــــصـــور نحن نســـتـــحــيى به تلك الدهور
لـم يفـــتـنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور فى أوان الكروان ، مــا أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حـــادى الظلام على جناح صــاعـدِ
يا آنسين بصـحـبــة من وجــدهم
يا ســاهدين على انفـرادٍ فى الدجى
المســتــعــزٌّ بعــرســه وكــأنه
لهـجت طيـورٌ بالضـحى وتكفَّلتْ
يحـدو ويشـدو لا مــســاعـد حـوله
أنا صــائد لصــداك ، لستُ بصــائد
بينـا أقــــول هنـا إذا بك من هنا

يا أرض أصغى ، يا كواكب شاهدى !
نُصـــوا المســـامعِ للأنيس الواجـــد
ردوا التـحــيـةَ للفــريد الســاهد
منهـــا نجىٌّ مـــغـــاور وفـــراقـــد
بالـليـل حنجــرة المغنى الخــالد
أبداً ، ومـــا هو آمنٌ لمســـاعـــد
لك أنت يا كــروان ، فـأمن صـائدى
فى جنح هذا الليل أبعـــد باعـــد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

ووددت يا كــــروان لو ألـقــيتَ لى	صــــوتين منك على مكان واحـــد
إن كنت تشــفق أن أراك فــلا تَزلْ	فى مسـمعى وخـواطرى وقـصـائدى
عـاهدت هذا الصـيف لست بواهب	سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كـان قـد أغنى الطبـيعـة كلهـا	مُـغنِىٌّ عن شـاد سـواه وشـائد

* * *

شـدو لا نــوح (*)

شـدوُ القـمـاريٌ لا نوح القـمـاريٌ	هل يعبر الحزن بالشادى الصباحيٌ ؟
أو الربيـــعىٌ فى أنس وفى أمل	وفى غـــرام على الإلفين مطوىٌ ؟
يا حـسنهـا من بشـيرات على دعـة	كـأنهـا أمنت فـوت الأمـانىٌ
مـحـبَّـبـات إلى الإنسـان تألفـه	وتـعـــتـلى من ذراه كلٌ علوىٌ
تهوى الديار ، وفى الآفاق مطلعها ،	ما بالها ؟ هل سباها حسن إنسى ؟
ولأناسىٌ حـــسنٌ لا أبوح به !	هل تعرف الطير ما حسن الأناسى ؟
غَنَّتْ لزهر وسلسـال ولو رشـفت	زهر المبـاسم جُنَّت بالأغـانىٌ
أوْلى لقُـمـريّنا أن لا يحـوم على	يأس الهـوى بين إنسى و «طَيْـرىٌ»
غـرد على الدور يا قـمرىُّ فى دعـة	واسلم هنالك من باك ومـبكىٌ
واتلُ الرجــاء على هذا وذاك ولا	تسألهما عن جوى فى القلب مخفىٌ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها	من سلوة ، أن فيها شدو قمرىٌ

* * *

شفاعة الغراب (*)

حيىٌ الغراب الفجرَ بالنعيب	تحية التهليل والترحيب
وافـترٌ نور الفجر كالجيب	فى غير ما لوم ولا تثريب
لهـاتف ناداه من قـريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .
(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحــيىّ النور باليــقين
تحيـة العـصـفور والشـاهين ؟ ألا تـدين كـلهـــا بـديـن ؟
فـمــاله يعـذل كـالرقـيب ؟!

* * *

شـفـاعـةَ الأنوار والأحـبـاب فى الأسود المهجور فى الخراب
ما الصَّدحُ الهاتف بالعجاب أصـدق حـبـاً لك من غـراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسـمـعُـه والطيـر فى أوان وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجانى
صوت حبيبى بادىَ الحنان لذلك الموعـود بالحـرمـان
وماله فى الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعـة الفـراق وكلٌّ (غـاق) عنده وفـاق
فـلا يزل ينعم بالاشـفـاق من الرياض الفِـيح والآفـاق
ومنك يا فجر ، ومن حبيبى

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)
أو تكريم الكلاب

(لا أعنى تكريم كلاب المجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب . وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشى بين يديه السباع ، فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره فى زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه .. ولكنى عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها فى مخلوق من مخلوقات الله ؟

اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة من الليالى ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا ، فقلت أبارك للنفساء وأحيى المولود ! :)

أعلنى «يا فلورة» الأفراحا … واملأ الأرض والسماء نباحا

ما حبا الدهر بنت كلب بأعلى … من ذراريك عنصراً ولقاحا

أبشرى ، دولةَ الكلاب ، بجروٍ … سوف ينفى عن جيله الاتراحا

ما تقضّى الأسبوع إلا تمشى … يذرع الدار جيئة ورواحا

خلع الليل والنهار عليه … فتوارى عن العيون ولاحا

حرّك الدهر ذيله حين وافى … وعوى الكون بهجة وانشراحا !

سوف يدعى على الكلاب أميراً … يفزع الأسد وثبةً وصياحا

يلبس الطوق من نضار ودر … ويحوك الخز الثمين وشاحا

* * *

(١) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول .

واراه يعيد سيرة قطمـ ... ـير [1] وقاراً وفطنة وصلاحا
لا أصابت عصا لئيم قفاه ... أو ثوى فى الطريق ليلَ صباحا
لا ولا عضه من الجوع ناب ... يُثخن الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً ... يرقب العظم سائلاً ملحاحا
أو براه داء الكلاب فأخفى ... بين جفنيه عسجداً لماحا
كان إيواؤها حراماً فاضحى اليو ... م إيواؤها حلالاً مباحا
قد فرحنا فى عيده وطربنا ... وشربنا فى نخبه الأقداحا
يا كليباً أزرى بذكر «كليب» ... لا تظنن ما نقول مزاحا
ما مدحت الأنام يوماً وإنى ... لست آلوك يا كليب امتداحا
أعجم الناس فى الوداد ومازا ... ل بنو الكلب فى الودادِ فصاحا
إن عىّ اللسان خير من النطـ ... ـق إذا كان للأذاة سلاحا
وسعار الكلاب أهون شرا ... من سعار يمرق الأرواحا

* * *

أبو العيد (*)
طائر يأكل دود القطن

أبا العيد لو جئت بين الأول ... لصلى إليك عباد الجُعل
ولاتخذوك إلهاً لهم ... له ملة بين تلك الملل
وقالوا إلهٌ رحيمٌ بنا ... فمن يدنُ منه بسوء قتل
وأبدلت من شَرك بيعة ... على الأرض شاهقة كالجبل
وكان لعيدك فى أرضهم ... أبا العيد يومٌ عميم الجذل

* * *

(١) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)
بحديقة الحيوانات

يا وعلَ القفر كيف أسرَى | إلى حماك العزيز أسر
ساقُك يثنينها العوادى | والضأن عداءة تكرّ
سهوت عنا وعن أناس | يعجبهم سجنك الأمر
تذكر داراً نأيت عنها | والعمر غض الأهاب نضر
والأرض قد ملّكتك فيها | ساقٌ لها كالرياح مر
ترود منها سهلا ووعراً | يرضيك مرج منها وقفر
لو فرّ من حتفه وليد | لكنت فى رحبها تفر
هذى ديار وتلك أخرى | هيهات من كردفان مصر!
وربما خلتَها قريباً | لها وراء الحديد عبر
لو زحزحوا بابه قليلا | حواك من كردفان عُقر! [1]
تبلغها طفرة فأخرى | ولا يؤد الوعول طفر
وكل ذى حاجة جهول | وكل راجى الخلاص غر

* * *

قضاؤك الحتم فاحتمله | واصبر وإن لم يفدك صبر
نت بحسن العزاء أحجى | وبعض حسن العزاء كبر
تربك [2] تسليك والروابى | حولك رفّافة تسر
ألفتَ زأر الأسود فيها | وكان للسمع منه وقر
وكنت إن همهمت تَمشّى | قلبٌ بجنبيك مقشعر
أمّنك الذل وهو خوف | وحاطك الأسر وهو شر

* * *

(*) وعل كردفان - بحديقة الحيوانات : جزء ثالث . ٢١٦ (١٩ .فقرة ١٤٦) .

(١) عقر : الدار وسطها .

(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مفرد القيد ، إن أصلا | نماك بين الأصول حر
وما وجدنا الإنسان إلا | مضاعف القيد لا يقر
للضيم فيه وفى ذويه | حزٌّ بفوديه مستسر
نحن بنى آدم أسارى | لنا بوشم الإسار فخر

* * *

الطير المهاجر (*)

علمتنى مواسم الروض أنّ الطـ | ـير شتى : مهاجر ومقيم
أترانى لا أسمع الطير إلا | فى رياضى معششاً لا يريم (١) ؟
رب شاد فى هجرة يتغنى | وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال ، وحيناً | من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقلّ (٢) وداع | وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كلّ يوم جديداً | فسواء جديده والقديم
كم مُوَلٍّ وصفوه لا يولى | ومقيم وصفوه لا يقيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف فى أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغنى ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفيوس الفن سوّى بينها | فتلاقى الدُّبّ فيها والقرودْ

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .
(١) يريم : يفارق .
(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .
(*) حديقة حيوانات آدمية : وحى الأربعين .

وتغَنّى فــرَسُ البـــحـــر بهـــا ... ياله من فــرس طَلْقِ النشــيــد !
ومـــشى الأرنب والحـــوت لـهـــا ... صـاحـبــا القــاعين من لُج وبيـد
وتآخَى الجِـــدىُ والضـــبْع ومـــا ... بين هذين ســـوى الثـــأر اللدود
وجـرى «السيسىُّ» فـيـهـا شـوطه ... وهو ناهيك بسـيــيــسى عنيـــد
ولغـا «البطريق[1]» فـيــهـا لغــوه ... وهو من قطب جنوبىٍّ بعــيـــد
وكــأنى بالزرافَى [2] اجـتــمـعتْ ... وحـمـيـر الوحشِ منهـا فى صعيد
وأوى الـسـنُّور والجـــــرو إلـى ... نمر فـيـهـا ، على غـيـر الوصـيـد [3]
والسُّلَحــفـــاةُ تجـــارى عندها ... أرنب البـيــداء والكلب الصَّـيـود
فُـتـحتْ أقـفـاصـهـا واخـتلطتْ ... لا ســدود ، لا قــيـود ، لا حـدود
حـــيـــوانـاتٌ نمـاهـا آدم ... وهـى مـن أبنـائـه نـسـلٌ فـــريد
حـــيـــوانـاتٌ ولـكن بينهـــا ... كلُّ ذى لب ســمــاوىٍ رشـيــد
أورفـــيـــوس الفن ســوّى بينهـــا ... فـاسـتـوى المنشـد فـيـهـا والمعيـد

* * *

رثاء كلب(*)

حـــزناً علـى كـلـب طاهـر [4] ... فـــإنه طـاهـر الـكـلاب !
تشـــابهـــا فى خليـــقـــةٍ ... واتفـقـا - شـيـمـةَ الصحـاب
وربمـــا عَـــىٌّ طـــاهـــرٌ ... وكلبـه حــاضـر الجـواب
فـليس يُوفـــيــه حـــقـــه ... من اكــتـئـاب أو انتـحـاب
إلا إذا بـات نـابـحـــاً ... نبح المسـاعـيـر فى الخـراب
عـــوْعـــوْ ، عَـــوْوَوْ ، بلا وبىً ... ولا انقطاع ولا اقـتـضـاب

* * *

(١) البطريق : هو الطير المعروف فى اللغات الأفرنجية بالبنجوين .
(٢) بالزرافى : جمع زرافة .
(٣) الوصيد : العتبة ، وفى البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .
(*) رثاء كلب : وحى الأربعين .
(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوى .

لا تسـألوا رحـمـة له — قـد رحم اللّه واستـجـاب
لـعلـه مـات قـانطاً — من «أزمـة» الأكل والشـراب
منتـحـراً فى شـبـابه — وهكذا يفـعل الشـبـاب
أراحـه اللّـه من ضنىً — أنقـذه القـبـر من عـذاب
فليـحـمـد اللّه ربه ! — من جـاع فليـرضَ بالتـراب

* * *

كلب ضائع (*)
أوديوجين الكلبى (*)

أمـست كـلابك شـتى — وأنت يا صـاح أنتـا
كـلبٌ نجـا وهو حىٌّ — وآخـرٌ فـرّ مـيـتـا
مـا بين تاركِ دنيـا — وتارك لك بيـتـا
قل لى بربك مـاذا — على الكلاب جنيـتـا
حـتى «ديوجين[1]» ؟ قل لى — يا شـيخُ مـاذا صنعـتـا
واللّه مـا كـان يأبى — لو صـادف الخبـز بحـتـا
أو جَـدتَ يومـاً عليـه — فـصـادف الأدْمَ زيتـا
زعـمـتَـه راح يهـوى — من قـومـه الغـرّ بنتـا
لا تلزم الحب ذنبـاً — من الصـيـام تأتى
فـاحـمل رغـيـفاً تجـده — فى أى صـوب نظرتـا
مـصبـاحـه [2] ليس يجـدى — فـلا تُضع فـيـه وقـتـا
أنـعـمْ بـه من حـكـيـم — إلى ديوجين مـتـّـا
رأى السـلامـة حـقـا — ومن رأى الحق أفـتـى

* * *

(*) كلب ضائع – أوديوجين الكلبى : وحى الأربعين .

(١) ديوجين : الكلبى فيلسوف يونانى . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية .

(٢) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً فى النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)

فى حديقة الحيوان

(القـرود العليـا هى الشـمـبـانزى و «الأرانغ أتانغ» و الغـورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده فى رأى كثير من النشو ئيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليـا مـا يصلح – من الوجـهـة الشـعـرية – أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه وإشمئزازه من الحياة !

ومنهـا مـا يصلح أبا لرجـال المطامع والوقـائع وهو «الغورلا» لبطشـه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجيـبـون» وحده هو الذى يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقضى الكثير من أوقاته فى الرقص والمناوشة ، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعد أو هبط فى مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط فى حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ فى مساواة الوقت ولا فى مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو فى «سلم الرقى» ولم يأت على درجات السلم كلها صعودا ووثبا فى بضعة ملايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعامه الآن نيئا وذلك أنفع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفيد العلم ؟ قصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفيد وزن الشعر ؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض . وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعانى ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهــذا الجــيــبــون أنعم ســلامــا　　يا أبا العــبــقــرىّ والبــهلوان
كـيف يرضى لك البنون مـقـامـا　　مُـزريا ، فى حـديقـة الحـيـوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعـدُ حـقْـبـا　　تـرقَ فـى «سـلـم الـرقـى» وتـعـلُ
كـيف لم تصـعـد السـلالم وثبـا　　أيهـــا الصـــاعـــد الذى لا يمل

* * *

يا عـمـيـد الفنون صـبـراً ، ومـهـلا　　وارض حظ الهــتــاف والتـــهليل
مـرحـبـا مـرحـبـا ، وأهلا وسـهـلا　　والهـــدايا مـــا بين لب وفـــول

* * *

انتظر يا صـديق شـيـئـاً فـشـيـاً　　تطبخ القـــوت كله بيـــديكا
غـيـر أنى أخـال مـا كـان نيـئـاً　　منه أجـــدى فى الحـــالتين عليكا

* * *

انتظر يا صـــديق مليـــون عـــام　　أو مـــــلايين ، لست واللّه أدرى !
إن تدانيت بعـــدها من مـــقـــامى　　فـقـــصـــارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبـــــر إن عناك نثـــــر ونظم　　ســـوف تتلوا نثـــرا وتنظم شـــعـــرا
وغـــدًا يطفـــر الخـيـــال ويســـمـــو　　والذراعـــان لا تطيـــقـــان طفـــرا

* * *

وجـــمـــال الوجـــوه ســـوف تراه　　فى المرايا ، بعـــد الطواف الطويل
ســـــوف تحلو فى ناظريك حـــلاه　　فـتـــهـــيـــأ للضم والتـــقـــبـــيل !

* * *

وإذا مـــــــا درسـت أوزان رقـص　　بعـد لأى ، فـالرقص فـيك انطبـاع
هل تنال الكمـــال من بعـــد نقص　　إن أقـلـتُّـك فـكـرة ، لا ذراع ؟

* * *

قـفص أنت فـيـه أرحب جـدا　　من فـضـاء ، نقـيم فـيـه أسـارى
قـد ضللنا فـيـه وهيـهـات نهـدى　　ونجـوم السـمـاء فـيـه حـيـارى

* * *

انتظر ! سـوف تفـهم الشيء باسم　　بعـد رسم ، وغـابر بعـد حـال
فـإذا مـا طلبت باطن فـهم　　يا صـديقى ، طلبت أى مـحـال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتـدأنا　　والتـقـيـنا بأدم فى الطريق
قـد بلغنا . فـأين تبلغ أينا　　حين تمضى وراءنا يا صـديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضحك كما شئت منا　　أنت طفل الزمـان ، والطفل غـر
سـوف تبكى حـزنا وتضحك حـزنا　　حـين يمضى دهرٌ ويقـبـل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو فى تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذى يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه ، وفى الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء فى مدحه وتقريظه :)

أيها الجيبون لا تفـ ـضح تقاريظى وشكرى

أنت بعد اليوم محسو ب على نقدى وشعرى

أنت إن لم تحسن الرقـ ـص فمن يحسن عذرى ؟

أنت إن قصرت قالوا شاعر بالزور يطرى

ما لذا العقاد والتقر يد و «التقريظ» يغرى

أنه يهرف بالمد ح ولكن ليس يدرى

فاملأ الأقفاص يا جيـ ـبون طفرا أى طفر

وقل العقاد لا يخطـ ـىء فى تعريف قدر

* * *

(*) عتب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجـــو (*)

رثـــاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حـزناً على بيـجـو تثـور الضلوع
حـزناً عليـه جـهـدَ مـا أستطيع
وإن حــــزناً بعــــد ذاك الـولوع
واللّهِ - يابيـجـو - لحزنٌ وجـيع

* * *

حــزناً عليـــه كلمـــا لاح لى
بالـليل فـى ناحـــيـــة المنزل
مُـسـامـرى حـينا ومـستـقـبلى
وســابقى حــيناً إلى مــدخلى
كـــأأنه يعلـم وقـت الرجـــوع

* * *

وكلمـا داريت إحـدى التـحفْ
أخـشى عليـهـا من يديه التلف
ثـم تنبــــهـت وبـى من أسـف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلـك خـيــر من فـؤاد صـديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حـزنى عليــه كلمـا عـزنى
صـدق ذوى الألبـاب والألسن
وكلمـا فـوجـئت فى مـأمنى
وكلمـا اطمـأننت فى مـسكنى
مـسـتـغنيـاً . أو غـانيـاً بالقنوع

* * *

وكلمــا ناديتــه ناســيــاً :
بيــجــو ! ولم أبصــر به آتيـا
مداعبا مبتهجاً صاغياً . . .
قـد أصـبح البـيت إذن خـاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحـسبنى ذاكـره مـا حـيـيت
لو جـاءنى نسـيـانه مـا رضـيت
بيــجـو مـعــزىٌ إذ مـا أسـيت
بيــجــو مناجىٌ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيـجـو الذى أرقب عند الرواح
بيـجو الذى يزعجنى بالصـياح
لو نبـحــةٌ منه ، وأين النبـاح ؟
ضيّعتُ فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحـهـا من ألم
يخـدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بـنـظـرة أنـطـق مـن كـل فـم
يا طول مـا ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعـينى يطيب
أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قطمـيـر هواكم عـجـيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا .. ولا من طلوع

* * *

ثم واترك الأفـواج يوم الأحـد
والبـحـر طاغ والمدى لا يُحـد
عـيناى فى ذاك وهذا الجسد
بوحـشـة القلب الحزين انفـرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجـزاء
يا واهب الود بمحض السـخـاء
يكذب من قـال طعـام ومـاء
لو صح هذا ما محضتَ الوفاء
لغـائب عنك . وطفل رضـيع

* * *


قصص وأماثيل

سباق الشياطين (*)

يا شياطين الدجى حيّ هلا [1] وتغنّى الآن بالفعل الذميم
أيّكم فى الناس أعلى منزلاً فله عندى مقاليد الجحيم

* * *

رنّ فى الندوة صوت الكبرياءْ رائعَ الصيحة مرهوبَ الصدى
قال إنى أنا داء الأعلياء أنا داءٌ لهُم فيه الردى
مالئٌ بالغيظ قلب الضعفاء تارك النابه [2] فيهم أوحدا
رُب خير بت أجريه على منهج الفتنة والشر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى مطلع النجم كما يُذرى الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد مشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحبَ السحنة مهضوم الجسد خائفاً فى جبنه قد أفرطا
قال : لو شئت لما حاز أحدْ منكم السبق وإن جدّ الخطأ
بذوى القربى ولُوعى والأولى بينهم قربَى سهيم من سهيم [3]
أجدر الناس بأن يتصلا حائل بينهما كيدى العظيم

* * *

ونبرى للقول يأسٌ معضلُ كلما هم تولاّهُ الضجر
قال ما لليأس فيكم مأملُ لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد إنى قاتل لا يَعقل ومن القتل حياة للبشر

(*) سباق الشياطين : جزء أول . ٥٠ (٣٥ فقرة ٥٦) .

(١) هلا : أى أقبلى وتعالى .

(٢) النابه : المشهور .

(٣) السهيم : الشريك والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

أنا إنْ أيأست من وِرد حـــــلا　　فكمـــا ييـــأس من ثدىٍ فطيم
فـــذرونى ! كـيف أبغى مــؤئلاً　　بين خنَّاس ووســـواس رجـــيم ؟

* * *

ثم أبدى الليل شـــيطانَ الندمْ　　ضــارعــاً يفـرق من خـفق الهـواءْ
اخـــرس المِقــوَل من غـيـــر بكم　　ولقـــد ينطق حــيناً بالبكاء
يمقت الإثم ويغـــرى من أثِم　　بذنوب مــاله منهـــا وقـــاء [1]
يمقت الإثـم ويغــــرى بالطلا [2]　　وهو بالشـــارب ينبـــو والنديم
يغـــفـــر الموتور للجـــانى ولا　　يرحم الجـــانىَ من وخـــز أليم

* * *

ومــشى من جـــانب الحب أنينْ　　كـــشـــواظ النار يرمى بالشـــرار
لفح القــومَ فــهــبـوا صــارخين　　وهُم فى الخلق من مـــــارج نار
أنا شـيطان الهـوى أفـرى الوتين [3]　　كل من أغـــشـــاه مـسلوب القــرار
أنا للبـــغض ســبـــيل والقلى　　وســـبـــيل للرزايا والهـــمــــوم
ليس فـى الكون مكان قـــد خـــلا　　من صــراعٍ أنا مـــوحـــيـــه القـديم

* * *

ودعـــا الداعى بشـــيطان الكسلْ　　فـــتـــمطى ســـاعـــةً لا ينطق
قـــال لو راودت نجـــمـــاً لأفل　　وثوى في أفــــقـــه لا يشـــرق
آفـة القـول جـمـيـعـاً والعـمل　　وبلاء اللّه فـــيــــمـــا يخلق
ورأى وجــــه الرياء المقـــبـــلا　　فـــتنحى خلفــــه وهو كظيم
مـــذ رأوه هتـــفـــوا مـــا أجـــمـــلا　　وهو يزوى عنهـمـو الوجـه الدمـيم [4]

* * *

(١) وقاء : كم أدى ندم المجرم على جريمة إلى اقتراف جريمة أخرى !! .
(٢) بالطلا الخمر .
(٣) الوتين : عرق بالقلب .
(٤) الدميم : للرياء وجهان : وجه جميل يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قـــال : إنى أنا شـــيطان الرياء | صـاحب الوجـهين أملود [1] اليـد
ألبس الأعـداء جلبـاب الإخـاء | وأعـيـر العـبـد وجـهَ السـيِّـد
وأمـيت النفس فى طى الخـفـاء | فـهى تحـيـا كـالرفـات الملحـد
أنا فــيــمــا ابتلى صنو البلى | أبدل الأحـيــاء إبدال الرمـيم
مــيتٌ من عــاش يومــاً مــبـدّلا | ومـسـيخٌ وجـهـه وهو وسـيم [2]

* * *

أنصت الجـمع ولم يبق سـوى | حكم إبليس بسـبق السـابق
رجع الأمــر إليــه فـاسـتـوى | يلحظ الرَّهط بعـينى حـاذق
ثم نادى بالرياء المجـتـوى [3] | فـــأبـى الخب إباء الماذق [4]
قـــال تـأباها ولولاك الجلَى | غـيـهب الأرض فكانت كـالنعـيم
دونك الدنيـا اتخــذها منزلاً | وتولَّ اليــوم أبواب الجـحـيم

* * *

كولمب فى الأقيانوس (*)

مـن لكولمب والمخـــاوف تثنيـ | ـه وتزجـيـه خـادعـات الغـرور
هام بالعـالم الجـديد كـمـا ها | م تقى بالعـالم المسـتـور
مـا ابتـغى جـيـرةً هناك ولا أهـ | ـلاً ولا عـاذ عنده بنصـيـر
أى أهل وجـيـرة لهـمـام | أوْحَـدىّ المنى قليل النظيـر

من له فـاتحـاً . ومـا فـاتح المجـ | ـهـول يومـاً كـفـاتح المنظور
ضـارباً فى حـشا خضـارة [5] تعلو | ه سـمـاءٌ عـمـيـقـه التـدوير

(1) أملود : ناعم .
(2) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحياة هى الشعور .
(3) المجتوى : المكروه . (4) الماذق : المتلون .
(*) كولمب فى الأوقيانوس : جزء أول .
(5) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسى كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أى الوحوش والحيوانات التى يسلسها الركوب .

يعتلى صهوة الخِضَمّ خضمّا — لم يوطّأ ، كالآبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب — أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يذرع الليلَ والفضاءَ بطرف — شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج فى الصبح حتى — يسبلَ الليلُ خيمةَ الدّيجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ — ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولمب لا السماوات تهد — يه ولا النور فى دجاهُ بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً — أين ترمين بالحيا المسجور (1)
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحيـ — ـين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كا — ن سحاب بالطائر المزجور (2)
لو نعيبَ الغراب (3) يسمع لاعتدّ — نعيب الغراب صوت بشير
فى سماءٍ ما قط حوّم فيها — غير غادى سحابها من طيور
كلّ يوم يرى بساطاً من المو — ج شبيهةَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا — راسياً فلكهم رسو ثبير (4)
تظهر الشمس كل يوم ولا يأ — ذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً — مدها اللّه من وراء البحور (5)

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً — وتولى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذى أورث النا — س كميراث آدم المعمور !

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً — إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور — فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه — صراعاتُ الضلال فى التفكير

---

(١) الحيا المسجور : أى المطر المخزون .

(٢) زجر الطير : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .

(٣) الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولمب لو رآه قبل وصوله إلى أميركا لعلم أنه طار عن البر الذى كان ينشده فكان له بشيراً .

(٤) رسو ثبير : المناظر متشابهة فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كما كانوا أمس حسبوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .

(٥) الراح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدا منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شىء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعا إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد

واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدةَ الجمال الفريد

وتواصت على الثياب أخيّا ... ت ثلاث فتنٌ بالتقليد

يتسترن بالإخاء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد

لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد

قمن يقسمن بينهن شفوفاً ... غاليات من زاهيات البرود

لاحقات الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد

فتنازعنها مليًّا وولت ... كل أخت بريبة المزؤد (1)

تنتقى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود

لم يكن غيره بأخلب وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .

(1) زاده : أفزعه .

حـــــداً والضـئـيل يبـدو جليـلا إن رآه الـفـــتى بعين حـــــود

* * *

هكذا الخلق فى الحـيــاة تعــادوْا فى حظوظ مـــقـــدورة وجــدود
ظلمـــوا دهرهم ولو بلغــوا السـؤ ل لما كـــان عندهم بســـديد
لا تظنوا الشــريد يرضى بأن يُبْــد ل من همـــه بهم العـــمـــيـد
لو تمنى العــروش لم يرض أن يخلــ ـــع فــوق العــروش نفس الشــريد
وأحب النـفـــوس نفـــسك لكـــ ـــنّ أحب الحظوظ حظ البـعـيـد

* * *

غادة أثينا (*)

حـــــدثى عن دولـة الإسكـنـدر يا عـروس الشـعـر واروى واذكـرى [1]

* * *

كـــاعب كـــالظبى إلا أنهـــا دون نهـــديهـــا جنان القـســوَر [2]
علّـمـــتـــهـــا أمٌّ علـمـت صِنوها البــأس وقــور الضُّـمّـر [3]
رضـــعـت ثـدى أثينا حــرةً ونمت فى أمـــة لـم تـقـــهـــر
أمـــة حــسب بنيـهـا سـودداً أنـهـم رهطٌ عـــزيز العـنصـــر
وغــزاها فـــاتح الأرض كـمـا تحـــدق النار بوكـــر الأنسُــر
وابـتـلتـــه بحنـان صـــابر وابتـــلاها بالعـــديد الأكـــثــر
وسطا الجند عليـــهــا كـــالدّبا [4] بين ألفـــاف النبــات المثـــمــر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .

(١) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر فى تراجم فلو طرحش بتصرف كثير .

(٢) القسور : الأسد .

(٣) الضمر : المعنى أن الأمة التى تعلم بناتها العفة هى الأمة التى تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .

(٤) كالدّبا : الجراد .

راود الغــــادة منهم قـــــائد | ســـيئ الخِــيم غَـــرىّ المنْظر (١)
أيهـــا الفـــاتك بالعـــرض الذى | صـــانه الطهـــر ترفق واحـــذر
أغـمـد السيف فـهـذى وقـعـة | لم تصب فـيـهـا ، لمَّا تظفـر
خـضت حـرباً ليس من آلاتهـا | منصل العـضب وسَـرْد المغـفـر (٢)
دون ذاك النصل سـيف لهـذَم | من شبـا اللحظ وقد سـمـهـرى (٣)
دون ذاك السـور سـد مـحكم | من عـفـاف واضح للمـبـصـر
دون ذاك الحـصن قلب مـضـمـر | كـيف يُرمى حـسن قلب مضـمـر ؟
تبَّت الحـرب فـمـا فى غـيـرها | حل للجـيـش حـرام المِنْسَـر (٤)

* * *

أيأســتـه من رضـاها فـارتضى | من حلى الغـيـد بخط المشـترى
قـال أين المال ؟؟ قـالت هاكـه | يمم البـســتـان وابحث وانظر
دونك البـسـتـان فـانزل بئـره | والتـمس فـيـهـا نفـيس الجـوهر
إننى أحـرزت فـيـهـا لؤلؤا | ليس يُلفى مـثله فى الأبحـر
وأتى البـئـر فـزجـتـه يد | بضـة بيـضـاء مـثل المرمـر
فـتـردَّى ، فـارعـوت تقـذفـهُ | برجـوم كـالغـمـام الممطر
واحـتـوته البـئـر فى أعـمـاقـهـا | كـاحـتـواء النفس سـر المنكر
إن من كـانت حـضـيـضـاً نفـسـه | لحـقـيقٌ بالحـضـيض الأكـدر

* * *

ورآها الجند فـاجـتـازوا بهـا | عند ذى القـرنين هوْلَ المحـشـر
لابس الغـار عليـه أخـضـرا | وهو مـفنى كل زرع أخـضـر
وقـفت وقـفـة لا مـسـتـعظم | عـزةَ الملك ولا مـسـتـغـفـر
قـال من أنت ؟ فـقـالت «إننى | أخت (ثيـجين) الأبىّ الشَّـمـرى

(١) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .

(٢) المغفر : منصل العضب أى حديد السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع .

(٣) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحد .

(٤) المنسر أن ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه فى الحرب .

أخت (ثيجين) فسل من قومكم | عنه مَن لاقاه تحت العِثْيرَ [1]
مات فى الحرب التى أرَّثها [2] | بغى فيليب أبيكَ الغَمشر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى | دوحة المجد بغصن «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنى باسط | لك فيْأ [3] فاسكنى أو فاهجرى
وخذى مما وهبنا أو دعى | لن تُنالى بالأذى فى عسكرى

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مخلفَ آمالى | آمالى يا مخلقاً جدَّة سربالى
إذا تجهمت لأهل الثرى | مزقت بالأضواء أوصالى [5]
وتمسح الأدمع من عينها | حتى يبيت الصب كالسالى
الآن فلأحجبك عن أعين | أحييتَها فى الزمن الخالى

* * *

مقالة فاه بها أهرما | ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها | بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبدى لها | بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت فى برجها لفتة | وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبنى شانئ | لولاى لم يلحق بأذيالى ؟

(١) العثير : غبار الوقائع .
(٢) أرثها : أوقدها .
(٣) فيأ : ظلا .
(*) أورمزد واهرما : جزء أول .
(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثانى الغمام .
(٥) الأوصال : هى الأعضاء .

تحـــجـــبنى حــــيناً ولكننى أزجــــيك للخــــيــــرات والنـال (١)
لو علم الناس مـــصــيـــر الأذى لنافـــســــوا فى الشـــر بالمال

* * *

عند حـــلاق (*)

مــا بالهـــا تطفـــر كـــالغــزال ســـاحـــرةً بالتـــيـــه والجـــمـــال
هيــــفــــاء من أوانس الأندلس ذات جـــبين كـــالنهـــار المشـــمس
قـــد أســـفــرت حـــاليـــةً بالنُّور فى وجنة ومـــــقـــلة وثغــــر
مـن كـلِّ زهر نـاضـــــر الرواء والزهر لا ينضـــر فى الشـــتـــاء
ثم اســتــوت فى مــجلس هناكــا تمد للخـــلائق الشـــبـــاكـــا
أمـــامـــهـــا المرآة فـــيـــهـــا يظهـــر مـا ليس فى غيـر المرائى تبـصـرُ (٢)
تمثـــالهـــا فى صـــفـــحـــة البلور مـــرتســـمـــا بريشـــة من نور

* * *

وكـــان يرعـــاها أريب كـــيّس فـــقـــرٌ فى مـــوضـــعـــه لا ينبس
وصــــــوّب الطرف إلى الرذيلة يرمق تلك الصـــورة الجـــمـــيلة
كـمن يهـاب الشـمس فى السـمـاء فـــيـــرتضى بقـــرصـــهـــا فى الماء
وسـاءها حـتى إلى الطيف النظر ! أهكذا تبـــخل ربات الخـــفـــر ؟
الحــــســن إن ضـن بـه المليح كـــالمال إذ يدفنه الشـــحـــيح
والزهر إذ يزكـــو لغــيـــر ناشق والبـــدر إذ يبـــدو لغـــيـــر رامق
فـأقـبلت غـضـبى إلى قـرينهـا وأومـــأت ســـخـــراً إلى مـــجنونهـــا !
قـــالت ألا تنظر للمـــغــــرور حــــدّق فى المرآة كـــالمســـحـــور
مـــازال يرنو نحـــوها بالطرف حـــتى لقـد أخـجل فـيـهـا طيـفى

---

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .
(*) عند حلاق : جزء أول .
(٢) تبصر : المعنى أنها ترى أمامها فى المرآة ما لا تبصره هى إلا فى المرايا لندرة من يماثلها من الحسان .

فـــأومـــأ القـــرين للحــــلاق يبــتــسم ابتـســامــة الإشــفــاق
وقـــال : قل للصــاحب الصــديق لا يكســـر المرآة بالتـــحــديق
من يكْثــــر اللمح لهـــا بالليل قــد يعــتــريه خــبل فى العــقل

* * *

فــأطرق الأديب كــالمســتــعــتب وقــال «عــفــوًا» يا قـــرين الكوكب
مـــا فى المرايا ثَمّ من شـــيطان يُخـــــاف منه المسّ للإنســـــان
لكنّ فــــيـــهـــا ملكاً مكمّـــلا يوحى لنا الحـــسن كـــمـــا تنزلا
ملكتَ منه الذات واســـتـــأثرتا فــفــز بهــا مــغــتــبطاً ، هنئــتــا
ودع لنا هذا الخــيـــال مــغنمـــا ! ليس الخــيــال حــرمــاً أو مــحــرمــا

* * *

أمنـــا الأرض (*)

(مـغـزى هذه القـصـيـدة أن الخـوالج التى تحـرك الأطفـال هى الخوالج التي تتـصـرف بالرجـال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفال وهم لاعبون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســـــائلُ أمنا الأرضـــــا ســــــؤال الـطـفـل لـلأم
فــتــخــبــرنى بما أفــضى إلـى إدراكـــــــه عـلـمـى

* * *

جـــــــزاها الـلّـه مـن أمّ إذا مـــا أنجــبت تئـــدُ [1]
تُغــذّى الجــسم بالجـــسم وتـأكـل لحـم مــــا تـلـد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .
(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يا أمّ كم طلعــــــا عليك الشـمس والقـمـرُ
وكم أسنى وكم وضـعـــا على أرجـــائك القـــدر

* * *

أقـامـوا أمسِ وانصـرفـوا فليس لفَلّهِم [1] شـــملُ
فـــأين نفس من سلفـــوا وأيــن يـكـون مـن يـتـلـو

* * *

فـقـالت فى مـلامـحكم يـبـين الجـــدّ والخلَف
فـجـوسـوا فى جـوانحكم فـثمّ يجـوس من سلفـوا

* * *

وأين عظام من نبـهـا [2] من الماضين فى السّـيــر
فـقـالت قـد صنعت بهـا لكم حلوى من الثـمـــر !

* * *

ومـــا المجـد الذى أضـرى قلوب بنيك فـاشـتـجـروا ؟
فـــقـــالت حلة كـــبـــرى يراها القلب لا البـصـــر

* * *

فـقلت لهـا : فـمـا العـمل ؟ فـــقـــالت خـــادم الحُلْم
ومـــا الأحــــلام والأمـل ؟ فـــقـــالت حـــيلة الأم

* * *

وقـــد يُحـــتـــال للطفل على خـيـــر له مُـجـــد
ألا ينـبـــــو عن الأكـل إذا لـم يُغـــرَ بالوعـــد [3]

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه . (٢) نبه : اشتهر .

(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فقلت لها ما السُّقمُ ... وما الآلام والبلوى
وما الآفات تخترم ... شبابَ الأحور الأحوى ؟

* * *

فقالت إنما البلوى ... عقاب الطيش والنَّهم
فإن جرتم على الحلوى ... هززت لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذهبُ ... وفيمَ طويته عنا
فماج الناس واضطربوا ... فلا عطفاً ولا أمنا

* * *

فقالت لست أحسبه ... سوى ضرب من الحجر
وإن الطفل مطلبُه ... أشد لكل مستتر

* * *

يجد الطفل مفتتنًا ... بما لم يُبدِه العلَنُ
ويحسب جهده ثمنًا ... لشيء ماله ثمن !

* * *

لَزدت بقولها خُبْرًا ... وزدت بقولها جهلا
فما ألفيته وعرًا ... وما ألفتيه سهلا

* * *

وصحت بها إلى أينا ... إلي أين المصير بنا ؟؟
فغضّت عينُها الجفنا ... وصدت عنّىَ الأذُنا

* * *

بنى الدنيـا لعـابٍ بهـا ... فـفى الأبواب قـصّـاد
لكم يوم بملعـبـهـا ... وتحـت الأرض آبـاد

لهـا ملـهىً تـكرره ... إذا مـا انفضَّ لم يُعـقـدْ
نغـادية فنـنظره ... ويوصَـدُ بابُه السـرمـد

سيـان (*)

ياشمس ما ضرّك لو لم تشرقى ... يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق ... سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنـين كـرامـة
فالحزم أجمع تـركهم فى الأظهر
(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحـمـة لا يعرفـها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفـون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قـعـودى ... فـمتى أنت مـخـرجى للوجـود ؟
طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .
(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبى عـــالمُ الظلام مـــخـــيف ليس يقـوى عليـه طفل ضـعـيف

فاجزنى من ظله المسدود

حَـدّثونا عن الحـيـاة العـجـاب فلهــجنا بحــسنهـــا الخــلاّب

وظَمئنا لحوضها المورود

حـدثونا عن الدجى كـيف بسطو وعن الصـبح بعـده كـيف يعطو

وعن النحس فيهما والسعود

حـــدثونا عن دارها وبنيـــهـــا وجـهـادٍ يُمنى[1] به القـوم فـيـهـا

وعن الموت بعدها والخلود

أرنى الجـــهـــر يا أبى والخـــفـــاءَ أى شىء ذاك المســمّى شـقــاءَ ؟

أى سر يُراد بالمولود ؟

مـا الوجـوه الحسـان ؟ ومـا النُّوار ؟ ما الدرارىّ ؟ مـا الفلا ؟ ما البحار ؟

إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لـى جـــــدود وليس لى أبوان ولئـن شــئت آن فـــيكم أوانى

وتملّيت قسمتى فى الوجود

* * *

ولـدى ! إننـى أبوك الرحـــــيم أنـا بـالـعــــيش يابـنـى عـليـم

لا تصدق مقالةً من بعيد

مـا حـيـاةٌ تشـقى وتسـعـد فـيـهـا تتـــعنّى لكن بما يعنيـــهـــا

فى عظيم تُبلى به أو زهيد

---

(١) يمنى : أى يبتلى .

يحسب الحى جهده لهواه جهل الحىّ جهدهُ لسواه
إنما المرء آلة للجدود(1)
إنّ غُنم الحياة من لم يجده لم يُمتّع به ، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود
شرها يا بنىّ شرٌ ثقيل خيرها يا بنىّ خيرُ قليل
أهلها يا بنىّ أهل حقود
زعموها إلى الخلود تؤدى ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُوْد على تجاليد مُودى
قف بباب الحياة لا تدخلنها واعتصم يا بنىّ ما اسطعتَ منها
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعرى الوليدا فتنحى عن الحياة بعيدا
والتفى الشيخ وابنه فى اللحود

* * *

بين الشاعر (*)
وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالى وكذّبت أحلامى ، وأشمتّ عذالى
إذا ما وعدت أخلفت فى غد وهيهات لا تبقين يوما على حال
يظل غريرا من أعارك سمعه وإن عاش أجيالا عفتْ بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجتَ بلبالى وما أنت بالسالى هواى ولا القالى
ملامك فيه الحق ، أو فيه بعضه وما غاب عن ظنى ولا بان عن بالى
إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتى ومن يصف الدنيا يصف خيمَ(2) ختّال
إذا هزلت أمى الحياة فهل ترى من الصدق ألا يطرق الهزلَ أقوالى ؟
بحسبك من عذرى إذا ما عذلتنى أما نة تمثيل ، وروعة تمثال !

(1) للجدود : الحظوط . والمعنى أن الإنسان مسخر فى الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن الحياة نعمة تعنيه هو وما نصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التى تسخره لغاياتها .
(*) بين الشاعر وعروس شعره : وحى الأربعين .
(2) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدنه بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حى النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغرائز والأهوواء فى الإنسان حتى يكون منبوذاً من الحياة كأنه عاشق لها مملول لا تبالى هى أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هى الأزمة التى تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى اللّه حانوت القيود فإنه ... مناط الأمانى من بعيد ومُكثِب[1]

تزوّد منه الناس فى كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب

يصيحون فيه بالقيون[2] كأنهم ... سراحين[3] فى واد من الأرض مجدب

فمن قائل عجل بقيدى فأننى ... طليق ، ومن عان كثير التقلب

إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أُثقلته لم يقطب

يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشِىّ الطيالس معجَب

فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلا من عقال مؤرّب(٤)

يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب

يمشى بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب

وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفى الحب قيد الجامح المتوثب ففى

ينادى : أنلنى القيد يا من تصوغه ... القيد من سجن الطلاقة مهربى

أدره على قلبى وعقلى ومهجتى ... وطوّق به كفى وجيدى ومنكبى

ورصّعه بالحسن المسوَّم وأجلُه ... بكل سعيد فى المناظر طيّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث . ٢٠٤ (٥ فقرة ١٤٤) .

(١) المكتب : القريب . (٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .

(٣) سراحين : ذئاب . (٤) مؤرب معقد .

عزيز علينا اليش حرا وحولنا ... أسارى الهوى من فائز ومخيّب

ورب رخيّ البال تمت حظوظه ... يقيد دنياه بعنقاء مغرب

أمانيّ يقفوها فتربط خطوَه ... رباطَ الدياجى خطوة المتشكب

وآخر أضنته الملالة باسط ... يديه إلى الأعمال فى غير مأرب

إذا ما رأى المكدود يمقت عيشه ... تمنى على الأيام شقوة متعب

وكم طامع فى الجاه والجاه عصمة ... ولكنه كالمعقل المتأشب

يصد العدى عن ربه ويصده ... عن الناس صد المحجم المترقّب

ورب عقيم حطم العقم قيده ... يحن إلى القيد الثقيل على الأب

إذا منّت الدنيا عليه أجابها ... بلعنة موتور وعولة مترب[1]

يرى أن حال المفتدى من إساره ... لديها كحال المجتوَى المتجنِّب

ومن لم تعلّقه الحياة بقيدها ... فيا سوء ما اختارت له من تقرّب

* * *

بنى آدم لا تنكروها فإنها ... مياسم من أرواحكم لم تُغيّب

فما تكرهون القيد إلا لأنكم ... تتوءون منه بالثقيل المشعّب

أعزكم من لا مزيد لوقره ... ولا فضل[2] فى أغلاله لمعقّب

وقد زعموا أن القياد قيادة ... لمن كان يمشى فى مجاهل غيهب

* * *

---

(١) مترب : فقير .

(٢) فضل : بقية .

أكاروس (*)

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المآزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورًا فى الأساطير «منوطور» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها المخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فصارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

(*) أكاروس : وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب … وتلك المهاوى من خُضارةَ[1] فاجنب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه وظن … ونادى ، فنحَّى جنده كلَّ مركب ؟
بنا عجزًا ، فيا سوءَ رأيه ! … متى حيل ما بين السماء وكوكب
أدر مركب الريش الذى ما استقله … أنيسٌ ولا جنٌّ ولا ذات مخلب
وطر نلتمس عِبْرَ[2] الشمال ونرتحل … على سنة الطير التى لم تُهذَّب
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها … على أهبة فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزمًا يقودك شرخه … إلى الأوج ، فاحفظه لشوط مغيَّب
وسر قدُمًا . إن المطار لواحدٌ … ولكنْ سبيل الأوج ليس بمقرب[3]
أكاروس ! إنا هاربان من الردى … فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب
توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدا … ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب
فإنك أن تغترّ بالشمس ينخذلْ … جناحاك ، أو تبتلّ بالماء ترسب
هنا لافح يوْهى اللحام ، وها هنا … لريشك وهيٌ من رشاش مرطِّب
أكاروس ، إنى باذل لك من يدى … ومن خبرتى ذخرَ الصنَّاع المجرب
تذكر عظاتى واعلم اليوم أنه … صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى
ولا تتخذ ريشى وتنس نصيحتى … يخنْك جناحُ الرأى يوما فتعطب
جناحك من ريش إذا لم يُعنهما … عديلان من رأى ، كأغلال مُتعَب
أقلُّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمهُ … أمانة روح لم يصنها لمأرب
ولى فيك أعمارٌ طوال واللذّنى … فأسند إلى عزّم الصبا حزم أشيب
حياتك من بعدى معادى ، ولن ترى … فتى صالحا يجنى الفناء على أب
وللأمس شوقٌ أَنْ يرى الغد طالعا … فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب[4]
بُنَىّ استمع قولى فما بعد نَسْيه … سبيلٌ إلى تكراره لمعقب
إلى الجو ! هذا يا بنى وداعنا … وللأرض منا لهفة المتغرِّب
فإما لقاءٌ بعد فوق صعيدها … وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب

(١) خضارة : اسم معرفة للبحر . (٢) العبر : الشاطئ .
(٣) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .
(٤) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصـــاةٌ لديدالوس وصَّى بهـــا ابنه ... ونعم الموصّى من حكيم مـــدرَّبٌ
صناعٌ لـه كف كـــأنّ أكــــفّنا ... من العجز - إن قيست بها - لم تُركّب
عليمٌ بأســرار الفنون ، وإنهـــا ... لتـقـبس من سـر الحـيـاة المحجَّب
ومن يُؤتَ تصريف الجماد يُصب به ... أكــفًّــا وأعـضــادًا إلى كلّ منكب
وناهيك ديدالوس من ذى حصافة ... قدير على فعل الأعاجيب معجب
يعيرك من يمناه صولة قشعم[1] ... وخلسـة ثعبـان وحـيلة ثعلب
ويبنى فـمـبناه عـمـادٌ لأمـة ... وبيتٌ لأجـيــال وزينٌ لمنصب
ولكنه بئس الغيـور على اسمـه ... وقـد يحـمل الغيـرانُ أوزار مـذنب
تغـيَّظ لما بزه فــرع صنوه ... ولم يرع حق الأخت فى ابن محبَّب
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى ... وواراه ، لم يندم ولم يتحـوَّب[2]
ومـا كـان إلا أن نبـا بكليهـمـا ... فـضـاء أثينا من مقيم ومُعـزب
فـهـذا مـسـجًّى فى ثراها مـتـرّبٌ ... وهذا مُـزجى دونهـا كـالمتـرب
تشـرّد واستـعـدى لإخـفـاء أمره ... ذكاءً يريك النجم فى جنح غيهب
ووارتـه من عين الغـريم فنونهُ ... وكـانت منارًا بين شـرق ومـغـرب
ومـا زال يَعْـرَورى البـلاد ويتـقى ... تصـعـدَ أثناء الذرى بالتـصـوُّب
إلى أن تلقَّـتـهَ «كـريت» وربهـا ... على خيـر أهل فى حمـاها ومرحب
وأمَّل «مـينو» منه حـصنًا لملكه ... فحصنه «مينو» بملك مؤشَّب[3]
ومـــا مَلِكٌ إلا له من صناعـــة ... مـعـاقلُ يبنيـهـا ليـوم عَـصَبْصَبِ

* * *

هنالك كـان الأمن لو يأمن امـرؤٌ ... يُخـاف ويرجى للمـخُـوف المؤرّب
تحـيَّـر ديدالوس مـا بين مُنكر ... وشكر ، وغبٌّ اثنيـهـمـا غير طيّب
أيحـمل شكر الملك أم كيد عرسه ... وأنجـاهمـا فى طيّـه سمٌّ عقرب
غوتْ عرس مينو واشتهت ، ساء ما اشتهت ... من الناس ، لا بل من بهيم مـذنَّب
تحنُّ إلى ثور وتهـوى اقـترابه ... وليس ولىّ العـهـد منه بمعجب !
فـأولدها طفـلا له مـثل ظلفـه ... إلى شـر وجـه آدمىّ ومنكب
ويا رُبَّ أنثى تعشق الثـور كلمـا ... سباها فتى بالجسم لّا الروح يستبى

(١) القشعم : المسن من النسور ومن كل شىء . (٢) تحوب : أى تجنب الحوب وهو الذنب .
(١) مؤشب : متشابك ملتف .

فَمَنْ غير ديدالوس يخفى شنارها ويرعى مهاد الطفل رعىَ المؤدِّب ؟!
أهابت به أما وأنثى حريصةً ومالكة حيرى ، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزا ، وليته تلمّس حرزًا من غوائل مُغضَب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه وضاجع أشجانَ المعنَّى المعذَّب
وأقسم لا واق من الموت عنده ولا وائلٌ من سخطه المتلهِّب
وأهولُ من هول الخضَّارم فى الدُّجى ضراوة مهتوك وغيظ مخيَّب

* * *

فلمَّا تنادى الجند وارتجَّت القرى وخيف الأذى من حاضرين وغُيَّب
وقالوا : أمَنْ ربُّ الجزيرة حربه يوقيه عرض البحر أو طول سبسب
أهاب الصَّناع العبقرى بفنه فلباه ، فاستعلى به متن أشهب[1]
تسربل من ريش وسربل نجله خوافق لوِّى بينها ألف لولب
فحلّق مزهوا وفرّ مظفّرا وأغرى لسان السخر بالمتعقِّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا فتاه من البأس الذى فيه يختبىء ؟
بلى ! قد نجا لولا طماحٌ سما به إلى الشمس فى ثوب من النار مُذهَب
تعشّقها مفتونةً فتقلبتْ هواه بوجه صادق النور خلَّب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى لنصح نصيحٍ أو لزجر مؤنّب
وما هى إلا وثبة بعد وثبة إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
تعشّقها نارًا ، فإن جاءه الأذى من النار ، فليعتب . فلا حين معتب

* * *

علا بدم حىّ وخرّ مضخمًا به فى جناحى أرجوان مخضَّب
طريحًا علَى صخر تُغشّيه رغوةٌ من العيلم[2] الغضبان فىٍّ غير مَغْضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله ، ومن يرَ أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاءٍ للشباب علمتُه سوى مدمع من أعين الحسن صيِّب
إذا جال فى حسبانه هان عنده دموع ذراها[3] الحزن من طرف أشيب

* * *

(١) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .
(٢) العليم : البحر . (٣) ذرا : الشىء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كـانت الكعبـة والأصنام فـيـهـا ... زينةً تأخـذ قلب الصبّ تيـهـا
حـلـفـتْ فـى كـل ركـن بـالـدُّمـى ... والدمى مـسـتـعـبـدات صـائغـيـهـا
هى أصنامٌ لمن يعـبـدها ... أو تماثيلُ تناجى عـاشـقـيـهـا
عظمتْ حـينا فلمـا زُلـزلت ... كـاد من صلى إليـهـا يزدريهـا
كـان فـيـهـا صنم الحق نبيـ ... ـهـا[1] تداعى ، فبدا مِسْخا كـريها
نـزع الـزلـزال عـينى رأسـه ... فـاحـتـوته ظلمـاتٌ غـاب فـيـهـا
وارتمت سـاقـاه فى جـانبـه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهًـا ؟!

* * *

كـانت النخـوة فـيـهـا صنمـا ... صـاغىَ السمع ، كـمـا شئت نزيها
يخلب الطّرف بحـسـن واضح ... وسـمـات تزدهى من يجـتـليـهـا
فـارتمت أذناه فـى الأرض لَقىً ... ومـضـت كفٌّ بال كف تليـهـا
يطلب الغـوث ولا غـوث له ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟!

* * *

والإخـاء المحض كم أبصـرته ... حـيث لم أبصـر له قط شـبـيـهـا
قـائمًـا يفـتـرُّ عن مـبـسـمـه ... واسع الصـدر ، يحـيـيك وجـيـهـا
شـقـه الزلزال فـانجـاب لنا ... عن حنايا صـدره لا قلب فـيـهـا
خـيـر مـا فى وجـهـه ظاهرُه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟
وتراءى الحب فـيـهـا فـتـنةً ... مـا اجـتـواها زائرٌ من زائريهـا
ضـرب الـزلـزال فى أصنامـه ... فـهـوت أشـلاؤها تنعى زويهـا
مـا الذى أبقـاه من أشـلائهـا ؟ ... سـوأة يعـرض عنهـا مـشـتـهـيـهـا

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحى الأربعين .

(1) النبيه من النباهة وهى الظهور والشهرة .

وهوى تمثـــال مـــجـــد لامع يخطف العين بنور يعــتليــهـــا
مـــلأ الدار علينا جـــوهرًا زائفًـــا ينطق بالـزيف بديهـــا
وقـــشـــورًا لا تســاوى وزنهـــا من ترابٍ ،لن ترى من يشـتـريها
هى إن قـــامت جـــمـــالٌ فـــإذا ســقطتْ ،لم تكد العين تعـيهـا

* * *

هكذا أقـــوت زوايا كـــعـــبــتى وثوت خـــاويةً من ســـاكنيـــهـــا
غـــيـــر أنى طائفٌ من حـــولهـــا لم أشـــأ أهجـــرها أو أبتنيـــهـــا
لا طوف المتـــملِّى[1] حـــسنهـــا أو طواف المهـــتـــدى من عـــابديها
بل كـــمن نقب فى جـــوف الثـــرى يجـــمع الآثار فى شـــتّى سنيـــهـــا
من فـــراغٍ لا من الـرغـــبـــة فى تلكم الآثار ،أمـــسى يقـــتنيـــهـــا
أو هى العـــًادة كـــالطيف إذا هام بالأجـــداث يبكى نازليـــهـــا

* * *

(١) تملى الحسن : نظر فيه واستمتع برؤيته .

إبليس ينتحر (*)

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا ... أبخع نفسى حزنا كمن بخعا
حريةُ القوم أفسدت خُدَعى ! ... لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا
إن مُنعتْ لذةٌ حفزتُ لها ... فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟
لو حُجبتْ شهوة أُزيّنُها ... فكيف تزيين ظاهرٍ سطعًا ؟
وإن طغى ظالم له خنعوا ... فكيف يطغى إن عَزَّ من خنعا
لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ ... حريةُ القوم ضاق ما اتسعا
واستغنتْ الأرض والسماء معًا ... عن الشياطين فانطووا جزعا
ما حاجة الأرض للأبالس فى ... عهد نضا الخوف عنه والجشعا ؟
وكيف تغذوهُم بلا عمل ... وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟
وأين يأوونها إذا قشعتْ ... عنها ظلام الدهور فانقشعا
أتى زمانٌ أموت فيه أنا ... إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنعا
ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى ... ملكٌ إذا همّ قلما رجعا
هاتوا لى الخير جرعة فإذا ... ضعفتُ عنه شربته جُرَعا
سأسبق الموت حين يتبعنى ... فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم(*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جـــمـــيع الناس سكانى ... فـــــهل تدرون عنوانى ؟
ومـــا للناس من ســـر ... عــــدا آذان حـــيطانى
حـــديثى عـــجب فـــيــه ... خـــفـــايا الإنس والجـــان
فكم قـــضـــيت أيامى ... بـأفـــــراح وأحــــزان !
وكـــم آويـــت مـــن بـــر ... وكم آويت من جـــــان !
فـــإن أرضـــاكم ســـرى ... فـــهـــا كم بعض إعـــلانى

* * *

بنى الإنســـان لن أحـــفـ ... ـل فى دهرى بإنســـــان
ألـم أعـــــــرفكم طـرا ... فلم أســـعـــد بعـــرفـــانى
أتـــانـــى أول الـــسكْـــن[1] ... ومـــا اســـتـوفـيت بنيـانى
ومـــــــا أرهـفـت آذانـا ... ولـــم آنـــس بـــقـــطـــان
وأصـــغـــيت على مـــهل ... فـــطـــاشـــت كـــل آذانـــى
همـــا زوجـــان ، أو شـــيطا ... نـة لاذت بـشـــــــيطـان
وقـــد عـــاشـــا وفـــيين ... بتـــقـــدير وحـــســبـــان
وراحـــــــا - هـكذا يحكو ... ن - فى روح وريحــــان
ومـــا أبصـــرت من هذا ... ولا مـــن تـــلـــك فـــى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .

(١) السكان .

سـوى خـوانة خـر   قاء تفرى عرض خوان
إذا ما ضحكا يوما   على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا   ل فى غيظى وكتمانى
وأشفقت من النقـ   ـمة أن تهتز أركانى

* * *

وجاء الساكن الثانى   وبئس الساكن الثانى
يراه الناس ذا مال   وأفراس وغيطان
وقد شوهنى بخلا   وأعرانى وأعيانى
وقد صيرنى سجنا   ومنه كان سجانى
فلما طال بى عهدا   ولم أسعد بهجران
وددت لو أن لى فى   كل جحر ألف ثعبان
بديلا منه أرضاه   وأحبوه بغفرانى
وأنفث سمها أو يتـ   ـقى شرى ويخشانى
إلى أن آده[1] أجرى   ولم يظفر بنقصان
فأخلانى ولن أنسـ   ـى سرورى يوم أخلانى

* * *

وكان الساكن الثا   لث ذا عز وسلطان
فما ارتبت بأن العـ   ـز والذلة سيان
وما ألفيته إلا   لئيما جد غفلان
ضعيفًا يستر الضعـ   ـف بطغيان وعدوان
وكم أذعن للطاغى   عليه شر إذعان
إذا ما لقى النا   س بكبر منه طنان
فما أصغر ما ألقـ   ـاه منه بين جدرانى

* * *

وأما رابع القوم   فذو علم وتبيان
حشا بالورق اليا   بس والأخضر حيشانى

---

(١) آده : أثقله .

فما لى موضع فى الأرض رض أو من فوق عمدان
ومالى مطبخ أو مخدع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا وفيها الكتب تلقانى
أبى للنفس دعواها لم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالحق ذاك العالم العانى !
أبين الناس يحتاج إلى علم وبرهان ؟
وهم عميان ظلماء سروا فى أثر عميان ؟
كثيرٌ لك يا إنسان فى دنياك عينان !!

* * *

وأما الخامس الجانى فناهيك بشهوان
فما زودنى إلا بإثداء وأعكان
وهُتّاف بألحان وسُمار على ألحان
إذا أمسيت مسانى بأشكال وألوان
على الأبواب ما يرضيك من حسن وإحسان
ومن صون لأسماع ومن غض لأجفان
فلا تنظرهم ثمة وانظر بين أحضانى
فيا للّه كم فى الأرض من غى وغيان
وكم فى القوم من مخدوع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار وخلان وأخدان
لو أنى قلت ما أدرى لهدوا كل أركانى
فنعم الصمت والحكمة يا صخرى وصوانى !

* * *

وكم صاحبت من أصحاب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصى وعافوا شهوة الزانى
وباتو بين قربان وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الدنيا على غبن وحرمان
إذا ما شرفتنى زمرة منهم بصحبان

حسبت الأرض تجفونى   فأنساها وتنسانى
وقالوا الجان لا تقر   ب من مجلس فرقان
فقد ألفيت بعض الأنـ   ـس فى العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما آو   يت فى لؤم وعصيان
رياء الخائن العادى   على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه   ولا قوه بإيمان
وفى حجرة أسرارى   وفى ظلمة أوكانى
يبيع الحوزة الكبرى   بربع أو ببستان
ويعطى الحق والذمـ   ـة والفتيا بأثمان
ويُفنى أمة تحيـ   ـيه وهو الزائل الفانى
ويمشى بين قتلاه   رفيع الذكر والشأن

* * *

ولم أحمد من الضيـ   ـفان ضيفا مثل فنان
تولانى بإبداع   من الفن وإتقان
وغطى كل جدرانى   بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن واستو   حاه من جنات رضوان
فحينا حسن مكسوٌّ   وحينا حسن عريان
بريئا فى سماء الفـ   ـن من عبث وأدران
وفتانا على الحا   لين لكن أى فتان
كما تفتنك الزهـ   ـرة فى أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها   لو دونت ديوانى
ومثل كل جاراتى   ومثلى كل جيرانى
عرفت الناس أشتاتا   بلا عد وحسبان
فلم أعرف أأعداء   هم أم جمع أقران ؟
إذا ما اختلفوا فى   سيمة تبدو وشغلان
فهم فى الموت أشباه   وفى سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا   بكى حينا وأبكانى

مساكين فلا تحفل ... من الناس بإنسان
ولا تحسد فتى منهم ... على بأس وإمكان
فأعلاهم وأدناهم ... أمام الغيب صنوان

* * *

نزيل المنزل الخالى ... ألا تعرف عنوانى ؟
إذا ما طفت حوليه ... فثق أنك تلقانى
فما من منزل إلا ... وفيه بعض ألوانى
تأمل فى نواحيه ... وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمت فيـ ... ـه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلوا من ... مغاليق وأكنان
إذا ما كنت مستحضر ... أرواح وحدثان
فقف فى المنزل الخالى ... وأرهف سمع يقظان
وأغمض فيه أجفا ... نك وانظر غير وسنان
تر الأطياف أفواجا ... وتسمع موج طوفان
وتجمع كل ما يُجمع ... من ربح وخسرن
ولا يخطئك تاريخ ... ولا دارس أزمان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجوه سيمة القلوب ... فانظر إلى المسجد من قربـ
وقف لديه وقفة اللبيب ... فى ظهر يوم الجمعة المحبوب

إنك فى حشد هنا عجيب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل .

هــذا الــذى يمــشــى ألا تــراه كـــأنما قـــد حـــملت يداه
ســفــتــجــةً[1] صــاحــبــهــا الإله ذاك هو الـدَّيـن ، وقـــد وفـــاه

فـلـيـس لـلـدائـن بـالمـطـلـوب

* * *

وذلك المبـــتـــسم الرصين كـــأنه بســـره ضنين
أصـــغى إليـــه ســـامع أمين فـــهـــو إذا صلى كـــمن يكون

فى خلوة النجـوى مع الحـبـيب

* * *

وانظر إلى صـاحـبنا المخـتـال فى حلة ضـافـيـة الأذيال
أكـان فى حـضـرة ذى الجـلال أم كـان فى عـرض أو احـتـفـال

يُزهى على المحـــروم والمسلوب

* * *

وكم مـصلّ خـافت الدعـاء كـأنما نصٌ إلى السـمـاء
رسـالة فى عـالم الخـفـاء فـلا ينى يبـدو لعين الرائى

كـالمتـرجّى أوبة المكتـوب

* * *

ورب شـيخ من ذوى الخـلاَق[2] فـرحـان بالجـمع وبالتـلاقى
كـأنه التلمـيـذ فى انطلاق بين تلامـيـذ له رفـاق

عـادوا إليـه عـودة الغـريب

* * *

تجـمـعـوا فى بيـتـه تعـالى وافـتـرقـوا فى جـمـعـهم أحـوالا
وهل نسـوا فى أرضـه النضـالا فـيـحـتـويهم بيـتـه أمـثـالا

على اختـلاف السَّمت والنصيب ؟

* * *

(١) السفتجة : هى ورقة التحويل المالى . (٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رءوسهم وبالا
وألحق المخطئ بالمصيب

* * *

الدينار (*)
فى طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من باب الخزانة فى السماء
نادى الموكّل ثم بالأ رزاق : أين ترى الثواء ؟
قال انطلق فى الخافقـ ين إلى فتى جم الشقاء
قد بات ممنوع الغذا ء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه ومنّه بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهـ و يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعـ نى استطيب هنا البقاء
سيطول بحثى عنه فى وادى الخمول ، ولا لقاء

* * *

قال الموكَّل ثم بالأر زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ يرَ ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ ض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينارُ وجهـ ته وهمّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعا لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا م كالطريق على اهتداء

(*) الدينار فى طريقه المرسوم : عابر سبيل .

نداء طفل (*)

أرسلت إلى عروسين :

سـرى إلى الآذان فى غفوة الوسنان
نداء طفل جرىء مستعجل لهفان
عجبت منه صغيرا يقول طلق اللسان :
«أبى كريم وأمى كريمة فى الحسان
كلاهما فى رواء من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤاد مجمَّل بالحنان
كلاهما يتمنى بين الصغار مكانى
فلى أحق رجاء فى عالم الإنسان
وفى ولادة يمن تزف بالمهرجان
وفى احتفال ختان وفى احتفال قران
وفى احتفال نجاح ويجوز كل امتحان
هيا ادعوانى سريعا إليكما واهديانى
وقربا لى ضياء الشمو س والأكوان

* * *

قالوا : انتظر ! قال لا لا هيهات لست بوان
قالوا تعقل قليلا يا أعقل الفتيان
فكل شىء لدينا موكلٌ بأوان
أتحسب العيش رهنا بما قضى الأبوان
فصاح صيحة سخط وقال فى عنفوان
مالى أنا ؟ أنا مالى ؟ هيا ادعوانى ادعوانى
أتأبيان لقائى ما أنتما منصفان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تعـــــذلوه إذا مـــــا أطال فى الهـــــــذيان
فـالطفل غـيـر صـبـور على الحـجى والبـيـان
والطفل هيـــهـــات يدرى يومـــا بحكم الزمـــان
فـاسـتـمـهـلاه برفق وحـــيلة وافـــتنان
ولا تطيـــلا عليـــه فى الغـيب عـد الثـوانى
فكلنا نتـــرجى قـــدومـــه فى أمـــان

* * *

جواب جميل(*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهـــا النوام ويحكم هبـــو أســائلكم هل يقــتل الرجل الحب

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقـــدين فلو درى بنا الحب لم يرقـد لنا أبدًا جنب
وسل راقدى الأجداث عنهم فإنهم مجيبوك عن علم بمن قتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـــا الأمـــوات ويحكم هبـوا أسـائلكم هل يقـتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مـــزعجَ الموتى فلو كنت قـادرًا على أن تهب اليوم من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سامعًا هنا سـر مـقـتـول يبـوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغـــيف خـــبــز ووجـــهٌ ... حلـو ، وكـــأس مــــدام
وتـلـك جنـة عـــــدن ... فى مـــذاهب الخــيّـــام(١)

* * *

قـــالوا : ونُودىَ يومـــا : ... مـــا تشـــتـــهى فى يديكا
دع مطلبًـــا منه فـــردا ... والبـــاقـــيـــان لديكا

* * *

فـــحـــار بين رغـــيفٍ ... إنْ فـــاته مـــات جـــوعـــا
وبين وجـــــهٍ منيـــرٍ ... إن غـاب غـابت جـمـيـعًـا

* * *

وبـين كـــأس مـــدام ... على الشـــقـــاء تعين
لـولا خـــــداعُ مـنـاهـاً ... أفـــاق وهو غـــبـين

* * *

طال التـــردّد فـــيـــهـــا ... فـمـال عنهـا كظيـمـا :
ســـألت جنـةَ خـلـد ... ومـا سـألت جـحـيـمـا

* * *

قـــالوا : فناداه صـــوتٌ ... يقـــول فى غـــيـــر رفق
كـــصـــوت إبـليـس لـولا ... مـا فـيـه من فَـرط صـدق

* * *

«أتـلـك جـنـة خـلـد ... تهـــذى بهـــا يا حكيم
يـطـلـبٍ إن عـــــداهـاً ... ترتـدّ وهى جـــحـــيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .
(١) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسى وله رباعية بهذا المعنى .

مادى يعلل الربيع (*)

رفيق أول : إن الربيـع جـميـل
رفيق ثان : صـه ! ذاك قولٌ دخـيلُ

ألـسـت تـعـلـم أن الـر   بيع شـيىء ثقـيـل
وأنـه مـن صـنـيـعٍ   للغش فـيـه أصـولُ

رفيق أول : مـن غـشه يا صـديقى ؟
رفيق ثان : حـقا لأنـت جـهـول

قـد غـشـه الأغنيـاء المـ   ـستـأثرون القليـل
أليس فـيـه مـتـاع   لـهـم وظـل ظـلـيـل ؟

رفيق أول : لكنْ بعـيـشك قل لى   وذاك منى فـضـول
بـأى برهانٍ صـدق   وأى شـرح يـطـول
قـد أقنعـوا الأرض حتى   باتت إليـهـم تميـل ؟

رفيق ثان : حـقـا لأنت عـجـيبٌ   فـيمـا أراك تقـول !
برشـوة دفنتـهـا   فى جـوفـهـا يا زمـيـل
ألا ترى التـبر فـيـهـا   منهـا إليـهـا يؤول ؟
فـافـهم إذن يا صـديقى   فـقـد أتاك الدليل
وأيدتـه شـهـود   وأكـدته عـقـول
الأرض والشـمس والنا   س والدعـاة العـدول
لهم ضـمـائر سـوء   مـرضى ، وطبع وبيل
بذاك «مـاركس» أفـتى   ونقـضه مسـتحيل !

(*) مادى يعلل الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد فى الجحيم(*)

(دخل شقى الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا فى
ذلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد
ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُفُّوا الموائد واملأوا الأكوابا ... وادعوا الصحاب ، وبشروا الأحبابا
قولوا مضى عامٌ ليوم هبوطه ... هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا
وبلا المقامَ فراح يحمد شرَّ ما ... فيه ، وآدب باسمه إِيدابا
هذا الجحيم أحبُّ لى من عالم ... ما كان لى إلا رجاءً خابا
الشر ثمة كان شرا كاسمه ... والخير كان كما علمت سرابا
يشقى بنوه ليعمروه ويجشموا ... فيه الشقاء ليرجعوه خرابا
لا يعرفون الحق إن سمعوا به ... إلا ليلقوا فى الحقوق عذابا
أهونْ بصاب فى الجحيم أذوقه ... قد كان ثمة كلُّ شىء صابا
صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته ... بالناظرين ، وساء ذاك شرابا
ولربَّ وجه يومذاك شهدته ... فكأن سمًّا فى العيون انسابا
وجه اللئيم إذا استهلَّ ومثله ... وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
ورضى الظلوم وحيرة المظلوم فى ... بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحب حيوا النار فى ويلاتها ... واحثوا على ذاك التراب ترابا
ما كان فى حُسن هناك فجهده ... أن يخدع الأبصار والألبابا
أو كان من فضل هناك فحسبه ... أن يملأ الدنيا عليك صعابا
ياصحب هاتوا من علاقمها لنا ... وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
من عاش عاما فى الجحيم فلا اشتهى ... أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

(*) عيد ميلاد فى الجحيم : وحى الأربعين .


ترجمة شيطان

ترجمة شيطان(*)

(نظمت هذه القصيدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهى تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى فى هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذى يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط فى حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضى غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه فى هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم غسقَ الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رمَى الرجيم عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها اللّه الكنود وأبى منها وفاءَ الشاكر
قدرَ السوء لها قبل الوجود وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كونى محنة للأبرياء فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنةٌ للّه فاقفوا إثرها عصبة السواس وامضوا راشدين
علّم الأقيالَ قدمًا سرها فأقاموا دينه فى العالمين(١)

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .

(١) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة العقائد .

سنة اللّه ومـــا أوســـعـــهـــا رحـــمـــة منه بجـــبـــارى الأمم
ويحـــهـم ! لو لم يكن أبدعـــهـــا كـــيف يدرون بأســـرار النقم ؟؟[1]

* * *

فله الحـــمـــد على مـــا فـــقـــهـــوا من دهاء الملك والكيـــد الحـــذر
فـــإذا رامـــوا نكالا شـــبـــهـــوا من أرادوه بشـــيـــطان قـــذر

* * *

قـــال : كـــونى مـــحنة للأبرياء واخـــسـأى أيتـــهـــا النفس العـقـيم
أيهـــا الشـــيطان اضلل من تشـــاء ســـوف تأويك وتأويه الجـــحـــيم

* * *

فـهـوى الشـيـطان صـفـر الراحـتين خـــاوىَ الزاد ويا بئس الســـفـــر
أيـن يمضى ؟ أيـن أفق الأرض أيـن ؟ فـــرحـــاب الكون مـــلأى بالأكـــر

* * *

بيـــد أن الشـــر مـــا زال أريبـــا وســـبـــيل الغى ممهـــود الجناب
لن تراه حـــيث تلقـــاه غـــريبـــا أبد الدهر ولا نزر الصـــحـــاب

* * *

هبط الشـــيطان فى وادى القـــرود أوْهمُ الزنج كـــمـــا قـــد خُلقـــوا
أمـــة من صنعـــة الخـــلائق ســـود أخطأوا الصـــبـــغـــة أو قـــد حـرقـــوا

* * *

أرضـــهـم أنجب من أبنـائهـــا وحـــصـــاد الزرع فـــيـــهـــا دائم
لا ينـام الظل فى أرجـــائهـــا وهُم ظلٌّ عليـــهـــا قـــائم

* * *

واســـتـــوى بين رباها والحـــوافى فـإذا السـمت بهـا سـمت السبـاع
سـيـد القـوم كسِيـد[2] القـفـر حـاف وهمـــا بعـــد ســـواء فى المتـــاع

* * *

(١) أى أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو تمحلوا له العلة ليأخذوه بها .
(٢) السيد بكسر السين هو الذئب .

وإذا الكعبة فى الأرض الشّرى ورسول العلم ضاريها الشروط
بين قنص أو هراش أو كرى يذهب التاريخ فيها ويعود[1]

* * *

ولقد همّ وما أعجله يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادى الوحش لو أصغى له ألكم فى القوم صهر وبنون ؟؟[2]

* * *

سخر الشيطان من قسمته ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى محنته : «ألهذا تُستذَل الكبرياء ؟»

* * *

أن يكن أغوائىَ الزنج لزاما فمن العُجم الضوارى عجبى
ماله يأنف إن يغْوىَ حامًا ذلك الغوى ذوات الذنب[3]

* * *

ومشى ينغم فى غير طربْ نغم الغبطة باليوم العبوس
نغما يرصد من خلف الحقب يومَ تندك على الأرض الشموس

* * *

لا نطيل القول فالخطب يسير وحياة الإنس والجن هدرْ
خرج الشيطان فى الأرض يسير ومن اللّه إلى اللّه الصدَرْ

* * *

لجة جازت به مشرقها ثم ردته حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغَدا حول بحر الروم أو بحر العجمْ
يتلهّى فى مغانيها سدى أو لأمر خفيت فيه الحكمْ

---

(١) الشرى مأسدة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقدس مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه أهلها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنما هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .

(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .

(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم .

ورمى أول فخ فأصابا ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا فإذا الحق لجاج واختصام[1]

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثاء ، رسن الواهن ، سيف المعتدى ،
ضلة الجهال ، لغز الحكماء ، ذلة العبد ، غُرام السيد

* * *

وإذا الحق طعام ووكون وإذا الحق بريق الذهبِ
لو يموت الناس أو لو يشبعون ذهب الحق ذهاب السغبِ

* * *

يا لها من لفظة زوّقها آض فرضًا بعدها الفعل الذميم
ويحه ! فى نأمة أطلقها غلب النحسُ ولم يُغن النعيم

* * *

نام لما صنع الحق وأغضى ولو اختار لأغضى أبدا
غير أن الشر لا يألف غمضا ربحت صفقته أو قد فقدا

* * *

فأطارت سنةً فى هدبه بهجة الزرع الذى كان بذر[2]
كان أن يشكر نعمى ربه لو يسيغ الشكر شيطان كفر !

* * *

وتمادى بعدُ فى شرّته كلما أنبت زرعا ينعا
فرأى الشوكة فى دولته وجنى الوفرة مما زرعا

* * *

ألفُ جيل بعد ألف غيرت صاحبَ الأباءَ فيها والبنين
ورأى منها فنونًا ورأت منه فى صحبته أى فنون

* * *

---

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وإنقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وأغوائهم بالمنكرات وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .
(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

أتلفــتــه مــثلمـــا أتلفـــهـــا عــجــبًــا ! لا بل عـــلام الـعـجب ؟
أترى الشـيطان يدرى ضـعـفـهـا وهــو مــن ذاك بــرىء أجـنــب ؟[1]

* * *

فــاشــتى الخــمــر ورنات المثـانى وأحب الغــيــد عــذرىَّ الهــوى !
لعــبًــا يـنهل آنًا بعــد آن نُهَــلا منهن ينعــشن القــوى

* * *

لا نطيل القــول فــالقــول هذرْ وحــيـــاة الإنس والجن هبــاءْ
إن يدمْ للنــاس سلطان الـقــدرْ فـعليـهم بل على الكون العـفـاءْ !

* * *

أنف الشـيْطان من فــتنتــه أمما يأنف من إهلاكــهـــا
ورأى الفــاجـــر من زمــرته كـعــفـيف الذيل من نُسـاكـهـا

* * *

مــا له يفــسـد خلقًــا عــدمــوا آية الرشــد ، وهبــهم رشــدوا
وعـــلام السلب مما غـنمــوا وهُمُ لو غنمــوا لم يُحــسـدوا

* * *

كـلهم طالبُ قـــوت ، والثــرى ذل قـــوم أو تعــالوا ، مــخــصب
وقـــصـــارى الأمــر فى هذا الورى راسـبٌ يـطـفـــو وطـاف يـرسب

* * *

مــذ رأى الشـيطان عـقـبى شـره كــفــر المسكين بالشــر العــقـيم
وأراها بـدعـــة من كـــفــره دونهــا الكفـران بالخـيـر العـمـيم[2]

* * *

يا إلـه الكون يا خـــيـــر إله أين من قـــدرك أصنام القـــدم
من كــربِّ الكون لا بل من ســواه عـــــادلٌ فـى الخلـق بـر بـالأمم

* * *

أنتَ يا رب لطيف فى القـضــاء فــاصـعق اللهم من يجـحـد لطفك
قــسـمًــا باسـمك يا رب السـمــاء مــا رأى فى الناس من يدرك وصـفك

(١) لا عجب فى أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .

(٢) أى أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن يستحق العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوى عنده سيان .

يكفر الشيطان بالشر العقام ... فتعد الكفر منه ندمًا
وتنجّيه إلى دار السلام ... وقديمًا قلت لا يغشى الحمى[1]

* * *

فضلك اللهم من غير حساب ... وكذا اللهم آلاء[2] العليم
فاعجبوا من نعمة الله العجاب ... وانظروا كيف تلقاها الرجيم

* * *

نزل الشيطان من جنته ... منزلا يرضى به الفن الجميل
ومشى فاختار فى مشيته ... هضبةً عند مصب السلسبيل

* * *

هضبة فيها نخيلٌ وثمر ... وبراكين خبا منها الضرام !
وحلاها دون أنماط الصوَر ... قالب الحسن كما شاء التمام[3]

* * *

قالب الصنع الذى ينقل عنه ... كلُّ ذى فن أعاجيبَ الفنون
شركٌ لا تفلت الألباب منه ... حفظته روضةٌ تسبى العيون

* * *

كملت زينتها من كل فن ... وكساها الزهو ولدان وحور
وعلى أحواضها الطير تغنى ... يا كريمٌ ، ياحليمٌ ، يا غفور

* * *

وحواليها على رحب المدى ... زُمَر الأملاك من خلف زمر
كلما راح عليها أو غدا ... شيّعته بنشيد مبتكر

* * *

ونُفيض الوصف لولا أننا ... نصف الدار لكم يا داخليها[4]
فاصبروا فالصبر مفتاح المنى ... واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

---

(١) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله الله إلى دار السلام أى النعيم وعد ذلك الكفر منه ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(٢) الأفضال .

(٣) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التى اختارها الشيطان من دار النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن فى قصور الدنيا وبقاعها .

(٤) لا حاجة إلى الإطالة فى الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ساعته ذات شتاء   أو على قول مضت حين مضى
وإذا حدثتْ فى أمر السماء   فاترك التاريخ سطرًا أبيضا

* * *

وقُبيل الصبح أو نحو الأصيل   عند باب القدس أو باب الحرم !
ركب الشيطان فوق السلسبيل   مركبًا يزجيه سلسال النغم

* * *

وفشت حوليه أرواح السلام   كلُّ زهر باعثٌ منه شذاه
ساريات مثلما تسرى المدام   أو كما رقّت على الخد الشفاه

* * *

وهو ما بين وصيف وملكْ   فى رواق من رضى لو كان يرضى
سبّحوا اللّه وقالوا الملك لكْ   وهو يزداد على التسبيح قبضا

* * *

نظرت صحبتُه الوجهَ العبوس   فرأوا فى الخلد شيئًا عجبا
ما رأوا من قبل ما لون النحوس   لا ولا يدرون إلا الطربا

* * *

والتقت أعينهم فابتسموا   كابتسام الطفل فى مهد الرخاء
وتمادى الأمر حتى سئموا   فتمشت فى الخليط الثؤباء

* * *

قال أدناهم إلى مجلسه   وهو لا يعلم أنْ قد أغلظا
ما لمولاى أرى فى نفسه   بعضَ ما خُبِّرت عن وادى اللظى

* * *

أترى الويل إذن والشجنا   فترةً تُطبقُ أهدابَ الرقود[1]
أكذا الوادى الذى قيل لنا   فى صبانا أنه مرعى الجحود ؟

* * *

فانثنى العابس وقّادَ الجبين   صارخًا صرخة مقضىّ الهلاك :
أى واد ؟؟ قال وادى الكافرين ،   قال دع هذا فما أنت وذاك

---

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا يتساءل الملائكة لطهارة قلوبهم : هل الويل والشجن الذى يصيب أهل جهنم هو هذه الفترة التى تجلب النعاس للعيون .

قل لنا كيف ترانا ها هنا ؟ | قال : ماذا ؟؟ إننا للْفَائزون
قال لكنى أرانا كلنا | وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

أيها القارئ وُقّيتَ العثار | وبلغت الخلد موفور القدم
هل شهدت الجيش فى هول الفرار | أو رأيت الطير راعتها الديَمِ[1]

إن تكن لم ترها فارصد لها | تدر ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ للّه ما أجملها | صانها الرحمن عن سفك الدماء

ساءهم فى الخلد ألاّ يُحسدوا | وم الحسّاد من تطلبه
راعهم فى الخلد أن لا يسعدوا | منكر السعد كمن يسلبه[2]

ولقد علّمهم شيطانه | علم ما لم يعلموا من غضب
ما لهم قد فاتهم شكرانه | أو ليس الغيظ بالمكتسب ؟؟

لو تراخى خطبهم لاحتملوا | عُدد الرجم لذاك المعترك
لطف اللّه فلو قد عجلوا | لخلا من نجمه هذا الفلك[3]

منٌ للّه لا يحصرها | صيرفىّ رُوّضت أعداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها | كلما هام بها عباده

هو أوحى الوحى فى جنته | فسرى فى الملأ الأعلى الصدى
حين نادى قرّ فى وقفته | كلُّ غضبان ولبى واهتدى

(١) الأمطار .

(٢) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يحسد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم المرموقة فسلبته تلك السعادة التى أنكرتها ، وكذلك الملائكة فى النعيم ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .

(٣) المعروف أن النجوم هى رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه لخلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم .

فـــــــإذا الجـنـة أمـنٌ وسـكـون	كـسكون الليل فى ضـوء القـمـر
خشعت حتى الشوادى فى الغضون	وصـغت حـتى وريقـات الشـجـر

* * *

ســاعــةٌ ثم انجلى مـوقـفـهـا	عن جـلال اللّه فـردًا فى عـلاه
غـابت الأمـلاك لا تعـرفـهـا	وبدا الشـيطان مـعـروفـا تراه

* * *

وبدا الشـيطان مـعـروفـا ترى	كـبـرياء الكفـر فى وقـفـتـه
عـالىَ الجـبـهـة يأبى القـهـقـرى	وتـوّج الـنـار مـن نـظـرتـه

* * *

وتَنحّى كلٌّ مـشـهـود فـمـا	ثَـم إلا الـلّـه والـطـاغـى المريـد
ويكاد الكون مـا بينهـمـا	يغلب الشك عليـه فـيـبـيـد

* * *

سـاعـةٌ أخرى وقـد حُم القـضـاء	وانقـضى العـفـو وحق الغـضبُ
ســاعــة للنحس حلت والبـلاء	ومـتى حلت فـأين المهـربُ ؟؟

* * *

حـاقت اللعنة . حـاقت كلهـا	وقـضـاها المنعم المنتـقم
وجناها وهو لا يجـهلهـا	ذلـك الجـانـى الـذى لا يـنـدم

* * *

هاتفٌ فى الخلد لما هتـفـا	نفـذ السـهم فـمن ذا الهـاتف ؟
إهو الرحـمـن ؟؟ لا وا أسـفـا	بل هو الروح العـصىّ العـاصف

* * *

هو روح يحـسـد اللّه ومـا	أعـجب الحـاسـد للّه الصـمـد
كلمـا أبصـره مـحـتكمًـا	أصـغـر الكون وأزرى بالأبـد

* * *

هو ناع سـمـجت فى عـينه	نعمُ اللّه فـأمـسى يجـتـويهـا
حـبـة يزرعـهـا فى كـونه	تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟[1]

(١) يجحد الشيطان جود اللّه وكرمه ويقول : إذا كان تنعم اللّه إنما هى كالحبة التى يزرعها الزارع فى أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف الصغو إلى — سائل يسأله عما جنى
يحسب الصغو عقابا قد غلا — كيف لو أعذر أولو أذعنا ؟؟[1]

* * *

فرمى بالهُجر لا يحفله — حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجدّ القولَ أو يهزله — ولعينيه وميضٌ وابتسام

* * *

قال : سبحانك يا مولى الموالى — وتعاليت ولسنا نعتلى !!
لا سلامَ اليوم يقريه مقالى — أيها المولى فهل تغفر لى ؟؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاءْ — ويُعزَّى سيدٌ يفقد عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء — مِن فتى يألم للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على — عبدك العاصى إذا لم تُرضه
عبد سوء رفض الخلد فلا — تَبلُ بالجود قصارى رفضه !!

* * *

لا تعالجنى بلوم إننى — قائم عنك بلومى وانتقادى
أنا من ينصف من يقرفنى — ونَجىٌّ بالذم منى لا يُصادى[2]

* * *

لائمى أنت على كفر النعم — وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتنى ذاك الكفور المتهم — إنما الكفر أخو الخير القديم[3]

* * *

آخذى أنت بقوم شكروا — بعضَ ما قيضتَ لى من نعم
كذف لا يشكر قوم ذكروا — لك بالحمد حلول النقم

* * *

---

(١) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟

(٢) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يصادى أى لا يجامل فى ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء .

(٣) ينكر الشيطان إنه أصاب أى خير فهو لذلك ينكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب العشب لآساد الشرى وتعد الجوع منهن كنودا
فازت الشاء فلا غرو ترى أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً فى ملكه يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبق السائلَ عن مسلكه ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء دولةٌ تحمى على الطرف النظر
حظ من يدنو من الستر الشقاء وسعيدٌ من لها عما استتر[1]

* * *

فاغن بالراضينَ عن أقدارها أنهم نعم عتاد المالكين
واجعل الفردوس من أقطارها حيث يرضون ، وما هم ساخطين

* * *

وإذا مارئم[2] الضب الكدى فقل الكدية فردوس السماء
أو ليس الخلد يا رب الهدى منزلا لا يتخطاه الرجاء ؟؟[3]

* * *

لا تعاجلنى فقد لا يتقى سيد الكون لسنا يكذب
أن يكن وزر ضلالى مزهقى آخر الأمر ، فحتفى مكثب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما أجمل الصدق بشيطان غوى
إنما الصدق نبات ما نما قط بالخير ، وقد ينمو الهوى

* * *

---

(١) يقول الشيطان أن الشقاء نصيب كل من يحاول الكشف عن حكمة الإقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول إزاحة الستر عن سياسة الدول الخفية .
(٢) ألِفَ .
(٣) يستصغر الشيطان الفردوس التى وهبها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا يسميه فردوسا ولا يعد الرضى به نهاية السعادة كما أن الضب يرضى بكديته أو جحره وليس جحره بأقصى ما ترتقى إليه الآمال .

إنما الصـــدق وبال يُفــتــرى وأحق الحق مــا يوحى الرجــيم
أبطل البـــاطل لا يؤذى الورى وأحق الحق يودى بالصــمــيم[1]

أمــجــيــبى أنت أم عند الصــدى أبدا الدهر ســؤالى والجــواب
أهى الراحـــة فى الخلد ســدى ثمـر الكون جـمـيـعًـا واللبـاب ؟؟

كــيف يرضى خــالدٌ يفــصله أمـــدٌ بينكمـــا لا يُعــبــر
ايعـــاف الشـــأوَ أم يجـــهله أم يرجـــيـــه فـــلا يقــتــدر

عـــفــــوك اللهم لا خلد هنا ومــتى كــان خلود فى قــيــود ؟؟
ســيظل الخلد وســواس المنى وصـــدى الليل وأحـــلام الرقـــود

وســيــبــقى الكون فى جــوهره أبدًا شــيــئين مــهــمــا اقــتــربا
خـــالقٌ قـــام على عنصـــره ومـــخـــاليق رأوه احــتــجــبــا

صــانع يحــيى البــرايا منعــمــا وبرايا صنعـــا منٌّ وجـــود
وكـــلا هذين مــوجـــود فـــمــا أبعـد البون لعـمـرى فى الوجود !![2]

أيهـــا الفـــانون فى هذى الدنى خلدكم يا قـــوم آجـــال تَوالى[3]
تحـــســبـــون الخلد فى نيل المنى قـد خُـدعـتم ! فـاشكروا اللّه تعـالى

---

(١) من رأى هذا الشيطان أن الناس إذا وصلوا إلى الصدق قد تجردوا عن الأهواء ونزعات الطبائع ومطالب اللحم والدم وهذا نذير الهلاك فى عزمه .

(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة فيرى وراءها منزلة أعلى منها وهى منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة الخالدون ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذى فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص فى مرتبة الخلود أو يطلبونه فلا ينالونه فيكونون من المحرومين ؟؟ - وفى هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود وحالة الفناء فى هذه الدنيا المحدودة .

(٣) المعنى أن خلود الفانين فى رأى الشيطان إنما هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذى لا تحده الآجال .

قـد خُـدعـتـم فـاسـألوا الدود أمـا   يبلغ المأمـول من شـهـوته

واغـبطوه فـهـو أرقى سلمـا ،   أو مـا يوغل فى حـمـأته ؟؟

* * *

اسـألوا يا قـوم أن لا تسـألوا   وتمنوا للأمـانى الكمـالا

وإذا أعـجـزكم أن تفـعلوا   فـاشكروا من يحـرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عـفـوك اللهم أو لا عـفـو لى   طال بى حلمك فـابعث وجلك

أنـت لا تـخـطـر لـى فـى أملـى   لا تكن توبة نفـسـى أملك

* * *

وادع فى خلقك يسـجـد من رجـا   خلدك الأعلى فـمـا نحن سـجـود

لـنكـونـنَّ إذا صح الحـجى ،   حـجـرًا صلدًا ولا هذا الوجـود

* * *

لا نطيل القـول . أمـا المنتـهى   فـقـريب ، وجرى مـا قـد جـرى

السنى أظلم والنجم سـهـا   ولهـيب النار أمـسى حـجـرا

* * *

لا انتـقـامًـا حـبطت فـتنتـه   حـاشَ للّه ولا الحلم نفـد

إن تكن قـد خـمـدت جـذوته   فـمن الرحـمـة بالخلق خـمـد

* * *

حين جـارت فـتنة الغـاوى على   عـصـمـة الأمـلاك فى غـرتهـا

عـجّل اللّه به مـا أجّـلا   وحـمى الدولة فى بيـضـتـهـا

* * *

قـال كن عـبـدى فلمـا أن أبى   قـال كن صـخـرًا كـمـا شئتَ فكان

لـهبٌ طار فلولا أن خـبـا   لتـغـشّى الكونَ نـار ودخـان

* * *

ولقـد قـال أناس شـهـدوا   مـصـرع الشـيطان هل طبع يزول ؟؟

ناره تخـبـو فـلا تتـقـد   وهو فى الصخرة يستهوى العقول

---

(١) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئًا ، وهذه أمنية لا يقل اللّه منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فــإذا أبصــرت من صــخــرته ... دُمــيــةً ســاحــرة أو صنمــا
فــابتــعــد منه ومن رقــيــتــه ... واتق اللّه وحــوقل نــدمــا

وتعــجّبْ من شــواظ[1] ردّه ... طارقُ اليــأس صــفــاة جلمــدا
وتدبّر كــيف أبقى كــيــده ... ومــحى روحًــا وأفنى جــســدا

ولقــد أســمع فــيــمــا زعــمــوا ... نبــأً من نحــو إبليس أتى
قــال لا تأســوا ولا تنتــقــمــوا ... مــعــشــر الجن فــمــا برّ الفــتى

مــا أرى هذا الفــتى من دمنا ... ومتى استغوى الشياطين الشرك ؟
أترى شــيطانــه من قــومنا ... أغــوت الأمــلاك فــهــو ابن ملك !

ذاك أو كــيف أطاشت فــمــه ... غــيــرةٌ منه على القــول الصــراح
أكــبــا الثــرثار أم أســقــمــه ... أرجُ الجنة أم مــل الكــفــاح ؟؟)

فتلاحَى القــوم[2] ثم استــضــحكوا ... ودعــا مــازحــهــم شــر دعــاء
قــال فلتــسلكه فــيــمن سلكوا ... أيهــا المولى ســبــيل الشــهــداء !

وتقــضتْ بينهــم ســيــرته ... ومــضى كــالطيف أو رجع الصــدى
باءَ بالســخط فــلا شــيــعــتــه ... رضــيــت عنه ولا أرضى العــدى

وكــذا العــهــد بمشــبــوب[3] القلى[4] ... عــارم[5] الفطنة جــيــاش الفــؤاد
أبدًا يــهــتــف بالقــول فــلا ... يعــجب الغيّ ولا يرضى الرشــاد

---

(١) شواظ النار اللهيب . (٢) تلاحى القوم : أى تنازعوا .
(٣) المشبوب المتقد .
(٤) القلى : الكراهية .
(٥) العارم الذى اشتد وجاوز حده .


قوميات

هيكل إدفو(*)

. . . .

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات

حرصُ الزمان عليك وهو موكّل ... يحيلها أطلالا

أبقاك فى فك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وصالا[1]

لم يبصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وكَمالا

غدروا ذوى القربى ودكوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا

واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !

وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك السلاح أسنة ونبالا !

وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقوة ونوالا ؟

ضلَّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا

حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونين من حكم الطبيعة حالا[2]

هبطتْ من الملأ العليّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا

ننسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وننسى الخوف والآمالا

كذبوا فما تغنى الأنام عبادةٌ ... تذر القلوب فوارغا أغفالا

لا ربَّ إلا من يمالئ شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا

لا تعبدنَّ إذا أردت سيادةً ... ربًّا يُعين الصيد والأنذالا

واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا[3]

من ظنَّ أن ولاته كعداته ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

* * *

الناس يغتال القوىّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا

قهار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفوا : جزء ثانى .

(١) وصالا : أى متواصلين .

(٢) حال : أى اختلفت .

(٣) هو الإله العادل الذى يعين الأخيار ولا يسوى بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ... أسفًا وما نقص الثرى مثقالا
مَلكَ الفراعنة الحماة وخلّفوا ... للملك أعلامًا بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ... عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه ... مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهى كدأبها ... من عهد نوح تربة ورجالا
عهدٌ على اللّه القدير وذمة ... ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا ... قسط البنين معارفًا وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ... ما كان يومًا لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا إنها ... صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس(*)(١)

رمسيسُ أين جنودك البُسَلاء ... ومواكبٌ لك فى البلاد وُضاء
وبشائر بك كلما طال المدى ... وتقدمتْ بإيابك الأنباء
والجيش حولك كالغمائم فوقهم ... للمُلْك والفتح المبين لواء
متهللين غداةَ أطفأ شوقهم ... نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء
فنىَ الجنود فهمْ عِثيرٌ(٢) ... سافٍ وأنت جلامدٌ صماء
مُتخيّرَ الصحراء دار إقامة ... إن الليوث ديارُها الصحراء
وتكنّفتك(٣) من الخلود مسافةٌ ... لا يستبيح ذمارها الأحياء

. . . .

رمسيس أيةُ صخرةٍ بين الصفا(٤) ... قد شرّفتها هذه السيماء
رجحتْ بها التبر السبيك نفاسة ... ما التبر والذكر المقيم سواء
حفظت سماتك بيننا وتطلعت ... تبغى علاك فعازها الأجواء
وشكت مواقفة الزمان ولم يكن ... يعروك أنت بموقفٍ إعياء

(*) تمثال رمسيس : جزء ثانى .

(١) لرمسيس الثانى : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذى كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصبه فى ميدان باب الحديد .

(٢) العثير : التراب الثائر . (٣) وتكنفتك : أحاطت بك . (٤) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعى مشروع القرش(*)

. . . .

يا فــتــيــة الـقــرش وروّاده ... على ســـواء المنهج الواضح
خــذوا هبــات الجــود حــتى إذا ... فــرغــتم من فــيـضــهــا النافح
طوفـــوا على الدور ولا تتــركـــوا ... بابا قــد استــعـصى على فــاتح
وحــاصـــروا الراكب فى ركــبــه ... واسطوا على الســانح والبـــارح
وراقـــبـــوا الجـــو ولا تتـــقـــوا ... غـــوصًــا وراء الغــائص الســابح
وعلّمـــوا من ضـنٍ بالقـــرش أن ... يخـــجل من عـــدوانه الفــاضح
فـــمن أبى قـــرشًـــا على أمـــة ... فـــذاك كــالجــانى وكــالجــارح

* * *

عيد الاستقلال السورى(*)

(ألقيت هذه القصيدة فى احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال فى سنة ١٩٣٠) .

ربعَ الشــآم أعـــامــرٌ أم خـــال ... اليــوم عــيــدك عــيــد الاســتــقــلال
إنـى لأرجع بـالســـؤال أطيـلـه ... لو يملك الشــهــداءُ رجع ســؤالى
سكتــوا وأقـــفـــرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُـــوى(1) ورمـــال
بوركت من وطنٍ يُجلُّ شـــهـــيـــده ... فى حيـثـمـا ألقى عـصا الترحـالٍ
وطنٍ تضـــيـقٌ الأرض عن أبنـائه ... وإليـــه مَـــوْئـلـهم مع الآمـــال
يستـبـدلون الخـافـقين ببـضـعـة ... منه ، ومـا قنعـوا بالاسـتـبـدال
ذهبـوا بأفـئـدة تفـرّق شـمـلُهـا ... شـيـئًـا ، ومـا فـيـهم فـؤادٌ سـال

* * *

(*) إلى متطوعى مشروع القرش : عابر سبيل .

(*) عيد الاستقلال السورى : وحى الأربعين .

(1) الصوى : القبور والحجارة التى تتخذ دليلا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركابه حُلُمٌ يبيت به مع الحُلاّل

يصحوا على «الشاغور» من لبنانه وينام من «بَرَدَى» على السلسال

وتهزه من «عشتروت»[1] خميلةٌ تلتفُّ بين جداول ودوال

وتليه من وادى العرائش نسمةٌ سكرى الضُّحى رفّافة الآصال

أنّى استقرّ وحيث سار هفا به همسٌ من الجبل الأشمِّ العالى

أين السلوّ ؟ ولا سلو لعابرٍ فيه ، فكيف بمولد وفصال

هذى مواطنكم وتلك قلوبكم وشُجِتْ[2] على الأهواء والأهوال

ما فى المدامع من شعار كنيسةٍ يوم الحنين ، ولا شعار هلال

فيمَ اختلافُ مصفَّدين تضمهم - قبل الوفاء - سلاسلُ الأغلال

أمنازعون على السماء وأرضُكم نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟

كونوا - ولا نصحٌ لجيل نبوة - فى العالمين هدايةَ الأجيال

من بعلبكّ خذوا المثال لرأيكم يوم الخلاف ، وتلك خير مثال

فيها لموسى والمسيح وأحمدٍ أثرٌ وللوثن القديم البالى

* * *

أنتم بنو ماض على أحزانه نعْمَ البشير لكم بالاستقبال

ماضٍ بأمثال التجارب حافل ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومى[*]

قد رفعنا العلمْ للعلا والفدى

فى ضمان السماء

* * *

حىّ أرض الهرم حىّ مهد الهدى

حىّ أم البقاء

* * *

---

(١) عشتروت : هى قرية شتورة الحديثة فما يقال .

(٢) وشجت : اشتبكت .

(*) النشيد القومى : عابر سبيل .

كـم بـنـت لـلـبـنـين مـصـر أم الـبـنـاة

من عـريق الجـدود

* * *

أمـة الخـالدين من يهـبـهـا الحـيـاة

وهبـتـه الخلود

* * *

تحت أصـفى سـمـاء فـوق أغنى صـعـيـد

شـعب مـصر مـقـيم

* * *

قـد حـوى مـا يشـاء من زمـان مـجـيـد

ومـكـان كـريم

* * *

نيلنا خـيـر مـاء كـوثرٌ من نـعـيم

فـاض بالسلسـبـيل

* * *

فى العـروق الدمـاء شـعلة من حـمـيم

للعـدو الدخـيل

* * *

إن يـكـن أمـسـنا فـى حـمـى الأولـين

فـلـنعـش لـلغـد

* * *

لا ترى شـمـسنا غـيـر فـتح مـبين

مـا يـدمْ يـزدد

* * *

فـارخـصى يا نفـوس كـل غـال يـهـون

كـل شـىء حـسـن

* * *

إن رفـعـنا الرؤس فـليـكـن مـا يـكـون

ولـتـعـش يا وطـن

* * *

يوم الجهاد(*)

أجل هو يوم الفـــــدى والذمْ ... ويوم الجـــهـــاد ، ويوم القـــسَمْ
ويوم الذين دعَـــوا أمـــةً ... ونادوا بدعـــوتهـــا فى الأمم
ويومٌ لـه غـــــــده المرتجى ... ويومٌ له ســــرّه فى القـــدم
هنا حـــرمٌ فى جـــوار الزمـــا ... ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليـــقم عـــهـــده من أقـــا ... م ، ويعـــزمْ على أمـــره من عـــزم
ويستـــقبل الهـــول من راضـــه ... ويرتد من خـــافـــه فـــانهـــزم
تعـــز الصـــفـــوف بنبـــذ الجـــبـــا ... ن كـــعـــزتهـــا بشـــجـــاع هجم
وتُحمى الحقوق بدفع الضعيـ ... ـف كدفعك عن حوضها من ظلم
فليـــست تصـــان الحـــقـــوق التى ... حمى جانبيها ضعاف الهمم
وهيـــهـــات تعلو لنا شـــوكـــة ... بشكوى الذليل ، ونجـــوى الســـأم
إذا كـــرمتْ أمـــة لم تكن ... كـــرامـــتـــهـــا من هبـــات الكرم
إذا استرحمت أمة خصمها ... فلا رحمتها عوادى النقم

* * *

. . . .
كـــفى لعـــبـــا أيهـــا الهـــازلو ... ن ، فقد ملأ الخطب مصرًا وطمْ
لئن أســـأمـــتكم كـــبـــار الأمـــو ... ر لقـــد أســـأتنا صـــغـــار اللمم
وقـــد أســـأمـــتنا رعـــاة تســـا ... ق ، فـــأين الرعـــاة وأين الغنم ؟
أأصنام باغين تبـــغـــونهـــا ... وأنتم تذلون ذل الخـــدم ؟

* * *

أأطلب حـــرية للعـــبـــيـــد ... وألقى بحـــريتى عن رغم ؟!
فـــمـــاذا أقـــول لهـــذا الجـــبين ... ومـــا عـــابه عـــائب أو وصم
ومـــاذا أقـــول لهـــذى اليـــمـــ ... ـين . وإنى بها قد صنعت الصنم
مـــعـــاذ الفـــتـــوة . أنى لكم ... على رصـــد ســـاهر لم ينم
هو الحق مـــا دام قلبى مـــعـــى ... ومـــا دام فى اليـــد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر (*)

ألقيت فى الاحتفال بمضى خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشباب ، فعش وازدد وأوح التهانىءَ للمنشد
نما بك جَدُّك فى المعجزا ت ، فيالك من معجز مفرد
أفى السن كاليافع المرتجى وفى المجد كالهرم المخلَد ؟
وما هرم الصخر فى مجده نظيرك يا هرم العسجد
وما بنيةٌ حرةٌ فى الرضى تقام ، كبنية مستعبد
بنو مصر فى كل عهد لهم بناءٌ على سُنَّة الموعد
فحينًا معابدُ فوق الذرى وحينًا مصارف كالمعبد
بهذا وهذا نجارى الزما ن ، ونسبق فى شوطه الأبعد
وندرك فى يومنا أمسنا ونرفع شأويهما فى الغد

* * *

. . . .

فيا قائمين على (حصن مـ ـصر) سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصـ ـن ، نجا بالعتاد والمُعتدِ
ومَن قال يا أمتى وفرى فقد قال يا أمتى جنِّدى
هنيئًا لكم قادة ذادةً يصولون صولة مستشهد
هنيئًا لكم (حربكم) أنه من الحرب فى وصفها الأحمد
لكم راية النصر مرفوعة على ساحة الزمن السرمد
تعود لكم كل أعيادكم بأجمل مما به تبتدى

* * *

دار العمال(*)

ألقيت فى دار العمال عند افتتاحها فى صيف سنة ١٩٣٥ .

حىٍّ «دار العمال» بالإقبال وترقّبْ لها بلوغ الكمال
وانتظر رافعى الدعائم حتى يرفعوا بينهم عزيز المثال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل . (*) دار العمال : عابر سبيل .

رفـعـوا أمس مـا عـلا من صـروحٍ ولهـم فى غـد صـروحٌ عـوالى
ولهم فى غـد من الأمـر قـسطٌ من يكن مـؤمنا به لا يغالى
أيهـا العـاملّون لبـيكم اليـو م ، ولبـيكُم غـدا فى المجال
نعم جيش السلام أنتم إذا مـا جرّد البغى جيشه لاغتيال
لَكُم العدة التى ما استطاعت أمةٌ قط تركها فى نزال
ولكم أذرع شداد ، وأيد من حديد ، وأظهر من جبال
ولكم فى اتحادكم رأس مال إن فقدتم ذخائر الأموال
ولكم صيحة يهاب صداها سادة فى نفوسهم كالموالى
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا يبلغ المرجفون بالأهوال
لا يسخّركَم المسخر جهلا وانبذوا كل عاطلٍ مكسال

* * *

. . . .

أيها المنقذون بنية مصر من فتور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنتم قوة فى يمينها والشمال
حظكم حظها من العلم والصـ ـحة والبأس والحجى والخصال
كلما نالها نصيب من الخيـ ـر فأنتم لكم نصيب تالى
أعجب الناس عامل فى بلاد صاح فيها : ما للبلاد ومالى ؟
لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم فى بلاد تموج بالعمال
إن مصرا تنال من غاصبيها أجر بخس وخدعة ومطال
وهى أرض للواغلين عليها سطوة أشعبية الإيغال
كل من فى جوانب النيل عانٍ مستغل الجهود والآمال
كلهم غارس لآخر يجنى ثمر الماء ، والثرى ، والرجال
وإذا ما تفرقوا طبقات جمعتهم جوامع الأغلال
وإذا قيل موسر وفقير فقصاراهما إلى استغلال
حققوا الأمر ما قضية مصر بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد(*)

«١٣ نوفمبر»[1] بعد ربع قرن

جـددوا آل مـصـر عـيـد الجـهـاد بجـهـاد على المدى فى ازدياد

إنما قُـدّر الجـهـاد عليكم يوم كـان «اسـتـقـلال» هذى البـلاد

والـذى أوجـب الحـراك عـلى الأ يدى انطلاق الأيدى من الأصـفـاد

ليس كل الأعـيـاد ندحـة لهـو قـد تكون الأعـيـاد لاسـتـعـداد

وقـضـايا السـلام أطول عـهـدًا من قـضـايا الخـصـام بين الأعـادى

قـادنا مـعـشـر فلمـا تولوا أسلمـونا أمـانةَ القـوّاد

مـا إخـال الروّاد قـد سـرّحـونا بعـدهم نحن مـعـشـر الأجناد

سـبـقـونا ممهـدين وقـالوا دونكم فـانهـضـوا بغـيـر رقـاد

قـد حـملنا وديعـةَ الأجـداد فـاحـملوها أنتم إلى الأحـفـاد

* * *

. . . .

صـدقـونى فـرب صـدقٍ نذيرٍ حـاط قـومًـا من صـادق الإيعـاد

لغـدٌ - فـارقـبـوه - أحـوج مناً لاجـتـهـاد فى أمـرنا واتحـاد

قـد بدا حـولنا مـدى الحـرب فـينا ومـدى السلم حـولنا غـيـر باد

إنما الهـول فى غـدٍ فـاتقـوه واسـتـعـدوا له بأطيب زاد

مـا الوغى والسـيـوف مشـتـجـرات كـالوغى والسـيـوف فى الأغـمـاد

من حـروب على اللسـان صـراح وحـروب مكنونة فى الفـؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأباطيل فتنة وضلال وعقابيل محنة وفساد
كم تلاقون فى غدٍ من دعاوى صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فج وبلاء الأرزاق فى كل واد
قسم للحطام فى غير عدل وادّخار له بغير سداد
بين كظّانَ أثقلت جانبيه تُخمٌ جمة ، وجوعان صاد
إن وقيتم بلادكم من أذاها فانعموا بعدها بعبقى الجهاد

* * *

عيد النيروز(*)

أهلا بنيروز وليد أهلا بميلاد سعيد
يومٌ جديدٌ . قلت بل عهدٌ على مصر جديد
عهدٌ تصان كرامةٌ فيه ، وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسام على الهوى سوم العبيد
وغداً ستنقشع الغيوم فلا بروق ولا رعود
ما كان غير الصالحين لهم قرار فى الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة قرت على حصن وطيد
لا تلبث الأصنام فيها أن تنكّس أو تميد
كم ذا أراد بها الأذى باغ ، وكاد لها حسود
يمضى بعدد ما يريدْ والله يفعل ما يريد
حوض له من قومه ورد ، وما أحلى الورود
إن لم يذد أبناؤه عنه ، فمن عنه يذود ؟
سمرٌ وسودٌ أين من صبغيهما حمر الجلود
شتان ما هم فى الأصول ، وفى المهود وفى اللحود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الجديدة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وُفـ ـقتم إلى النهج السديد
حييتم النيل المبا رك واحتفيتم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيـ ـد فمن وفاء المستعيد
عيدٌ له فى ذمة التا ريخ توفيقٌ حميد
عيد الأوائل والأوا خر ، والخمائل والورود
العالَمية وصفه المعـ ـهود فى كل المعهود
من فارس عنوانه وصداه فى الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذكر اه وحياه هنود
وترنّمت فيه العرو بة بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر ى وبين نثر ابن العميد
أم يؤلف بينها من حيث فرقها الجدود
ما أحوج الدنيا إذا اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

فى كل عام تحتفو ن بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم فرد له ملك فريد
ملك على دين الإخا ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنّه ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود يا معقل المجد التليد
أين الذين جزوك جا زية الخيانة والكنود
من كل مسخ هازل فى زىٍّ جبار عنيد
يحكى الأسود تجبّرا وكذاك عربدة القرود
طاغ عليك ، ومنك لا منه الصوالج والبنود
وكأنما فى جوفه نار تلظّى بالوقود

أبـداً تـنـادى كـلـمـــــــــا أطعـمـتـهـا هل من مـزيد
لا نصح يجـــدى فى هـدا يتـــه ولا عـــتبٌ يفـــيـــد
أيـن الـقـــــرار بـه ، وأيـن الـيـوم مـوكـبـه الجـيـد ؟!
ولّـى وولىّ صـــحـــبـــه لا غـــائبين ولا شـــهـــود
من كل مــــغلوب عـلـى كـــمـــد ومنبـــوذ شـــريد
الـلّه أقــــوى قـــوةً من كل شــيطان مـــريد
كم ذا اســتـعـز ببـأسـه فـــأذله البـــأس الشـــديد
بأس الجنود العــــاملــ ــين يقـــودهم رب الجنود

* * *

النيل أقـــبل من بعــيـــد وكـــأنه حـــبـل الوريد
مـــتـــدفقٌ بين الســـدو د ، ولا حـــدود ولا قـــيـــود
فـــيض من الســوداان مـــو رده وقـــبلتـــه رشـــيـــد
مـــتـجــدد فى كل عـــا م عند مـــوعـــده يعـــود

* * *

الفالوجة(*)(1)

. . . .

أجل هى مـصر التى نعـهـد إذا نفـــد الدهر لا تنفـــد
لهـا مـورد من حـمـاة الذّمـا ر . يســعـفـه أبداً مـورد
فللّه مـصـــر ومـــا جـــددتْ وأبناء مـــصـــر ومـــا جـــددوا
إذا مـا ارتضى الموت أبطالهـا فـــرضـــوانهم أنهـــا تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(1) تحيـة لأبطال «فالوجة» الذين قاوموا الحصار فى معركة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون .

أعـــادوا لهـــا ســـيـــرة الأولـ … ـــين ، والعود من مثلهم أحمد

تحن الرمـال التى خـضّـبـوها … وينبض فى جـوفـهـا الجلمـد

فكم لعلىّ ، وكم لصــــــلا … ح جنودٌ بساحتها استشهدوا

وكم قـبل ذاك لرمـســيـسـهـا … كُـمـاةٌ على صـخـرها وُسّـدوا

مـــعـــودةٌ أن تجـــيب الـدعـــا … ء إذا مـا دعـا المجـد والسـؤدد

. . . . … . . . .

بيوم مـجيد ، لأمس مجيد … وإن غـــداً بعـــده أمـــجـــد

* * *

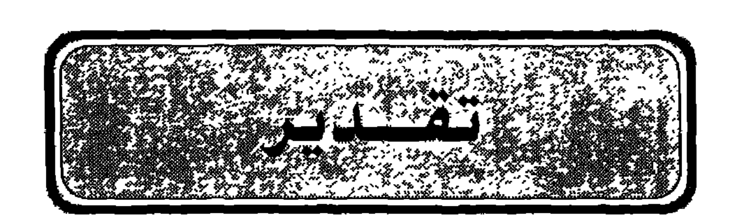
بنو مـصـــر للّه مـــا جـــاهدوا … وفى الحق والخير مـا أعـتـدوا

أولوا البـأس لكنهم عـصـبـة … إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا

ومنهم لكل ضـعـيف حـمى … وفــيـــهم لكل أخ مُنجـــد

أغـــاثوا العـــروبة فى مـــحنة … رمـــاها بهـــا الزمن الأنكد

* * *


تقدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القوافى ورب الطرس والقلم ... ماذا أفادك صدق العلم فى الأمم ؟

لم يعرفوك ولم تجهل لهم خلقا ... هذا نصيبك من دنياك فاغتنم !

قضّيت دهرك تلهيهم وتضحكهم ... يا للعجائب من أضحوكة القسم

لا يوثق الهر رئبالا ليضحكه ... فاعجب من الناس ، لا تعجب من البُهم

هلا رأوك على قربٍ بنظارة ... ترى الحجى رؤية الأسوار والأطُم ؟

ولو رأوك بتلك العين لانخلعت ... رقابهم دون أدنى تلكم القمم

* * *

شرعتَ للناس وردًا لا انقطاع له ... يوم انقطعت عن الآفات والنعم

والميت قد ينفع الأحياءَ ما عَمروا ... وليس ينفعه الأحياء فى الرَّجم[1]

إنْ يذكروك فما جاءتك ذكرتهم ... فى الغابرين ، ولا سرتك فى الرمم

أو يكبروك فماذا قول مسرجة ... للشمس : هذا ضياء الكوكب العلم

أو يشكروك فما بروا ولا ندموا ... أين الجهالة من بر ومن ندم ؟

ارجعْ إليهم ، وقل فيهم ، وغنّ لهم ... أينظرونك إلا نظرة القدم ؟

ما أكثر البر باسم لا غناء به ... وأندر البر بالأرواح والنسم

لا يقدر الناس يومًا أجر سادتهم ... وإنما يقدرون الأجر للخدم

أجر العظيم زَماع[2] فى جوانحه ... يجزيه بالأمن أحيانًا وبالألم

* * *

وصاحب لك أرخصتَ الفؤاد له ... والحبُّ أقرب من إلّ ومن رحم

فرد من النّاس لو شد الوفاء به ... أهونتَ غدر جميع الناس بالذمم

فقدته وهو موجود على كثَب ... يا موجد الحسن أسرابًا من العدم

لم يُغن قلبك عنه ما يزخرفه ... عن صورة الحسن فى الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس : جزء ثالث . ٣٣ (٤٢ فقرة ١٥٥) .

(١) الرجم : القبر . (٢) زماع : عزم وبأس .

بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلاً ... حيًا ، على أنه فى البعد كالحلم
أعناه باللهو عما أنت ضامنه ... من ليس يغنيك عنه بالنهى العمم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد ... عرفتَ سر قلوب الناس كلهم ؟
هيهاتَ لا تملك الألباب ما عرفت ... أين المنجم من شهب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولم تملك مقالدها ... لتلك أقصى لعمرى من ذرى إرم

* * *

أبا القريض وحسبُ القول معجزة ... بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فاخر الكون أكوانًا تناظره ... كنت الفخار فأبدت ذلك العقم
ما الفخر للكون إلا بالحيلة وما ... من بضعة هى أحيا منك فى الأدَم[1]
لما رأت بك عمياءُ الحياة جلت ... ماليس يجلوه نور الصبح من ظلم
(حتى الخرافات تزجيها فنحسبها ... من خلقة اللّه لا من خلقة الوهم)[2]
نكاد إن لم يجدها الطرف ماثلة ... فى الأرض نقدح فيه قدح متهِم
تقاربت عندك الأقدار والتهمت ... حياتُك الخلق طرًا كل ملتهم
فما احتفلت بأمر هائلى جلل ... صعب المرام ولا أزريت باللمم[3]
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً ... فى عُلْو ، إذكاءها للنار فى السلم)[4]
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها ... أنت تنقلها نصًا إلى الفهم

* * *

أبا القريض ألا بوركت من رجل ... إن الرجولة فى الأقوال والهمم
لقد خدعت خداعًا لن يضل به ... إلا الذكى الفؤاد الصادق الحكم
وقد خلدتَ ولكن مثلما خلدت ... تلك الشخوص التى أنشأتَ بالقلم
هذا قصاراك فى الدنيا وأحسبها ... تلهو بنا ، بيد هوجاء ، لا بفم
مالت على القوس ترمينًا على غرر ... من الظلام ، بلا وَرى ولا نغم
يا ليتها كلمتنا وّهى رامية ... أو غلّها شلل أحرى بذا البكم

---

(١) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .
(٢) الوهم : هذا المعنى لها زليت الناقد الإنجليزى .
(٣) اللمم : الصغائر .
(٤) هذا المعنى مقتبس من أمر سون .

مـجـاورَ الموت هل ألقـيت فى يده ... بقـيـة منك لم تُقـرأ ولم تُشم ؟[1]

ألقيت فى الأرض جمـرًا لا ذكـاء له ... فـأين أفلت ذاكى ذلك الضـرم ؟

أمنت قـرب ثراها واتقـيت يدًا ... تمس منك بقـايا الأين والسـقم

والأرض أمك والإنسـان بعـدُ أخ ... وقـد يمد شـقـيق كف منتـقم

لقـد لحـقت وكم فى ذاك من عـجب ... بزمـرة الصـخـر ، فـانزلْ ثم فى حـرم

مـا أبلغ الموت فى صـمت رمـاك به ... يا أبلغ الناس فى صـمت وفى كلم

* * *

ذكرى سيد درويش(*)

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـروا اليـوم سـيّـدا ... واحـفظوا الذكـر سـرمـدا

وتـغـنوا بحـمـد من ... قـد تغنى فـاسـعـدا

من يكـن ذاك أمـسـه ... يبـتـدئ مـجـده غـدا

* * *

كـان للصـوت مـالكا ... كـيف لا يملك الصـدى ؟

قـد حـوى السـمع شـاديًا ... وسـيـحـويه مُـخْلَدا

أخـلـد النـاس مـن إذا ... قـيل تاريخُـه شـدا

عـاش للـفـن ، والفـنو ... ن مـصـابيح للـهـدى

مطلع النور ، نبـعـهـا ، ... جـاوز الشـمس مـصـعـدا

من يعش فى السـمـاء هيـهـ ... ـات لا يعـرف الـردى

* * *

جـددوا اليـوم ذكـر من ... قـد تغنّى فـجـددا

الذى صـوّر الحـيـا ... ة هتـافًـا مـرددا

علّم النـاس كـيف يعنو ... ن باللحن مَـقـصِـدا

مـا ابتـغـوا قـبله المعـا ... نىَ فى القـول مـسـندا

وانثنـوا يَعـجـبون للطـ ... ـيـر لما تغـردا

(١) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر .

(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهمس النسيم فى الـ ... ـغصن لما تأوّدا

والدراريّ والسنا ... والأزاهير والندى

سمعوا كل ما انطوى ... من سرار وما بدا

سمعوا الكون بيّنا ... والمقادير شهّدا

فُتح الباب كله ... بعد أن كان موصدا

ربما جاز فاتح ... فى المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفن فى الشعو ... ب شبابٌ له الفدى

فيض ما زاد من شعو ... ر وما هام مبعدا

سورة فى عروقها ... يتقى بأسها العدّى

لا أنينٌ ولا طنينٌ ... ولا ضجة سدى

أو نديم لشارب ... بالطلا قد تزودا

أو بكاء كما بكى ... سائل يطلب الجدى

رحم اللّه سيدا ... كان للفن سؤددا

ليت أحياءنا الأولى ... سبقوا الموت موعدا

لحقوا - وهو فى الثرى ... منه روحا تمردا

وارتأوا مثل رأيه ... واقتدوا مثلما اقتدى

أكبر الظن أنه ... جاور البحر فاهتدى(١)

مفلحٌ من يكون أستا ... ذه البحر مزبدا

إنما اللحن ترجما ... ن عن النفس ما عدا

مبدع وهو ناقل ... كلما قال أوجدا

واصف لن ترى له ... عاذلا أو مفندا

هكذا كان سيد ... صادق الوصف مرشدا

ما سمعنا لشعب مصـ ... ـر على ما تعددا

واصفًا كان مثله ... مستجابا مؤكدا

كل رهط أعاره ... لحنه أسلم اليدا

---

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير فى ثغر الإسكندرية .

وحـــــبـــــاه بـــســـــره ناطق الـوسـم مـنـشـــــــدا
لـيـس مـن عـــــامـل ولا عـــــاطـل راح أو غـــــدا
أو ســـــــرىٍّ مــــــجـلـل أو فـــــقـــــيـــــر تجـــردا
أو قــــوى مـــــزمـــــجـــر أو ضــــعــــيف تـنـهـــــدا
أو دعـــــــاء دعـــــاه إلا عـــــرفناه جـــــيـــــدا
هـكـذا يـســـــمـع الخليـــــقـــ ـــة من يـســـــمـع الصـــــدى

* * *

إنمـــا الـــلـــحـــن مـــنـــطـــق وحــــدّ الكـون إذ حـــــدا
فـــيـــه ، لا في اللغـــان ، يبـــ ـــدو نظيـــمـــا منضّـــدا
اســمـــعــوا منه في الضـــمـــا ئـر وحــــيًـــا مـــؤيدا
حـــيـــثـــمـــا يقـــصـــر الكلا م ويمشي مـــقـــيـــدا
وارفــــعــــوا الفن واحــــذروا مـــهـــبطا منه أو هدا
واجـــــعـلـوا من تـراث درو يش لـلـفـن مـــعـــبـــدا
إنـه مــــهـــــد الخطى فـــابلغـــوا أنـتـم المدى
رحـم الـلّـه ســـيـــدا كـــان في الفن ســـيـــدا

* * *

تكريم عامرٍ (*)

بلـدة الشـــمـس والجـــبـــال كـــيـف لا تـنجب الرجـــال ؟
أنجـــبـت مـــثـل عـــامـــر وهو في الهـــمـــة المثـــال
الـذي فـي جـــهـــــاده ســـبق القـــولَ بالفـــعـــال
والـذي كـــــان أول الـصـــ ـــف في حـــومـــة النضـــال
عـنـد مـــا نودى «الدفـــا ع» بدا فـــارسَ المجـــال
وتـلا مـن تـلا وصـــــا ل بنو النيل حـــيـث صـــال
أشـــــجـع الـنـاس بـاذل هـــزم الـــشـــح والمـــطـــال
كـــرم النفس كـــالشـــجـــا عـــة من أندر الخـــصـــال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل – أنشدت في احتفال أقيم لتكريم السرى الأسواني الكبير إبراهيم عامر «باشا» .

. . . .

كـــرمـــــــوا الـذروة الـتـى   رفـــعـت هامـــة الـهـــلال
رفـــــعـت أرؤسًـــا وطـا   لـت مع المجــــد حـيـث طال
واحـــمـــدوا فى احـــتـفـــالكم   أجـدر الناس باحــتـفـــال
الـعــــصــامى فى الغنى   والـعـظـامـى فـى الخـــلال
والـذى جـــــدّ وحـــــده   فـشـأى عـصـبـة الرجـال
والـــــذى كــــل درهـــم   فـى تجـــاراتـه حـــلال
زانـه الـلّـه بـالأمـــــا   نـة والـصـــدق فى المقـــال
والمضـــــاء الـذى يجــــدّ   ولا يـعـــــرف الـكـلال
والـنـظـام الـســـــوىّ فى   غـــيـر ضـيق ولا اخــتـلال
يـتـــبـع المال صـــاغـــرًا   من لـه الـعـــزم رأسُ مـــال

* * *

لـقـب حــــــازه وكـم   حـــاز من قـــبـلـه ونال
لـم يـزد فـــضـلـه بـه   فـــهـــو ذو الفـضـل لا جـدال

* * *

كـــرّمـــوه تكـرّمـــوا   خـــيـــر دار ، وخـيـــر آل
إن أســـوان مـــا خلـت   قط من مـــعـــدن الكـمـــال
صـــخـــرها جـــوهر الخلو   د وأنموذج الجــــمـــــال
وبـــنـــوهـــا ، وأنـــتُــم   من بنيـــهـــا - بخـــيـــر حـــال
لـكـم المجـــــد لا يـزا   ل من الأعـــصـــر الخـــوال
إنما المجـــد بـالـعـــلا   لا جـنـوب ولا شـــمـــال

* * *

يـا صـــديـقـى ويـا ابـن قـــو   مـى ، وجـــارى على اتصـــال
أقـــرب الـقـــرب بيننـا   شـــيـــمـــة فـــيـك لا تنال
شـــيـمـة النبل فى اســتـقـا   مـة طبع وفـى اعـــتـــدال
شـــيـــمـــة الـعـــزة التى   لا يغـــالى بهـــا اخـــتـيـــال
إنـهـــا جـــيـــرة لـهـــا   أبعـــد الناس مـســتـمـــال
لا تـزال غـــانمـا بهــــا   هـانـئًـــا فى هـدوء بـال
وحـــــواليـك دولـة   من مـــحـــبـيك لا تـدال
تـتـلـقـــاك نـعـــمـــة   أبـد الدهـر فى اقــتـبـــال

ثناء على ماهر (*)

ثناء الكرام على ماهر(1) ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فيقبل فى جحفل زاخر
ومن كلّ أيامه صالحا ... تٌ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غدٍ ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه فى مواعيده ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه ... تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكى يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى الحمد من وطنٍ قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .

(1) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالى والخيام(*)(1)

نكرّمه ، نكرّمه ... وما نرويه نعلمه
ولم ننشئْ له فضلا ... ولكنّا نترجمه
ومن ذا مثل إبرا ... هيم ذو فضل نعظّمه
وذو سمت نوقّره ... وذو رأى نقوّمه
فتى ترضى سجاياه ... ويصدق قلبَه فمه
تساوت عند مطريه ... مزاياه وأنعمه
وحب الخير فى دمه ... فكيف يخونه دمه ؟
له مجدٌ يؤثّله ... بمسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحدثه ... وقد يغنيه أقدمه
ولكن ، ليس يستغنى ... بحظٍ لا يتممه
تكنى بالغزالى(2) ... فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيّا ... م لاقاه مخيّمه
أديبٌ ينشر التبيا ... ن آيات وينظمه
عماد الجمع منبره ... وزين الطِّرس مرقمه(3)
وللفنان فى نا ... ديه مغناه ومغنمه
علت فى السعد أنجمه ... وفى العلياء أسهمه

* * *

تعالى اللّه هاديه ... إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضل فضل الل ... ـه بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالى والخيام : بعد الأعاصير .

(1) ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بتكريم الأديب السياسى الأستاذ إبراهيم الدسوقى أباظة .

(2) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .

(3) المرقم : القلم .

فى محراب المطران(*)(١)

يومٌ تـألّق واسـتـضـاء ... يـوم تـعـطّـر بـالـثـنـاء
يوم أطـلّ عـلـى الحـمـى ... والـفـضـل مـرفـوع اللواء
هـذا وفـاء الـعـارفـ ... ـين لـشـاعـر عـرف الـوفـاء

* * *

«مطران» مـحـراب الـقـر ... يض ، خليلُ ناديه الحـمـيـم
قـدسٌ يـزيـن وقـاره ... أنـس يـهـش لـه الـنـديم
خلقـان لـم يتـجـمـعـا ... إلا لـذى فـضـل عـمـيـم

* * *

مـاذا أعـدّد من سـجـا ... ياك الحـسـان ، وهنَّ شـتـى
أدبـا وعـرفـانـا وآ ... لاءً مـحـبَّـبـة وسـمـتـا
وإذا أطـلـتُ فـغـايـة الإ ... طـراء أنـك أنـت أنـتـا

* * *

نـاداك أبـنـاء الـعـرو ... بة باسم شـاعـرها المجـيـد
فـألٌ تُـجـدده الـطـوا ... لـع كـل يوم فـى سـعـود
الآن فـاهـنـأ بـالـعـرو ... بة وهى «جـامـعـة» تـسـود

* * *

أنطقت بالـعـربيـة الـفـصـ ... ـحى أعـاجم شكـسـبـيـر
ونـقـلـتـهـم نـقـل الأمـا ... نة فى الكبـيـر وفى الصـغـيـر
بـدّلـت فـى لـغـة الـلـسـا ... ن ولم تبـدّل فى الضـمـيـر

* * *

ودعـمـت للتـمـثـيـل كـعـبـ ... ـتـه فـعـاودها المزار
صـفـرت فـحين حللتَـهـا ... حـفلت بحج واعـتـمـار
لقـنـتـهـم فـتـلقـنوا ... مـنـك الـتـلاوة والحـوار

(*) فى محراب المطران : بعد الأعاصير .

(٢) فى تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجمعت فحوى «الاقتصا … د كما تنزّل فى كتاب
قلمٌ يعلّم علمه … ويدٌ تجود بلا حساب
فى العُرف والعرفان سا … ئلك المؤمّل مستجاب

* * *

ذم اليراع قضيتها … فى كل ميدان دعاك
ليس النظيم أو النثير … قصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«الجـ … ـلة» فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت إلى الجد … يد سبقت منه إلى كمال
أتعبتَ خلفك من عدا … فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وإن جروا … من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررتَ أوازن القصيـ … ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسّعتْ فيه البحو … ر فأرسلت دُررًا ومُزنا[1]
هذى الثلاثيات حقـ … ـك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ فى ديوانك العا … لى أميرًا لا تُجارى
أولى الربوع بشاعر … آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنًا سوا … ها حيث حلّ ولا مدارا

* * *

واللّه لو وفّوك بالتـ … ـجديد حقك من ثواب
لم تُوف عهد كهولة … إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان فى … ظل الخلود المستطاب

* * *

لكنّ حقك فى الشبيـ … ـبة شائعٌ بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا … أو عنك فى النجوى ينوب
هبةٌ قضوك ديونها … والحر سدّاد وهوب

---

(١) المزن السحب . وهذه القصيدة المنظومة «ثلاث ثلاث» حق للشاعر الذى سبق إلى هذا النوع من التجديد فى القوافى وتقسيم المقطوعات .

أنـعـم بمحـــــــفـلـك الـذى وسـع الـعـــــــروبـة فـى مـكـان
كـــــــرمـتْ بـإكــــــرام الـنُّـهى وعلـت بإعـــلاء الـبـــــيـــان
هى تـرجـــمت بك عن فـــضـــا ئلهـــا ، فـنعم الـتــــرجـــمـــان

* * *

عـــيـــشـــا مـــعـًــا مـتـــعـــاهـد ين وأبلغـــا الـعـــهــد الـتــمـــام
منهــــــا لـك الآذانُ صـــــا غـــيـــة ، ومنـك لـهـــا الـكـلام
مـــتــــــقـــابـلـين عـلـى الـرضـى مـــتـــــــلازمـين عـلـى الـدوام

* * *

كوكب الشرق(*)(1)

هـلّـل الـشـــــرق بـالـدعـــــاء كـــوكـب الـشــرق فـى الـســمــاء!
عـــــاد فـى حـلـة الـضــــيـــــا ء ،وفـى هـالـة الـبـــــهــــــاء
لـم يَـغـب هـاجـــــــرًا ولــ ـكنْ كـــمــــا غـــرّبت ذُكـــاء
لا تـخـــــافــــوا عـلـى مـطـا لـعـــــه سـطـوة المـســــاء
واهـــبُ الـــنـــور لا يـــدا ريـه عـن نـوره عــــشـــــاء
كــــوكـب الـشـــرق فـى أمــــا ن مـن الـلـيـل لامـــــــراء

* * *

يـا عـــروس الـســمـــاع لـبـــا ك مـن يـســـمـع الـدعـــاء
وشـــفـى أنفــسًـــا لـعــينيـ ـك تسـتــــرخص الـفـــداء
انـظـرى فـى وجـــــــوهـهـم تـعـــرفى نضـــرة الـوفـــاء
كـــلـــهـــم ود لـــو يُــغـــنـى مـن الـبـــشـــر والـصـــفـــاء
لـو بـقـــــدر الـســــرور نـشــ ـدو غـلـبـنـاك بـالـغـنـاء !

(*) كوكب الشرق : بعد الأعاصير .

(1) تحية لمطربة الشرق الآنسة «أم كلثوم» لمناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثوم يا بشيـ ... ـرًا من اللّه بالرجاء
أنت من وحيه ، وللـ ... ـه فى الفن أنبياء
ذلك الصوت - صوتك الـ ... ـعذب - من عرشه نداء
فيه سرٌّ من جنة الـ ... ـخلد لكنه ضياء
فيه ما يرفع الحجا ... ب وما يكشف الغطاء
فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجى سلا ... م وللمشتكى عزاء
فيه حرز من الهمو ... م وعونٌ على القضاء
أى نفس إذا تر ... ـنمت لا نهزم الشقاء ؟
إنه قوةٌ إذا ... عز من قوة نجاء
إنه من غنى إذا ... حُسب الصوت من غناء
إنه ثروة لمصـ ... ـر وما أجزل الثراء
مهرجان لعيدها ... حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت ... بلسم ناجع الشفاء

* * *

أيها الكوكب الذى ... أسعد الأرض باللقاء
ر دَدى الطرف فى الفضا ... ء ، وما أرحب الفضاء
واسأليه سؤال من ... يلحن الطير فى الهواء
هلى سرى فيه مثل صو ... تك فى الحسن والنّقاء
فى قديم من الزمان أعـ ... ـنى وفى حاضر سواء
لا أحاشى من الرجا ... ل قبيلا ولا النساء
لا تجيبى . أنا المجيـ ... ـب ، ولم أغلُ فى الثناء
أنت كالشمس لا تُعدّ ... د فى هذه السماء

موسيقى خالد(*)(1)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا . . ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا بالحمد فنا بالجمال يُبشّر
ذهب الزمانُ زمانُ من لم ينعتوا بالمجد إلا من يصول ويقهر
إن الذى يُعطى النفوس عزاءها لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
ليس الغناء صدًى ، ولا أنغامه خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّى - إن علا استقلالكم - بين البناة مؤسسٌ ومعمّر

* * *

للّه «سيد» الذى غنّى لكُم زمنًا ، فقال العارفون «مصوّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدرى سامعٌ أصغى إليه : أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذىَّ منه رأيته عجلا ، فتُيْمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته فى النِّيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفىّ منه لمحته فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندىّ منه نظرته وعلى أسرّته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرنج بالغناء وإنما هو مؤثر فى الفن لا متأثر
عرف الأغانى واللحون كما جرت فى عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنَّت فليس غناؤها لغو المجانة ، بل معان تؤثر

* * *

قل «سيدًا» فإذا ذهبْت مترجمًا علموا هنالك أنه «المايسترو[2]»
هى من مصادفه الحروف وربما سبقَ الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سمةٌ على كل اللغات سميُّها للسبق فى الفن الجميل ميسّر

* * *

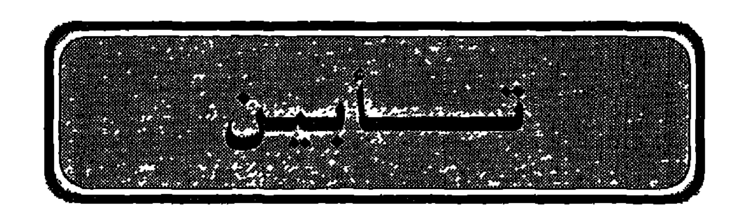
يا نخبةً قدروا الجميل لأهله دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

. . . .

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(1) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقى المجدد الشيخ سيد درويش .

(2) المايسترو : الإيطالية «ترجمة سيد أو أستاذ» .


تـــأبين

ذكرى الشهيد(*)

(رثاء محمد فريد)

. . . .

دنيا نزاولها ونحن كأننا ... من غير طينتها نصاغ ونخلق

محجوبة المرمى ، فما لشرورها ... تعتاد حاسره الوجوه وتبثق

تمشى على الأبدىّ من أشواكها ... ونتاجها الأبدى عنا مغلق

وكأنما الدنيا سرابٌ سرمد ... لا يُرتوى منه ، ولكن يُغرق

سلواك فيها حين يخفق عامل ... ترجوه ، أن صداه قد لا يخفق

* * *

أفريدُ لا يلمم بسيرتك الردى ... أبدًا ولا يبرح سلاحك يُمشق

ما كان ذاك العمر إلاّ وقعة ... الدهرُ حومة حربها لا الخندق

والناصرون الحقّ جيش واحد ... متجمعٌ فى مدّه متفرق

الأنبياء الصالحون جنوده ... والحق بيرقه ونعم البيرق

لا ييئسنك أن قضيت فإنه ... جيش بموت غزاته لا يُمحق

ما زال مطّردا فقِبلك فيلق ... شراعوا لهاذمه[1] وبعدك فيلق

خير الجوانب أن تكون بجانب ... أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

. . . .

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث . ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣) .

(١) اللهاذم : السيوف القاطعة .

ذكرى الأربعين (*) (١)

الأربعون

أمضيت بعد الرئيس الأربعون؟ ... عجبًا كيف إذن تمضى السنون
فترة «التيه» تغشّت أمة ... غاب موساها على «طور سينين»
كل يوم ينقضى نفقده ... وهو ملء الصدر من كل حزين
تكبر البلوى به حين مضت ... والبلايا حينما تمضى تهون
كيف ينسى الناس من لم ينسهم ... يوم تُنسى النفس والذخر الثمين
لم يزالوا كلما قيل لهم ... ذهب الموت به ، يلتفتون

. . . .

خرج المدفع يطوى مدفعًا ... الأساطيل اتّقته والحصون
ساكنًا بين يديهم بعد ما ... زلزل الشرق على المغتصبين
حوله من عسكر أو عزّل ... جيش أجناد له متبعون

. . . .

ليس يبكى خطب سعد يائسٌ ... أين من سعد ضعافٌ يائسون ؟
إنما يخلق أن يبكيه ... من أصابوا منه عزمًا لا يلين
لم يصب منه نصيبًا من هوى ... خائنَ العزم ، فما كان يخون
أىْ نذيرَ الحق من وادى الردى ... قم فأنذرهم عساهم يعلمون

. . . .

ألق للتاريخ ما يكتبه ... أنت لا يلقى عليك الكاتبون
صفحة سطرتها أنت فما ... فى ثناياها سطور يمّحين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .

(١) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل له ، والدهر يحنى رأسه   والطوايا شاهدات والعيون
أنا مصر ، وهى فى سؤددها   أنا مصر ، وهى فى الأسر سجين
أنا نجّيت لمصر نفسها   ضيّعتها بين كفران ودين
أنا ألقيت على عاتقها   حملها المطروح بين الآخرين
فاسألوا عن صيدها أو غيدها   وعن القبط بها والمسلمين
وعن الموسر والعافى بها   وعن الآباء فيها والبنين
واسألوا عن عالم أو جاهل   وأصيل من بنيها أو هجين
تجدوا مصرًا ولا تستمعوا   غير مصر فى دعاء وحنين
جُمّعت فىّ نفوس فوقت   فى النبيين الهداة المصلحين

. . . .

يوم منفاك وهل كان سوى   يوم بعث لبنيها أجمعين
ضُربت مصر فكانت ضربة   ذادت النوم وطاحت بالسكون
أيها الغادرون بالقيد لها   قيدوا الآن ! ألستم قادرين ؟
الرحى دارت على أقطابها   واستوى الطاحن فيها والطحين
بأسكم ما عهدت أحرارها   من قديم ، وهى ما لا تعهدون

. . . .

إن بكت مصر عليه شجوها   إننى بالشجو وحدى لقمين
رزئته النفس واللب وما   يشتهى الراوى ويبغي الدارسون
لم يكن بالأب إلا أنه   كان نعم الأب فى رفق ولين
كم سعى ساع إليه ووشى   ومقامى عنده العالى المصون
يا هدى الأمة يا نعم الهدى   يا خدين الصحب يا نعم الخدين
أنا جبارك[1] لا تعهدنى   ذلك الجبار فى الدمع السخين
لست أنسى فى «وصيف» سامرًا   لك كالطير أظلتها الوكون
إذا تُلاقينا على مهد الرضى   والأحاديث مع الليل شجون
نحقر الداء وترعى أمرنا   إن غفونا أو غدونا مصبحين

. . . .

(١) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار .

يوم ودعـــــتك ودعت أمــــرأ   يملؤ الدنيــــا ويقـــضى ويدين
وأحــــيـــيك لألقــــاك غــدًا   حــجــرًا يعلوه نوار الغــصــون !
عــجــبًــا لا ينقــضى من عـجب   وفــتــونا ليس يبلى من فــتــون
أهو ســـعـــد ذلك الشــاوى هنا   أهو سـعـد ذلك القــبــر الســدين ؟
عـــجـــبت بادرتى ثم وعت   فــيــه رمــز الموت أعلى الرامــزين
هو صـــخـــر ورياحين مــعــا   بين عـــزم وخــلال يســتــبين
فـــاعــرفــوا فى قــبــره تمثــاله   وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فــاز ســعــد (*)

عـــرف النفى حـــيـــاة ومماتا   وأصــاب النصــر روحــا ورفـــاتا
كـلمـــا أقـــصـــوه عن دار لـه   رده الشـعب إليــهـا واســتــمــاتا
كــيف يجــزيه افــتــيــاتا وهو من   كـان لا يرضى على الشـعب افـتـيـاتا
أصــبـحت دارك مــثــواك فــلا   تخش بعـد اليـوم يا سـعـد شـتـاتا
حـــبـــذا الخلد ثمــارًا للذى   غــرس المجـــد ونماه نبـــاتا

. . . .

* * *

جـــيـــرة الأحـــيـــاء أولى بالذى   بعث الدنيــا حــيــاة أن تبــيــد
مـــعـــشـــر الأحــيـــاء أنتم لكُم   مــــدد من ذلك الميت مـــديد
مـــســتــعــيــدين رجــاءً كلمــا   جــزتموه ، وهو منكم مــســتــعــيــد
إنه فى كل جـــيـــل ذاكـــر   من بنيــــه ، أبد الدهر وليــــد
تلك يا ســعــد مــغــانيك فــمــا   فى ســواها يسكن اللحد شــهــيــد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجواره داره .

اعـــبـــر القـــاهرة اليـــوم كـــمـــا كنت تلقـــاها جـــمـــوعـًــا ونظامـًـــا
ســاعـــة فـى أرضـــهـــا عــــابرة بـين آبـاد طـوال تـتـــــــــرامـى
ســاعـــة من عـــالم الفـــردوس لا تشـبـــه الســاعـــات بدءًا وخـتـــامـــا
كل من شـــاهدها زيد بهـــا من مـــعـــانيك جـــلالا ودوامـــا
قـل لـهم أبـلغ مـــا قـلت لـهم أيهـــا الواعظ صـمـــتـــا وكـــلامـــا

* * *

جـردوا الأســيــاف من أغــمـــادها ذاك يوم النصـــر لا يوم الحـــداد
ارفــعـــوا الرايات فى آفـــاقـــهـــا أين يوم الموت من يوم المعـــــاد ؟
لا يُـلاقـى الخلـد بـالحـــــزن ولا يكتـــسى الفـــتح بجلبـــاب الســواد
ذاك يـوم مـــــا تمناه الـعـــــدى بـــــل تمـــنـــــاه ولاء ووداد
فـانفـضـوا الحزن بعـيـدًا واهتـفـوا : فـــاز ســعـــد وهو فى القـبـــر رمـــاد

تمـثـال سـعـد(*)

الـروح فـى وادى الـكـنـانـة حـــائم وجـــلال شـخـصك فى النواظر قـائم
مـــا غـــاب منك مـــثـــال عـــارض يمضى ، ويخلفـــه المثـــال الدائم

. . . .

تمثـــال ســـعـــد فى الجـــزيرة ســاهرًا هيـــهـــات يغلف منك لحظ صـــارم
النيل حـولك لا يغـيب هنيـهـةً عن ناظريك ، وأنت عنه صـــائم
شـأنٌ لربك فى الحـيـــاة حكيـتـــه فـــالظل للغـــصن الوريف مـــوائم
كم صـام ســعـد عن مناهل حـوضـه ويعبٌ مـــغـــتـــصب وينهل غـــاشم
كم بـات يرعـــــاه ، وليـس بمرتـع من خـيـــره مـــا يرتعـيـــه الحـــاكم
كم غـــاب عنه ولم يغب عن همـــه والبــحـــر دون طريقـــه مـــتـــلاطم

* * *

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

بك زادت الأهرام ركنا والتــــقت ... منهــا على بعــد الزمــان دعــائم
تلك الصروح على اختـلاف بنائهـا ... فى الجـيــزة الفــيــحــاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا ... يعــيــى بنقض بنائهم الـهـــادم

. . . .

* * *

يا ســعــد هلا من لســانك قـولة ... يروى بهــا هذا الزحــام الهــائم ؟
يمنـاك تـومـئ فــــــأيـن مـن ... إيمائهـــا الصــوت القــوى الناغم ؟
عــجـبى لشىء فـيــه منك مــلامح ... أن ليس يُســمع منه قــولٌ حــاسم !
عــجـبى لشىء فـيــه منك مــلامح ... أن ليس يخــفق فـيــه قلب عــالم !
أخــذ الحــديد الصلب منه عــزيمة ... والصــخــر بأســا يتـقــيــه الصــادم
وتـشــــابهت ثم الأســـارير التى ... قـــد شــابهــتك بمثلهن ضــيــاغم
وتحــجــبت تلك الأفـــانين التى ... ضـــاق الصّناع بهـــا وعىّ الراسم
أن لم تـصـــورها اليـــدان فــربما ... خـفـيت فـصـورها الضـمـيـر الراقم
إن لا تحـــدّثنا فكلّ مـــحــدّث ... من فـــيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظٌ فـــدون الوحى من ... مـــعناك - كلّ اللافظين أعــاجم

تحية زعيم راحل(*)(١)

أكبـرت فى غـيب الزعـيم محـمـد ... من كـان يكبـر حـاضـرًا فى المشـهـد
حـجب الردى عنا بشــاشـتــه ولم ... يحـجب بشــاشـة ذكـره المتـجـدد
هيــهـــات ينتــقص مـجــادة ... للســيــد بن الســيــد بن الســيــد

. . . .

* * *

عـزّ الكنانة فـيـه فـهى فـجـيـعـة ... تبلو الكنانة فى الضـمـيـر وفى اليـد
مــا فى مـروءات الشـعـوب مـروءة ... إلا رعــتـــه بنظرة المتـــفـــقـــد
البـــر ، والمشـــهـــود من آلائه ... بين المحــافل دون مــا لم يشــهـــد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .

(١) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف، وإن تشأ ... سردًا، فعدد مابدا لك، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية ... للمهتدين، وقدوة للمقتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على ... مستغلق فيها، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها ... كالشاهق المخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادى، ولم يك رابحا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عزّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بين مشرّد ومبدد

. . . .

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبية ... سهل، وإن أعيى قومى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد، ولو نماه معشر ... للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظة، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سقياه من أصليه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى، فغير مفند

* * *

آه من التراب (*)(١)

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟ عوّدتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشُها المنبر مرفوعُ الجناب مستجيبٌ حين يدعى مستجاب

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط الندىّ أين مى ؟ هل علمتم أين مى؟
الحديث الحلو واللحن الشجى والجبين الحرّ والوجه السنى

أين ولى كوكباه؟ أين غاب ؟

* * *

أسف الفن على تلك الفنون حصدتها ، وهى خضراءُ ، السنون
كلّ ما ضمته منهن المنون غصصٌ ما هان منها لا يهون

وجراحات ، وبأس ، وعذاب

* * *

شيمٌ غرّ رضيّات عذاب وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاءٌ ألمعىّ كالشهاب وجمال قدسىٌّ لا يعاب

كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

كل هذا خـــالدٌ فى صـــفـــحـــات عطرات فى رباها مـــثـــمـــرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبـــات رفــــرفت أوراقــــهـــا مـــزدهرات

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حـسن تشـتـهـيـه مـتـعـة الألبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـيّـز من كل شـبـيـه لم يزل يحـسـبـه من يجـتنيـه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقـاليم التى تنمـيـه شـتـى كل نبت يانع ينجب نبـتـا
من لغـات طوّفت فى الأرض حـتى لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لـذاك اللب من ثروة خـصـب نيّـر يقـبس من حس وقلب
بين مـرعى من ذوى الألبـاب رحب وغنى فـيـه وجـود مـسـتـحَب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعـه الناضـر من شـعـر ونثـر كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر فله فى العين سـحـر أى سـحـر

وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حيّ «مــيّــا» إن من شــيع مــيــا   منصــفًــا حــيّــا اللســان العــربيــا
وجــزى حــواء حــقــا ســرمــديا   وجــزى مــيّــا جــزاء أريحــيــا

للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسـدت إلى الفـصحى احتسابًا   والذى صــاغــتــه طبــعــاً واكــتــسـابا
والذى خــالتــه فى الدنيــا ســرابا   والذى لاقت مــصــابا فــمــصـابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعــــد فــــقــــد الأبوين   سلمت فى الدهر من شــجــو وبين
وأسى يظلمـــهــا ظلم الحــســين   ينطوى فى الصـمـت عن ســمـع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراهـا بعــــد صــــمــت وإباء   سلمت من حــســد أو من غــبــاء
ووداد كلٌّ مــــا فــــيــــه رياء   وعــداء كل مــا فــيــه افــتــراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحــمــة الله على «ميّ» خــصــالا   رحــمــة الله على «ميّ» فــعــالا
رحــمــة الله على «ميّ» جــمــالا   رحــمــة الله على «ميّ» ســجــالا

كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعـــة مـــا زلت أراها غـــضـــةً تنشـــر ألوان حـــلاها
بين آراء أضـــــاءت فى سناها وفـــروع تتــــهـــادى فى دجـــاها

ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

* * *

غـــاب والزهرة تؤتى الثـــمـــرات ثمـــرات من تجـــاريب الحـــيـــاة
خـــيـــر مـــا يؤتى حـــصـــاد السنوات بعـــثـــرتهن الرياح العـــاصـــفـــات

ورمـــتهـن تـــرابًا فى خـــراب

* * *

ردّ مـــا عـندك يا هذا التـــراب كل لب عـــبـــقـــرى أو شـــبـــاب
فى طواياك اغـــتـــصـــاب وانتـــهـــاب خُلَقـــا للشـــمـس أو شم القـــبـــاب

خـــلقـا لا لانـــزواء واحـــتجـاب

* * *

ويك ! مـــا أنت برادّ مـــا لديك أضـــيع الآمـــال مـــا ضـــاع عليك
مـــجـــد «ميّ» غـــيـــر مـــوكـــول إليك مـــجـد «ميّ» خـــالص من قـــبضـــتـيك

ولـــها مـن فـــضلها ألـــف ثـــواب

عبد القادر (*)

جلّ المصاب بفـــقـــد عبـــد القـــادر[1] ويح البـــيـــان على المبين الســـاحـــر
البـــاحـــث المنطيق فى تاريخـــه ، الملبس الماضى لبـــاس الحـــاضـــر
الناقـــد الأنبـــاء نقـــد صـــيـــارف ، الـــوازن الآراء وزن جـــــــــــواهـــر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .

(1) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزه صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى — والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت — يوما لمنتقم ولا لمناظر

. . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه — من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره — بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده — علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا — أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها — متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معًا فى حلبة — عزت على غير الطمرّ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا — نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن (*)

أحمد ماهر (1)

لم أصدق وقد رأيت بعينى — وسمعت الطّق المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه — ويدٌ - قيل من بنى مصر - تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا ... — ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ — والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده الجا — نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .

(1) قيلت هذه القصيدة فى رثاء . الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (1945) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمى ؟ وأى فؤاد … نال منه ؟ وأى صدر وحضن ؟
أفيُرمَى بالموت أوسع صدر … لبنى قومه ، وأمنع حصن ؟
أفيُرمَى بالموت قلبٌ يحوط النا … س حبًا ولا يحيط بضغن ؟
أفيُرمى بالموت رأسٌ تولّى … مجد مصر برأيه المطمئن
يُعمل الرأى للبلاد ويَلقى … معول الموت هادمًا ، وهو يبنى ؟
يا ضلال الجدود فى هذه الد … نيا ، ويا سوأةً لذاك التجنى
أمنتْ تلكمُ المقاتل لو يأ … من فى الناس كلُّ صاحب أمن
لو تردُّ النياتُ غرب سلاح … ردّ عنه السلاح ألفُ مجَنّ

* * *

لو أصدّق ، وقد رأيت بعينى … أمّةَ النيل فى حداد وحزن
حزنت غير أنها ليس تَدرى … أللقيا تجمّعت أم لدفن
أعمقُ الصمت صمتها وهى حيرى … بين صدق الأسى ووهم التمنى
ترقب النعش قادمًا يتأنى … وتمنّت لو طال ذاك التأنى
أوجعُ الشك شك ساعةِ هول … فى يقين يُدمى العيون ويُضنى
المسجّى يأيها الجمع هذا … أفتدرى من ذا يكون ؟ أجبنى !
إنه «أحمدُ» الذى كان فينا … منذ يوم رضوانَ كلُّ مهنى
من يصدّق هذا يصدقْ عظيما … من بلاء الدنيا يشيب ويفنى

* * *

لم أصدق والأربعون أمامى … كلُّ ساعاتهن ساعة بين
كم تمثلته وأحسب أنى … إنْ أحقق رأيته نصيب عينى
مقبلاً ضاحك الأسارير سمحًا … ثابت الجأش لا يُلم بوهن
فُجعتْ مصر فيه بالقائد الأسبـ … ـق ، والأوحد الذى لا يثنّى
بالزعيم الأمين فى كل رأى … والوزير القدير فى كل فن
والحسيب المُوفى لكل حساب … والخطيب الذى يقول ويَعنى
الذى فارق المناصب جهرًا … بصريح من رأيه لا يكنّى
والذى أنفق الشباب جهادًا … فى خطار على الحياة وسجن

والذى أجـــزل العطاء لمصـــر هبـــةً منه لا تشـــاب بضن

والذى لا يسىءيومًـا ، ويعـفـو عن مـسىءإليـه فى غـيـر منّ

والذى كـان فى «الندىّ» إمـامـا وسط العـدل حين يُقـضى ويُدنى

عـز فـينا دسـتـور مـصـر بشـرح من هداه لا يسـتـعـاض بمتن

لن يقـول الصـديق فـيـه مـقـالا يتـأباه خـصـمـه حين يثنى

الأسـتـاذ الأكـبر(*)(١)

من مـثل نابغـة النوابع مـصطفى فى سـابق من مـجـده أو لاحق

رجّـاه والده الكريم لغـايـة حـسنى ، فـوفّـاها وفـاء الواثق

ربّاه حـبـرا للديانة فـاسـتـوى فى نخـبـة الأحـبـار أسبق سـابق

ونماه فى حـجـر العـبـادة مـسلمـا فـهـدى الحـجـيج ، وحجّ كلَّ منافق

وأعـده للعلم فـاسـتـوفى به حظ العليم الفـيلسـوف الحـاذق

وغـذاه بالتـبـيـان فـانقـادت له غـرر اليـراع بكل مـعنى شـائق

وهداه للإحـسـان فـهـو وليّـه ، لعـاهد الإحـسـان غـيـر مـفـارق(٢)

ورجـاه للعليـاء فـاسـتـبق الخطى سـبقَ الكرام إلى المقـام السـامق

لا وانيًـا عنهـا ، ولا مـتـعـجـلا فـيـهـا تعـجّل مـشـفق من عـائق

وكـأنهُ وعـد الأمين وفى به فطوى صـحـيـفـتـه كلمح البـارق

لو لم يكن قـدرًا قـضـاه لما قـضى كـالنجم يرجع غـاديا من شـارق

إن المطـالع لا يقـر قـرارها بعـد التـمـام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخـذًا من كل شىء صـفـوه بوركتَ من ذى مـعـجـزات خـارق

حـتى الخـمـول بلغت غـاية حظه عـجـبًا ، وأنت من العـلا فى حـالق

لم ألق قـبـلك من نبـيـه آمن من شـرِّه البـاغى وغـيظ الحـانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .

(١) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .

(٢) كان رحمه الله وزيرًا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع ما امتزجن بدمعة من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آيةٌ تخذت من الإجماع أصدقَ ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق مرضيَّة منه ، وخير علائق
ما الموت ياكشاف كل حقيقة إلا حقائق حُجِّبت بحقائق

السيدة هدى (*)(١)

ربةُ البر والندى لم يَضِع سعيها سدى
لغد كان سعيها وسيبقى لها غدا
كلٌّ ما قدمت من الخيـ ـر باق على المدى
ينطوى الدهر ما انطوى منه صوتٌ ولا صدى
هى ملءُ الضمير منـ ـكم مغيبًا ومشهدا

* * *

كنت فى الشرق يا هدى مثلا كان أوحدا
أين فى المجد والعلا؟ أين فى المجد والجدى؟
غايةٌ طاولت سما ءك مرقىً ومصعدا
إن علا محتد علو ت إلى الأوج محتدا
أو علا سؤدد العوا رف بوركتِ سؤددا
أو حدا الركب بالعزا ئم جاوزتِ من حدا
شرفٌ كلُّ عنصر يه على المجد أسعدا
تم موروثه العر يق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما حسبُ من شاء مفردا

* * *

إن من تذكرونها ذكرها غالبُ الردى
قدوة الفضل للعقا ئل فى كل منتدى
ولها السبق كلما حسُن السبقُ موردا
سفرت والحجاب كالليـ ـلِ غيْمانَ أسودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(١) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوى ، وكانت قدوة لسيدات الأسر فى النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

والتــقت باسم مــصــر والنــ ـيل جــيــشًــا مــجنّدا(١)
وأعـــــانت على الزمـــا ن مـــريضًـــا ومُـــجـــهَـــدا
وضــعــيــفًــا من اليــتــا مى وطفــــلاً مـــشــــرّدا
وحـــمى عطفُـــهــا فـــرا ئسَ من ضل واعـــتـــدى
ورعت ناشـــئــا عن الـ ـعلم والأهل مُـــبــعـــدا
وأجـــازتْ على البـــيــا ن فـــأســـدت له يدا
إن بــكــوا كــلــهــم لــنــعــ ـيك لا غـــــرو يا هــدى
كلهم يفـــتـــديك لو يُدفع الموت بالفــــدى
لا صـــــديقٌ ولا عــــدا ليس فى الحق مـــا عـــدا
أم الشـــــرق كلُّهـــــا حـــمـدت منك مــحــمــدا
تـوج التـــــاجُ ذكـــريا تـك والشــــــعب ردّدا
آيـــــة الله يــــا هــــدى ولك الخلد ســـرمـــدا

محب السلام(*)(٢)

. . . .

عــــزاء الزمــــالة فى رزئـه لقـد كـان نعم الزميـل الهـمـام
حـــفىّ اللقـــاء ، وفىّ الإخـــا ء ، عـفـيف اليـراع عـفـيف الكلام
صــبـــورًا على هفـــوات الطبـــا ع ، يغضى عن السيِّئات الجسام
حليــــمـــا إذا طاش لب الحلـ ـيم ، رضيـا إذا لجَّ داعى الخـصـام
ترى حـــوله الناس شـتى العـقـو ل ، شـــتى المذاهب ، شـــتى المرام
فــتــحــســبــه عـامــلا وحـده وتحـــســبـــه قـــائلا فى الزحـــام
كـــأنّ له خـــاطِرىْ مــهــجـــةٍ لهـــذا مـــقـــام وهذا مـــقـــام
طرائفــــه فى ثـنايا الحــــديـ ـث ، تنسى النديم كـــؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت فى مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوى ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته فى مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفى على أثره فى الهزيع الأخير من الليل .

وأمـــثـــالـه من عـــيـــون الـبـــيـــا ن ، جـــواهر منثـــورة فى نظام
وآراؤه حـــنن تـــطـــغـــى الخـــطـــو ب مـــــعــــــالمُ هاديةٌ فى الظلام
وأقـــــــــدر خـلـق عـلـى أن يُـذ يعَ قـد كـان أقـدرهم فى اكـتـتـام
فـــمـــا صين ســـرٌ كـــمـــا صـــانه وإن عـــزّ فى الســـر راعى الذّمـــام
وأكـــثـــر مـــا اســـتـــودعـــتـــه النفـــو سُ أودعـــه الـيـــوم جـــوف الرّغـــام

* * *

مـنـاقـب أنـطـون لا تـنـقـــــضـى ولا يختـتم القـول فـيـهـا ختـام
أحـبٌ الـســـــــــــلامَ ونـادى بـه عليـــه مـــدى الدهر أزكى ســـلام

* * *

الشهيد الأمين (*)(١)

محمود فهمى النقراشى

أســـفى أن يكون جـــهـــدَ رثائى كـلـم عـــــــابـر ، ورجـع بـكـاء
مـــارثاء الحـــزين غـــيـــر تعـــلاّ ت ، ومـــا النوح غـــيـــر نفث هواء
لـيـــتنى أخـــرس الفناءُ لســـانى قـــبل يوم أشـــقى له من فنائى
مـــا وفـــاءٌ بذل الدمـــوع من الحـــز ن ، على منّ وفى ببـــذل الدمـــاء

* * *

إن حـــــــــزنى عـلـى هـذه الأنـفـــ ـــس ، ضلّت فـينا سـبـيل السـواء
نُكست بينهـــا الموازين نُكسًـــا واســتـحـالت مـعـالم الأشـيــاء
كم رأينا غـــــدرًا ولا من عـــــداة وشـــهـــدنا حـــربا ولا من عـــداء
ظلمـــاتٌ تقـــودها خـــبط عـــشـــواءَ ، وويـلٌ لخـــابط العـــشـــواء

* * *

(*) الشهيد الأمين محمود فهمى النقراشى : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأى والخلق الأمين - محمود فهمى النقراشى - بديوان وزارة الداخلية فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صادق النصـ   ـح ، وتصغى طوعا لكل افتراء ؟
أمةٌ فى الشقاء من معتد فيـ   ـها عليها ، ومن صويع اعتداء
أعجزُ العاجزين يقوى علىً إيذ   ائها غايةً من الإيذاء
والقديرون يشتكون من العجـ   ـز ، إذا مهَّدوا لها بالدواء
كيف كيف النجاءُ من هذه المحنـ   ـة ، بل أين أين حق النجاء

***

إن حزنى حزن على هذه الأمـ   ـة : رفقًا بها إله السماء
قُلبت آيةُ الحقائق فيها   وقضى سفلُها على العظماء
غيلة الموت للغيور عليها ،   وقضاء الحياة للجهلاء
وقضاء الجهول أوخم عقبى   من قضاء البهيمة العجماء
فتنة تعمه البصائر فيها   وتضل العقول فى تيهاء
إن أبينا البقاء حقا لمحمو   د ، فمن ذا يُرجى لطول البقاءِ

***

نبئونى . فإننى أنا واللـ   ـه ، عرانى عىٌّ عن الإنباء
أى سهم ترمى به يدُ مصر   ى يرى فيه موقعًا لرماء
أى تلك الخصال مرمى اغتيال   لبنى مصر ، بل بنى حواء
أيُغال الحنان فيه ، حنانًا   كاد يُحصى به مع الضعفاء ؟
أم يُغال الحفاظ فيه ، حفاظا   يتحدى جحافل الأقوياء ؟
أم يُغال العفاف أصدقُ ما كا   ن عفافا فى مستسرّ الخفاء
أم يُغال الإنصاف يحمى عُداه –   حين يقضى – من صفوة الأصفياء
أم يُغال الذكاء يخترق الحجـ   ـب ، بنور يهدى كنوز ذُكاء
أم يُغال الزهد الذى حار فيه   كل مغْرٍ من سطوة وثراء
أم تُغال الخلائق الزُّهر كادت   تترقى إلى ذُرىً الأنبياء
أم يُغال الصبر الطويل على الجهـ   ـد ، بلا منَّةٍ ولا إعياء
أم يُغال الجهاد فى حب مصر . . .   ويح مصر من تلكم النكراء
إن محمودًا الذى فقدته   واحدٌ لا يقاس بالنظراء

***

يـا أبـا هـانـئ ! وأعـــــزز بـأنـى | لا أرى هـانـئـــــاً ربـيـب هـنـاء
أنعــزيه فى مــصـــابك لهــفـــا | ن ، ونحن الأحـــرى بطول العـــزاء
ومصابُ الشعوب فى الحق أقسى | من مــصــاب الأبناء فى الآباء
خطب مصر . يسامح الله مصرًا | عـقّـهـا فى جـدودها القـدمـاء
عقّها فى اسمها ، وما تعرف الأقوا | مُ دخـرًا أغلى من الأسـمـاء
يرحم الله مـصـر من فـتنة تطـ | ـغى يجهّـالهـا على الحكماء
يرحم الله مـصـر . إنك يا محـمـو | د فى رحـمـةٍ مع الشـهـداء
لا يضيم الإلـه قـومـا بذنب | أنت فـيـه لهم من الشـفـعـاء

فقيد اللغة والأدب(*)

على الجارم(1)

. . . .

لست أو فيه وصفه : إن وصفًا | لعليّ يُغنى غناء السـمـىّ
علم فى الديار ، صنّاجة فى الحفـ | ـل ، ركن فى المجمع اللغوىّ
وسـراجٌ فى مـفـرق الرأى هاد | وجـمـال وبهـجـةٌ فى الندىّ
وزمـيـل سـمـح الزمـالة برٌّ | وأخ بالإخـاء جـدّ حـفـىّ
ذلك الشـاعـر الذى ثكلتـه | مـصـر ، فى يوم مـأتم وطنى
لم تزل تسـمـع المراثى حـتى | سـمـعتْ فى الرثاء صوت نعىّ
تـتـنزى على زعـيـم أمين | وأديب جـزل البـيـان سـرىّ

* * *

لست أو فـيـه حـقـه . إنه حـ | ـق بيـانٍ عن البـيـان غنى
وارث الأصمعى فى لغة «الضـا | د» وفى الشـعـر وارث البحترى
والأديب الذى لـه فطنة المصـ | ـرى زانت سليـقـةَ البـدوى
والمربّى الذى تعـهّـد جـيـلا | عــهـدَ علم منه وعـهـد رقىّ
وأخـو النشـأتين شـرقـا وغـربا | من قـديم باقٍ ، ومن عـصـرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير .

(1) كان فقيد اللغة والأدب - على الجارم - عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها لجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شـــهــدناه فى شـــواهد نص ورأينـاه فى مـــمعـــــــارض رأى
وسطًا غـــيـــر ممعن فى وقـــوف عند مـــاض ، أو ممعن فى مـــضىٍّ
قـائلا ناقـلا ، سـمـيـعًـا مـجـيـبًـا حـسنُ تبـيـانه كـحـسن الصـغىّ

ذكـرى إبـراهيـم(*)

أَقِـــيْـــمُـــوا الوزْن أوْ مِـــيلوا فـــمـــا (آبراهيمُ) مَـــجْـــهُـــولُ
فـــتىً مـــيـــزَانُه بالْقِـــسْـ ـــطِ عـنْـدَ الله مَـكْـفـــــولُ
لـــهُ فـــى كـــلِّ تَـــاريـــخٍ مِـنَ المْجْـــــد أَكـــــالِـيـلُ

* * *

سَـلـوا الأَوْطـانَ يـنْـبــــئكـمْ بمَـا يـعْـلـمُـــــــه الـنِّـيـل
يَحـــيِّى ناصِـــرَ الْمصـــرِ ىِّ ، والمِصْـــرِىُّ مَـــخْـــذُولُ
وَأَوَّلُ رَافِـع صَـــــوْتًـا وسَـــيـفُ الحَـــرْبِ مـــسْلولُ
وَلِلمــحْــتلِّ فى مِـــصْـــرٍ عـلـى كـلِّ فَـم غُـــــولُ
لـه فـى بـرِّهَـا جَـــيْشٌ كـــجـــيش النَّملِ مـــوْصـــولُ
وَفِـى الـبــحـــر أَسَـــاطيلُ وفـى الجـــوِّ أَبَـابـيـلُ
إِذَا لـمْ يَـنْـعَـــهُ الأحـــيـــا ءُ ، والـدُّنـيـــا أَبَـاطـيـلُ
نَـعَـــاه فـى (الـعَـــزِيـز يَّـةِ) مَـــدْفـــونٌ ومَـــجـــدوُل
وجـــيـلٌ فى حِـــمَـى التَّـــا ريخ ، لا يُشْـبِــهُـهُ جـيـلُ

* * *

سَلُوا الآدابَ يـنْـبــئكـم بـه الـصـدَّاحَـــةُ القـــولُ
يُرَدِّدُ ذِكـــرَهُ فى الشِّـــعْـــرِ تـســبــيحٌ وتـرْتـيـلُ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقى أباظة .

ويهْتِفُ باسْمِهِ فى القَوْ ... لِ مطبُوعٌ ومنْقولُ
وَيَحْمَدُ فَضْلَهُ فى العُرْ ... بِ مَنْسُوبٌ ومَدْخُول
فَلا الماضى بمنسِىٍّ ... ولا الحاضِرُ مَعْزولُ
وراعِى الشِّعْرِ لا يَنْسَا ... هُ مرعِيًّا مِنْهُ مطْولُ

***

سَلُوا الإحْسَانَ والإحْسا ... نُ طبْع فيه مَجبُولُ
وأقربُ شأوِهِ فى الجُو ... دِ مشروبٌ ومأكولُ
وأيسَرُ جُودِهِ بَادٍ ... لمرْأى العَين مَسْئولُ
وكم أعْطى ولم يُسْألْ ... وبعض السُّؤْلِ مَمْطُولُ
وبعْض النَّاس قد يَمْحُو ... نَدَاهُ القالُ والقِيلُ

***

سَلُوا الأحْسَابَ لا عِزٌّ ... يُدانِيها ولا طول
وللأسْبَادِ والأشْبَا ... ل منْ أعلامِها غِيلُ
ذَوُوهُ منْ بنى مِصْر ... هم الغُرُّ البَهاليلُ
ومنْ أحسابه كسْبٌ ... بمسْعَاهُ وتحصيلُ
بِرَأْى زَانَهُ فى القَصْد ... إجْمَالٌ وتفصيل
وصَبْر راضَ دنْياهُ ... وراضَتْهُ العَرَاقيلُ
سَلُوا سيرتَه الحفلى ... وللسِّيرَة تسْجيلُ
سَلُوا (الشَّلال) والمجْرَى ... من القُطْرَيْن مَفْصُولُ
لَتَمَّ القربُ لوْلا قا ... عِدٌ بالشَّرقِ مَشْلولُ

***

خصال كُلُّها نُبْلٌ ... وأفضالٌ وتفضيلُ

وذِكْــــرى كُلُّهــــا حَــــمْــــدٌ وتشْــــــريفٌ وتبْــــــجِــــيلٌ
فــــــــقــــــدْناهُ ونَادِى الــرّأْ يِ فــى الـقـطْـرَيْـن مَــــــأهُولُ
فــــلا يَبْــــعُــــدُ المثــــوَى ومَــــثــــوَى الخَــــيــــرْ مَــــأهولُ
لــــهُ مِــــنْ بِــــرِّهِ أنْــــسٌ وشــــمْلٌ ثَمَّ مــــشْــــمُــــولُ
ومِنْ سِــيــرته الفــيْــحَــا ءِ ، تَــرْويــحٌ وتــظْــلــيــلُ
لــهُ فــى مــنـزِلِ الـرِّضْــــــوَا نِ تــسْــلــيــمٌ وتــنــزِيــلُ
وأَجْــــــــــــرٌ مِــنْ ثَـوابِ اللهِ عِــنْــــدَ اللهِ مــــقْــــبُــــولُ

شيوخ الشيوخ(*)

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى يومًا بلقياه ، فى قومى ، وفى سكنى
هناك فى الركن من مشتاه معتصما على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت على المطايا وأعيت حيلة السفن
«حسب الصديقين بُعد الأرض بينهما» على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقى إلى يوم يقربنى من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمّرَها قربًا من العهد ، أو قربًا من الدِّمَن
يحج سعيًا إليها فى أماكنها أو ساعيًا ممعنًا فى ساحة الزمن
منازلُ الوحى ما زالت مَثابتَه فى الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره ولاونى عن فراغٍ بالنفوس ينى

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكَل الحق كم أحييت من أثر | وكم نشرت ، وكم أبقيت من سنن
ذكراك يا باعث الذكرى مخلَّدة | تبقى مع الذكريات الغرّ فى قرن
حقٌ على ذمم التاريخ تحفظه | لحافظ ذمَّ التاريخ مؤتمن
أحييت سيرة من يُحيون منصفهم | من كل عالٍ بتشييد العلا قمن
هم الكرام وقد أحسنت مدحتهم | مكرّموك بحمد منهم حسن
عش فى صحابتهم من معشرٍ شرعوا | للناس شرع وفاء السر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كم أبدعت من صور | وكم رفعت ، وكم نكّست من وثن
وكم لمصر بما أرسلتها قصصا | من متحف عامر بالآهلين غنى
من القُرى فيه ألوان مشخصة | كما عهدنا ، وألوان من المدن
من يلقها يلق تاريخًا لحاضرنا | وحبذا حاضر التاريخ للوطن
يكاد يعجب رائيها على كثب : | إنى أراها ، فسلها كيف لم ترنى
تلك التماثيل من خلق الحياة كما | يوحى بها وحىٌ باريها إلى الفطن

* * *

يا هيكل البيعة العليا بعقوتها | ويالها بيعةً مهضومة الثمن
قامت على بحرها اللجىّ تحسبها | جسرًا على شاطئيه غير متزن
تهب من فوقها هوج الرياح ولا | تقر فى جوفها الأمواج كالقُنن
وأنت والسادنوها الصيد فى نفر | حاروا بها بين مغلوب ومضطغن
تهز كرسِىّ فاروق وأنت ترى | كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
تركتموه معرى فى مباذله | كأنه جيفة فى قبرها العفن
يختال فى طيلسان الظلم مزدهيا | وإنما اختال قبل الموت فى كفن
وما تعثر فى عقبى مساوئه | إلا ليومٍ له فى الغيب مرتهن

* * *

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله — شمل الأقارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم — غداةَ فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأى أقواماً على ثقة — وحاربوك ، وما بتم على دخن
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره — إلا كخبرة فنان به طبن
وإنما الود طبع فيك ليس به — سمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها — من يحمد الفضل موفورًا بلا غبن
قوم بما ضيهمُ فى الشرق قد حفلوا — والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا — عرفًا لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمرًا — كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت — جامعةٌ قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة — وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ (*)

ارفعوا ذكره عليا مبينًا — إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظٌ فى ثراه لم يفتقدنا — وافتقدناه نحن حينا فحينا
من مضى فى غنى عن الحى والحـ — ـى الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قومٍ — فهو موت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا — ونقّى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا — لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر — صيحةً منك تملأ العالمينا
هاتفًا بالرجاء يوما ، ويوما — هاتفًا بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا — وتواسيهمو شجيا حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء — أو تواريت بالوفاء خؤونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب — لم تكن فيه خانعًا أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قـــام لـلضـــمــــائر ســـوق لـم تكن من تِجَــارها النافــقــينا

ربَّ قـــوم تنقّــصـــوك مــراءً ربحـــوا وانثنيت أنت غــبــينا

خـــيـــر أبطالنا الذين تخــيّـــر ت مـن الأولين والتـــابعـــينا

الإمـام «ابن عـبـده» من بنى جـيـ ـلك وابن الخطاب فى الأقــدمـينا

لا تدانيـــهـــمــا بدعـــواك لكن باعـــتـــراف القـــصـــور دنيـــا ودينا

أنت أتقى ممن يجــاهر بالتـــقـــو ى ويأبى فى الســـر إلا مـــجـــونا

رب جـــمع تفـــيـــهق الغِـــر فـــيـــه وتحـــدى بالظن منك اليـــقـــينا

كلمـــا قـــال قـــولةً فى رســـول صـــحت : يارب اخـــز هذا اللعـــينا

«احـــســـبـــونى مع العـــجـــائز دينا ليس هذا الجـــدال إلا فـــتـــونا»

رحم الله منك قلبـــا سليـــمــــا وضـــمـــيـــرًا بَرًّا وروحـــا أمـــينا

* * *

ثم قـــريرًا صنّاجـــة العـــرب الصـــيـ ـد وعُـد فـــيـــهــمـــو لسانا مـبـينا

كلمـــا جـــددوا لذكـــراك عـــهـــدا عاد عـهـد الفـصـحى جديدًا مصونا

حـــافظًا أنت كنت للضـــاد لما عـــقّـــهـــا أهلهـــا وظنوا الظنونا

أين فـى المنكرين من ليس يروى لك قــولا جـــزلا ونســـجـــا مـتـــينا

ودليــــلا على غـنـاها إذا مــــا سـامـهـا الفـقـر معـشـر مفلسـونا

بين شــــعــــر له رنين ونشـــر يشـبـه الشـعـر فى السـمـاع رنينا

لم تكن حـصتى من الحـفل نظمـا لا ولا قلتـــه بوعـــد مـــدينا

غـــيـــر أن المزار شط بحـــاد ود لو كـان حـاضـرَ الصـوت فـينا[1]

وعـــجـــيـــب إذ يشـــهـــد الفن ذكـ ـراكَ من الشـعـر وحـده أن يبـينا

وجـــمـــيل إن صح عـــذر لدينا أن ترانا لـديك مـــعـــتـــذرينا

فـــخـــذ اليـــوم حـــقك حـــمـــدًا أنت بالحـــمـــد مـــا برحت قـــمـــينا

وقليل وفـــاءُ قـــومك يومـــا لامـــرئ دان بالوفـــاء سنينا

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء تحية الشعر فى الحفل ثم برح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر (*)(1)

خبر السّباق للخير عضّ من أخبارنا الأخَر
شَغَلَ السمّار عن سمر وطوى الآفاق فى البُكر
فاجئٌ كالعهد وا آسفا لم يكن يومًا بمنتظر
صادقٌ كالعهد وا آسفا .. ليته من كاذب السير
قيل فى الأهرام مرثية قلت : حقٌّ من فم القدر
قيل «جبرائيل» طاف به يومه فى ضحوة العمر
صفحة بيضاء تعلنها صفحة سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت عبرةً من صادق العبر

* * *

إن بكاه الشرق لا عجبٌ بعض ما أولاه من غُرر
سار بالشرق الوئيد على خطو «أوربا» ولم يَجُر
نحن ، إلا فى صحافتنا دونهم فى الخبر والخبر
فإذا عُدّتْ صحافتنا لم نكس رأس معتذر

* * *

زفع الأهرام فارتفعت فى مدار الأنجم الزُّهُر
لو غلبنا غلبوا نازعتهم كلّ منتَشر
ولسارت فى مغاربهم كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورق نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها فى الثبات وإن سار بين البدو والحضر
كل يوم فى الصباح له ظَفر ناهيك من ظفر
فى ركاب الشمس يشبهها فى جلاء الشك والحيَر

(*) أهرام الورق ، وأهرام الحجر : بعد الأعاصير .

(1) قيلت فى رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفى على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجمع الدنيا ويبسطها ... بين مدّ السمع والبصر
أم شتى تحدثنا ... بلسان العرب من مُضر
كل قطر فهو نائبه ... زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه ... وملبّيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا ... فى عنان الطول والقصر[1]
تحسب القرطاس مختصرًا ... فى يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه ... لم تدع شيئا ولم تذر

* * *

يا شريك العالمين له ... غير مبخوسين من صغر
قُسَماء الرأى ، ما اقتسموا ... -باختيار منك - فى ضرر[2]
أنت فى الأعباء أكبرهم ... ولهم ما شئت من كبر
من رآكم راح يسأل عن ... آمرٍ منكم ومؤتمِر
تُجزل الحسنى لمحسنهم ... وتسجّى طرف مغتفر
حزنُهم ، والخطب يغلبهم ... بين مرتاع ومصطبر
حجةٌ بيضاء أبلغ من ... مُبلغٍ فى القول مقتدر

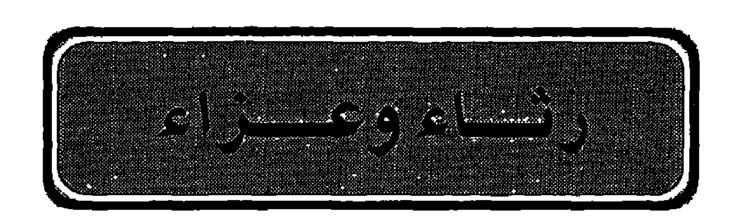
* * *

وحى جبرائيل متصلٌ ... بين حلٍ منه أو سفر
ليس ينأى فى السماء ولا ... فى مدى الأحلام والفكر
خلفاءٌ منك مَن حملوا ... عنك عبء السعى والسهر
خلفاءٌ منك كل فتى ... قارئٍ من هذه الزُمر
وتَوسّم فى «بشارة» ما ... شئت من دخر لمدّخر
إن هذى الغاب منجبةٌ ... غَنيت بالأسْد والشجر
سوف تحيا باقى الأثر ... خالد الأعقاب والذّكَر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات فى أيام الحرب العالمية .

(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين فى الرأى والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .


رثاء وعزاء

رثاء طفلة (*)

زهرةٌ كـــان وجـــهــــهـــا　　نـــور قـــلـــبـــى ونـــاظـــرى
حـــملتـــهـــا يد الردى　　حـــملَ من لـم يحـــاذر
فـــتـــــوارت ولـم يزل　　عَـــرفُـــهـــا(1) ملء خـــاطرى

* * *

ياضـــيـــاءً تضـــمنتـ　　ــه بـطـون الـديـاجـــر
قـــد أَجنُّوك فى الثـــرى　　يا جنين الضـــمـــائر
فـــالزمى الرمس حين لا　　حلْمَ فى عين باصـــر
فـــإذا أقـــبل الدجى　　وغـــفـــا كل ســـاهر
فـــاطرقـــينا مع الكرى　　حلمـًــا غـــيـــر نافـــر
وصلى عـــيـــشك الذى　　كـــان أحـــلام ســـادر(2)
وامـــرحى فى صـــدورنا　　واضـــحكى فى الســـرائر
ثم عـــودى إذا الصـــبـــا　　ح تجلى فـــبـــاكـــرى
إنّ صـــعـــبًـــا على الصـــغـــا　　ر احـــتـــبـــاس المقـــابر

عزاء الأستاذ وجدى فى والده (*)

أمـــــولاى رزؤك لا يجـــــهـــل　　وصـــبـــرك فى الرزء لا يخـــذل
ومن كـــان يعلم كنه الحـــيـــا　　ة فـــالصـــبـــر من مـــثله أجـــمل
إذا كـــان كل امـــرئ راحـــلاً　　فـــأفـــضـلنا الراحـل الأول
وأدنى مـــصـــاب الفـــتى للعـــزا　　ء مـــصـــابٌ بكل امـــرئ ينـزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .

(1) رائحتها .

(2) غافل .

(*) عزاء الأستاذ وجدى فى والده : الجزء الأول .

عزاء المازني(*)

يا صديقي ، وما علمتك إلا ... راضيًا بالأسى رضاء الجليد
إن تكنْ قد رزئت بنتا فمما ... قد تعوَّضت من بنات الخلود
لا تبت آسفًا عليها وهبها ... وردة والربيع عمر الورود
ربما عوفيت وأنت عليم ... من حياة تودى بكل وليد

رثاء أخ(*)

. . . .

يا راحلاً صدع الحمام شبابه ... فعلمت كيف تصدُّع الأكباد
إنى لأحسبنى أراك مجاهدًا ... والنيل حولك دائم الإزباد
وأراك ترمقنى وقد غلب الردى ... وأقام جند الموت بالمرصاد
فى ساعةٍ ما كان أغفل خاطرى ... عما عراك وفتّ فى الأعضاد
أمسيت رسمًا فى التراب معطلا ... وغدوت نصب روائح وغواد
ويحى ! أترقد تحت أطباق الثرى ... وأقيم بعدك هانئًا برقاد
أتبيت رهن صفائح وجنادل ... وأبِيتُ بين وسائد ومهاد
لو أنصفت أيامنا لبكيتنى ... لكنها تجرى بغير مرادى

. . . .

يا زهرة شرقت بما تحيا به ... فذوت وأورق شوكها بفؤادى
إن الحياة - وما حييتَ لكى ترى ... سر الحياة - كثيرة الأضداد
فلئن عدوت من الحياة نعيمها ... فلقد عداك شقاؤها المتمادى

(*) عزاء المازنى : الجزء الأول .

(*) رثاء أخ «توفى غريقا» : الجزء الأول .

على قبر أخ (*)

أيها القبر فيك غصن رطيب … قصفته المنون قبل أوانه
مثل ما تعبث السموم بزهر … عاطر ناضر على أغصانه
بنت يا مصطفى وما بنت على قلـ … ـب كسير يذوب فى أشجانه
كان أحرى بك الديار من القبـ … ـر وثوب العروس من أكفانه
سوف ألقاك فى الثرى عن قريب … كلٌّ حىٍ موكل بزمانه

إلى الصديق الراحل (*)

نظمت فى رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعى» يوم وفاته

غاية الحى ساعة من زمانه … ينتهى عندها مدى جثمانه
طُويت صفحة السباعىّ فينا … وهو طاوى الطروس فى تبيانه
مُسمِح النفس فى الحياة تولَّى … مُسمحَ النفس فى الردى قبل آنه
لم يطامنْ لصرعة الموت رأسا … مَنْ صراع الحياة لهو رهانه[1]
ذاقها صابرًا وساغ مُريرا … من جَنى دهره ومن إنسانه
وتأسَّى ، ومثله من تأسى ، … ضاحكا من كرامه وهجانه
فتنته غواية الأب الحـ … ـر فأودى بقلبه فى افتتانه
وثنى راحتيه عن خفض عيش … كان حينًا أقصى مُنى أقرانه[2]
ما أراه على الحياة حزينًا … بعض حزن الصحاب يوم احتجانه[3]
يا سليم الفؤاد فى باطن الرأ … ى سليم الفؤاد فى إعلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحى الأربعين .

(١) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد فى سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(٢) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما فى الماضى ولكن السباعى رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(٣) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مـرض الدهر فـامض عنه مـعـافىً — من أكـــــاذيبـــــه ر ن أدرانـه
أنت خـدن الكتـاب ، والموت سـفـرٌ — صــــدقُـــــه ظاهرٌ على عنوانه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته (*)

أبـكـاءٌ وحـــــافـظٌ فـى مـكـان ؟ — تلك إحــدى طوارق الحــدثان
كنتَ أَنسًا ، فكيف أمسيت يا حا — فظ تَدمى لذكــــرك العـــينان
كنت تتلو الرثاء ، مـعنى فـمـعنى — كـيف أمسيتَ بعض تلك المعانى !
كنت أعلى الجـمـوع صوتًا فـهـلاّ — نطق الآن صــوتُ ذاك البـيـــان
وعــــــزيزٌ عـلـى بـلادك أن تـذ — هب يوم انبــريتَ للمـيـــدان
يوم اطلقتْ من أســارك حــرًّا — وأبـيـتَ الإســـــار لـلأوطـان
يوم أرسلتــهـــا على ظالمى الأو — طان طعـــانةً كـــحـــد السنان
ألهم الله مـــصـــر فـــيك عــزاءً — لا بل العُـرْبَ فى شـفـيع «اللسان»
كلمـا صـائر كـمـا صـرت يومـا — والذى قـــد صنعت ليس بفـــان

نصيب الحى والميت (*)

يا صـــديقى لنا البكاءْ — ولـك الموت والســـــلامْ
عـنـدنـا الـنـور والـعـنـاء ! — عـنـدك الـنـوم والـظـلام!
لـيس يـأسـى أخـــو فـنـاءْ — بـل أخٌ بـعـــده أقـــام

* * *

أتبعُ الصـحب فى القـبـور — ببـكـائى ومـــا اهتـــديتْ
أنا لو دام لى الشــعـــورْ — بعـــد مــوتى لما بكيتْ
عــــالمٌ كـلـه غـــرور — عشتُ ما عـشتُ أو قـضـيتْ

(*) على قبر حافظ يوم وفاته : وحى الأربعين .
(*) نصيب الحى والميت : هدية الكروان .

هالكٌ كلُّ ما يكون ... تستوى النفس والصفاة
فلمن تحصد المنون ... ولمن تزرع الحياة ؟
بدأت حكمة الجنون ... وانتهت حكمة الهداة

* * *

الأستاذ غانم (*)

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحمه الله وهو فى عنفوان أيامه ، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات .)

أكان وداعا يوم صافحت غانما ... وهنأته بالعيد ، والعيد يسخر !
فياويح للداعين فى غفلة المنى ... يرجّون طول العمر ، والعمر مدبر
وياويح للأبناء يا خير والد ... وقد رُوّعوا فى ومكرهم حين بُشّروا
أذاك صباح العيد أم أنا سامع ... صياح يتامى فى الحمى تتفطر ؟
تلاحق فى تلك الثغور كلاهما ... فياهول ما نصغى إليه وننظر
وددت وقد ضن البشير بصدقه ... لو آن نذيرًا بالمساكين يعبر
أغانم إنى فى مصابك ذاهل ... قليل التعزى سافر الحزن مضمر
بذلت دموعى فى بكاك رخيصة ... ومثلك من يبكى ويرثى ويذكر
أفى كل يوم تبصر العين غانما ... ومن أين ؟ والأخلاق فى الناس تندر
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه ... أخًا فى وغى الأيام لا يتقهقر
وفيّا إذا شاع الوفاء وإنه ... عليه ، إذا عز الوفاء ، لأقدر
كريما إذا صال العداة وزمجروا ... كريما إذا خان الصحاب وقصّروا
صبورا على ضر الغريم وإنه ... على الضر من ظلم الصديق لأصبر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد : عابر سبيل .

ضليعا بأعباء الأمور إذا ونى مدبر أمر أو أساء مقدر
أخوك «أمين»[1] فرّق العام منكما صفيين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما فليتك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما وحمد المعالى والثناء المعطر
ولا زال فى دار المعارف منكما صنيع على الأيام يروى ويشكر

رفيق الصبا(*)(٢)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعيننى وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت فى قنا وارعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشتنشد الأشعار فى كل ليلة ونطلب فى كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً على الأرض إلا كى يقولَ ويخطبا
ونحصى على الدهر البرىءِ ذنوبه وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت استحيى الشبابين فى قنا وجدتك رسمًا فى التراب مغيّبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارُه وأذريت دمعًا عن قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبّب إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو فى ذِكرى فتى العمرينطوى كما طوت الأسقام شيخًا معذّبًا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى ورب فتى فى الردى فات أشيبا
وسيان فى عقبى الطريقين من مشى على عصويه من عياءٍ ، ومَن حبا

(١) الأستاذ أمين لطفى وقد توفى أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .
(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .
(٢) رثاء الصديق حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

عهدتك فى شرخ الشبا ناضر الصبا ... وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره ... ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاقَ حسين أبِّنوه وأطنبوا ... فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا ... وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى ... ولا يذكُر الإخوان إلا تحبُّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا ... وإن قصّر المسعى بدنياه . أونبا
إذا استمرأتْ مرعى الخيانة أنفسٌ ... تحرَّج منها مُعرضًا وتحوَّبا
وكان عزيز النفس فى غير جفوة ... ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا
وكان سميرًا يملك السمع كلما ... تبسّط فى أسماره وتشعَّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة ... ويؤثر فى الآداب من كان معربا
أليفا وفيا لا يفارق صاحبًا ... ولا منزلا إلا انثنى فتقرَّبا
أحبَّ قنا واستعذب العيش فى قنا ... فلم يُغره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه ... لما ذكروا إلا الوفىَّ المهذَّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا ... رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى ... مكانًا من الجمع القنائىّ مكثبا
كأنى وقد فارقته قبل يومه ... سمعت له نعيين يوم تغيبا

* * *

إذا مارثى المحزون إلف شبابه ... رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا
وودع من عهديه فى العمر قِبلةً ... أخفٌ على الروّاد زادًا وأرحبا
إذا جازها أودى بمختار عيشه ... ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبا

أليف الصبا لا تشك فى الموت وحشة فما زال ركب الموت أحفل موكبا

تعاقبت الأجيال تحت لوائه وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا

وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ من الزمن الماضى تلاقت لتذهبا

عليك سلام الله حتى يظلنا سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعى حافظ

كلُّ خطب دار فى خلدى غير خطب فتّ فى عضدى

نعيُ من قد كنت أحسبه بعد يومى ، باقيا لغد

حافظٌ يُنعى إلى ؟ لقد غلطت دنياى فى العدد

ساء ذاك النعى من بدَل كان من لقياه فى بلدى[1]

* * *

الشهيد معاوية(*)

(. . . احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوض الله الأدب فيه خير العوض وعزى الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ فيالك من ذكرى على النفس قاسية

أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية

فِما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى أصائله فيها ، وأشقى لياليه

وما أضيع الآمال آمال من رأوا مطالعه فى مشرق النور عاليه

ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

(١) وصل نعى الأستاذ حافظ جلال إلى صاحب الديوان وهو فى بلدته أسوان منتظرا قدومه إليها للاستشفاء .

بكائى عليـــه من فـــؤاد مـــفـــجّع ... ومن مـقلة مـا شـوهدت قط باكـيـة
بكائى على ذاك الشـبـاب الذى ذوى ... وأغـصـانه تخـتـال فى الروض نامـيـة
بكائى على مـا أثمـرت وهى غـضـة ... وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فـضـائل منهـا نخـبـة أزهرت لنا ... لمامًا ، وأخرى لم تزل فيـه خافيـة

* * *

تبـــينت فـــيـــه الخلد يوم رأيتـــه ... ومـــا بان لى أن المنيـــة آتيـــة
ومـــا بان لى أن أطالع ســـيـــرة ... خـواتيـمـهـا من بدئها جـدّ دانية
وأن اسـمـه الموعـود فى كل مـقـول ... سـيـسـمـعـه الناعـون من فم ناعـيـة
أجل هذه ذكـراه يا نفس فـاذكـرى ... فـجـيـعـتنا فـيـه ، ومـا أنت ناسـيـة
أجل هذه ذكـــراه يا عين فـــاذرفى ... عليـه شـآبيب[1] المدامع دامـيـة
إذا قـــصـــرت أيام من نرتجـــيـــهمُ ... فيـاطول حزن النفس والنفس راجـية
ويا طول حـزن النفس وهى منيـبـة ... إلى اليـأس من عجز بها ، وهى آبية
فـــيـــايوم ذكـــراه سنلقـــاك كلمـــا ... رجـعـت إلينا والضـمـائر صـاغـيـة
ويا عـــارفـــيـــه لا تضنوا بذكـــره ... ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعـــيـــروه بالتـــذكـــار مـــاضنّ دهره ... به عـيـشـةً فى مـقـبل العـمـر راضية
وزيدوا النفـــيس النزر من ثمـــراته ... بتكرارها فى القلب أولى وثانيـــة
فـإن لم تكن فى العـد كثـرًا فـباركـوا ... مـعـانيـهـا حـبًا ، ووفّـوا مـعـانيـه
عليــــه ســــلامٌ لا يزال يعــــيــــده ... ويبــــديه شــــاد فى الديار وشــــادية

يوم إبراهيم(*)(2)

عـــجـــبى لأحـــداث الزمـــا ... ن ، وكـم رأيـت وكـم رويتْ !
أولى الفـــجـــائع باتقــــا ... ئى ، لـم يكـن مما اتقـــيتْ
مـــــا دار فـى خلـدى ولا ... فكرت فيـه ، ولا احتـمـيتْ
لما نعـــوه حـــســـبـــتـــه ... فى الأرض لم يسبقه ميتْ

(1) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .

(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .

(2) الشاعر الناثر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (1949) .

يـا يوم إبراهيـم حـــــــسـ ـبى من لقـائك مـا التـقـيت
لـم أنــتــظـرك ولـــست أذ كـر فى غـد كـيف انتـهـيتْ
لـــوددت أنـــك يـــا أخــى فى الناس آخـــر من رأيتْ
هل فى الـبـــريّة صـــاحب أُبقى عليـه ، وقـد مـضـيت
مـــا بعـــد نعى النفس من حـزن يطاق ، وقـد نعـيتْ

أخـى إبراهيـم(*)

أمـــيـــر بلاغـــة وأمين نقـــد ورب رسـالة ، وبشـيـر عـهـد
وذو قلم كـغـصن الروض يُهـدى جناه أو كـحـد السـهم يُردى
أديب راض أفــذاذ المعـــانى علـى ألـفـــاظـهـــا نـدا لـنـدّ
لـه لـبٌ يـتــــرجم كـلّ لـب وينقل عنه مـا يخـفى ويبـدى
ملىء القلب من ثقـــة وحب برىء الصـدر من حـسـد وحـقـد
أراح الحـاسـدين ، فـإن تحـدّوا له فـضـلا ، أعـان على التـحـدى
إذا اقـتـتلوا على الجـدوى رمـاهم بقـول أبى عـلاء «غـيـر مُـجـد»
وتحـسـبـه اسـتـراح إلى سـبـات ويسـبق غـايةً اليـقظ المُجـدّ
فـسل عنه شـعـاب «الضـاد» تعلم مناهل فـيـضـه فى كل ورد
إذا عـنّ المـصـــاب بـه فـــويلٌ لفـرد خـصّـه بمصـاب عِـدّ(1)

* * *

وقـالوا «المازنى قـضى» فـضلّت مـقـاصـد قـولهم ، أو ضل رشـدى
كـأنّ حـديث مـازعـمـوا خـيـالٌ بعـيـدٌ فى الحـقـيـقـة أىّ بعـد
إذا عينٌ غـفت فـاعـجب لأخـرى من العـينين عـالقـةٍ بسـهـد

* * *

صـحـبنا العـمـر عـامًـا بعـد عـام على الحـالين من ضنك ورغـد
وبـين تعـهّـد منه ومنـى وبين تبـسّط منـا وجـد
وغـيّـرت الحـوادثُ كلّ عـهـد سـوى مـا بيننا من عـهـد ود

(*) أخى إبراهيم : بعد الأعاصير .
(1) أى مصاب كثيرين .

إذا أخـــذت مـــذاهبنا وردّتْ أمـنّا نحن من أخـــذ وردّ
ولجمـد فى العشية ملتقانا إذا ذهب النهـار بكل حـمـد
وأرحب ما تلقّانا اجتماعٌ على شـملين من أدب ونقد
هى الآفــاق عـاليـةٌ ذراها على مـا ضاق من غـور ونجد
رأينا كلّ صـادعـة فـزالت .. أيصـدع مـا رأبنا شقُّ لحد !

* * *

. . . .

نمينا شـعـرنا صنوين حـينا فكيف رثاؤه بالشـعـر وحدى
وجـاوزنا السـهول معًـا فمـاذا ستجدى فى الوعود جهودُ فرد
إذا ثقل الشـبـاب ، ولى زميلٌ فيـابؤس المشيب المستـبـد[1]
حـيـاةً إن تطلْ فـالويل ويلى وإن تقصر فقد أُبلغتُ قصدى
سـلامًـا أيهـا الدنيـا سـلامًـا لأنت أحبُّ لى لو عـاش بعـدى

عـــزاء(*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقى ،
فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات :)

أخى ، منذ أعـوام تلألأ مسكنى وشـاع به ضحك الرضا والتَّيمّن
لقد كان عرسى يومذاك ، ومولدى بكون جـديد من هوىً وتحنن
أخى ، تلك أعيادى وأعياد زوجتى ومـا حلّ منها العيد إلا ذكرتنى
وأرسلت لى فى كل عيد مهنئا وباركتَ لى فى جنتى وغـبطتنى
مضت هذه الأعياد من غير وجعة وهذى مرائى زوجتى اليوم فارثنى

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزياً :

أخى ! مـا عـزائى أن أهوّن فاجعًـا أراه - وإن لم أبْلهُ - غـيـرَ هيّن
ولكن عـزائى هذه الحـرب زلزلت قلوب بنى حـواءَ فى كل مـأمن

(١) استبد بالسير : انفرد به .
(*) عزاء : بعد الأعاصير .

ولكن عـــزائى هذه الـفـــتنة التى — أطاشت رؤوس الخلق من عاش أوفنى
ولكـن عـــزائى هذه الأرض علّمت — بنيـهـا هوان العـيش علمَ التّـيـقّن
قـضـاءٌ علينا فى الحـيـاة فـراقنا — لأحـبـابنا حـيث التـقـينا بموطن
فـجـيـعـتنا فـيـمن نحب بديلهـا — فـجـيـعـتـهم فينا ، ومن يبق يُغـبَن
فـلاترضَ للأحـبـاب غـبنًا يؤدهم — وليس الرضـا فى الحـالتين بممكن
ألا هان عـيشٌ لا يزال خـيـاره — لن يرتجيـه شـاكـيًا : مُتْ أو احـزن

* * *

أخى ! هذه الدنيـا وهذا عـزاؤها — قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
ومـا أحـسـب الإيمان إلا حـقـيـقـة — فـلا صـبـر فيـهـا لامرئٍ غـيـر مؤمن

نعـى كـاذب(*)

لقـد كـذب الناعى وأنعمْ بكذبه — فـلا صـدق الناعون يومًا ، ولا همـوا
فـزعتُ لخطب الموت والموت واحـد — فكيف احـتـمالى فيك موتين يا أمُّ

صـادق بعـد حـين

سـرى نبـأ لا يهـاب الظلامـا — ولا يتــقى يقظة أو منـامـا
يقينٌ ومـا خلتـهُ باليـقـ — ـين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فـراقك يا أمّ لم أحـتـسـب — لـه بـغـتـةً أو نـذيرًا ترامى
ومـا روّضـتـنى له الحـادثا — ت ، وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
كـأنى ادّكـرتك لى مـولدا — فلم ادّكـر لك يومًـا حـمـامـا
حـسـبت الأمـومـة أخت الدوا — م ، وخـادعتُ ظنى عليـهـا دوامـا
وأفـحـمنى فـيك خطب النّعـ — ـىّ ، وفى غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعـجّب قـوم لشـيخ بكى ... — أكـان المشـيب لدمـعى فطامـا ؟
وأمٍ لما دون عـشـرٍ تعـ — ـزّ فـراقـا فكيف لسـبـعين عـامـا

(*) نعى كاذب : وحى الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّـــتـــا
لقـــد هان يوم سكنت الرغـــامـــا
ومـــا أرخص النور لما غـــلا
على مـــقلة لا تطيق السّـــوامـــا
خـــلا الكون منك فـــمـــاذا أرى
من الكون بعـــدك إلا ظلامـــا
فـــيـــا هولهـــا من قـــفـــار ترك
ـت ، ويا شد ما قد عرت الرّجاما
تلاقَى ذَوىّ ببطن الثـــرى
فـأنعم بحيث أقـامـوا مـقـامـا
لأجلك كنت أخـــاف الخطو
ب ، فما الخوف بعدك إلا سلاما

آخر الخطباء

أسـمعت جـهدك يا نعىّ وهيب[1]
إن السـميع اليوم غـير مـجيب
اليـوم يصـمت من كـرام لداته
فى مـصـر ، آخرُ قـاتلٍ مـوهوب
اليـوم غـاب بقيـةٌ من مـعشـر
أذنت منابرهم بطول مـغـيب
تلك المنابر ودّعت فـرسـانهـا
من كـلّ ذى لسَـن وذى أسـلوب
لا نسـمع الفـصحى على أعـوادها
سـحـرًا لأسـمـاع لنا وقلوب
كـلا ولا يهـتـز مـوقع شـدوها
إلا لصـوت طارق بنعـيب
خطبٌ ولكنْ مـا له من خطبـة
«قطعت جـهيزة قول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ فى العـارفين خطب «حسين»
رجل الفـضل والنهى والسـداد
الطبـيب اللبـيب ، يرحـمـه اللـ
ـه . لقـد كـان رحـمـةً للعـباد
مـا استبد السـقـام إلا شـفـاه
باجـتـهـاد من طبـه واقـتـصـاد
كـيف يعـدو عليـه عـادى المنايا
وهو يثنى من غـربهـا كل عـاد
لو يُفـدّى من المنيـة حىٌّ
حق فيـه الفدى على ألف فـاد
«كيف أصبحتَ في محلك بعدى
يا جـديرا منى بحسن افتـقـاد»[2]
يا وفـيـا ، ولا وفـاء بعـهـد
فى اقـتـراب من أهله وابتـعـاد
مـحـيىَ الود للمـغـيَّب فى الدهـ
ـر وقـد مـات فـيـه حى الوداد
عـالىَ الرأس لا تصـيخ لغـاو
راح يكسـو غـيـا بثـوب رشـاد

(١) رثاء الخطيب المغفور له الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعرى .

عـازفـا عن مطامع العـيش كـبـرا ... عن صـغـار الآمـال والأحـقـاد

«همـة» مـثلمـا تسـمـيت تعلو ... عـن منـال الأنـداد والحـسـاد

كم رجـاء زهدت فـيـه ومـا كـا ... ن زهيـدا فى شـرعـة الزهاد

مـؤمنـا بـالإلـه تـعـلـم أن الـطـ ... ـيب علـم ينـهـى عـن الإلحـاد

ليت شعـرى : من كنت تحنو عليـهم ... فى الثـرى ، هل حللت منهم بواد ؟

هـل تـلاقـى روح بـروح ووافـى ... آخـر العـمـر أول الميـلاد :

تلك رؤياك كنت تنعم فـيـهـا ... كنعـيم العـيـان للشـهـاد[1]

كم صـحـبنا الزمـان حلوا ومـرا ... وخطوب الـزمـان بـالمرصـاد

والتـقـينا على الجـوار كـأنى ... آمـن عـنـد حـصنـك المرتـاد

تسـبق النخـبـة الأجـلاء طبـا ... وأرى منـك أسـبـق العـواد

وافـتـرقنا يوم افـتـرقنا على مـو ... عـد لقـيـا ، فكان يوم المعـاد[2]

تسـتـعـيـد السـؤال عنى ولا تسـ ... ـأم نصـحى يومًـا ولا إرشـادى

وأناديك سـائـلا بعـد نأى ... فـيـجـيب النعـاة رجع المنادى

يا طبـيـبى مما يكابد جـسـمى ... وطبـيـبى مما يعـانى فـؤادى[3]

إن حـزنى داء بغـيـر طبـيب ... ونوى طوحت على غـيـر زاد

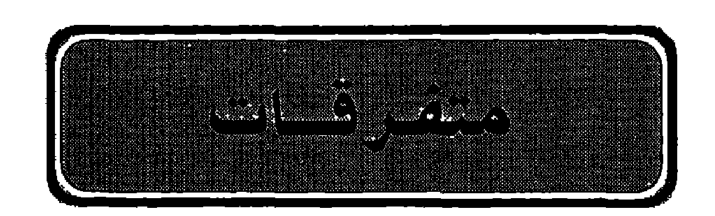
أحـسـن الله يا حـسين اصطبـارا ... فـيك لو يهـتـدى إلى الصـبـر هاد

هل يقـر العـيـون طول سـهـاد ... إن أقـر العـيـون طول رقـاد ؟

(١) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور . وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه . وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(٢) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على نعيه فى الصحف .

(٣) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء . . .» .


متفرقات

الشاعر الأعمى(*)

شكا الشاعر الباكى عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
ويسألهم : هل أومض البرق فى الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر
تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :
«تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهديَه فى فتكة بالجآزر
وترميه فى بئر عميقٍ قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر
وتسلبنى نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضىء سناه مظلمات السرائر ؟
لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعَها عين ترى كلَّ باهر
فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظرى
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عنى حسن تلك المناظر ؟
فها أنا لا جهد الحياة بهاجرى ... أمينًا ولا ريب المنون بزائرى
جمعتُ شقاء العيش فى ظلمة الردى ... فيالىَ من ميت شقى الخواطر
أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر
ومن لى إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائرى
فيا قلب انفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجوه النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس (*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم ... لا يحسدون البَرَّ فيما يؤجر
نقموا على الكفار أن تركوا لهم ... أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات فى ... هذى الحياة لسرَّهم من يكفر[1]

المصور (*)

. . . .

فى طى ريشته وضمن بنانه ... روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى ... ربّا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة ... تجرى على الصخر الأزل فتجمد[2]
معبودةً فيما تحل كأنها ... ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر (*)

إيه يا دهر هات ما شئتَ وانظر ... عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك إلا ... هان بالصبر منه مالا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .

(١) يود الناس أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم فى نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا فى هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .

(*) المصور : جزء أول .

(٢) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذى لا يثبت عليه شىء فهى إذن أولى بالثبات والدوام .

(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان (*)

. . . .

قلت وهل يفهم عن لساني ... «ما بيننا يا ذئب من أضغان

فاذهب إلى وردك في أمان ... لا يحرم الماء على عطشان»

فمرّ يعدو كاشر الأسنان ... وهو ينادينا ولا يداني

حتى وردنا أول البنيان ... على دويّ هائل مرنان

موّارِ ماء ثائر الدخان ... كالنقع قد ثار على الفرسان

مصطفَةً في حلبة الدهان ... قد غلب الصوتُ على الآذان

فبات أدنى الهمس كالأذان ... مستويين ليس يُسمعان

وشرّد النوم[1] عن الجنَّان ... فردّدت صداه في الرعان[2]

وتحسب الماء من النيران ... مندلعًا يقذف بالصوَّان

طرائقا في الأرض ذا ألوان ... كالليث أحيانًا وكالثعبان

مندفقًا منحسرًا في آن ... مرتفعًا منحدرًا سيان

ملتئما منشعب الشغبان ... يبيّض كالمحض من الألبان

مجذذ[3] الرغو على الصُّمان ... قد شنها في تكلم القيعان

شعواء تغرى القوم بالطعان ... وتحفز الخيل إلى الميدان

وتجعل الراضي كالغضبان ... وتبعث النخوة في الجبان

قامت عليها أعين الشهبان ... وارؤس الجبال تشهدان

وكم لهذا الماء من معان ... في قوة البطش وفي الليان

وفي اختلاف الشكل والجثمان ... كأنه يلبس ثوب الجان

فصاعدٌ في الجو كالعقبان ... وسارب في مزحف الديدان

وغائصٌ في الأرض كالشيطان ... ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .

(١) كأن دوى الماء أقلق الجن فقامت تردد صداه .

(٢) أنوف الجبال .

(٣) مقطع أو مفتت .

وطائر البــــخـــــار فى الأعنان كـــالنفس الخـــافى عن العــيـــان
وفــــيـــــه من أمن ومن عــــدوان فـــــهــــــو قـــــوام الـزرع والأبـدان
وهو الوباء الجـــــارف الطوفــــان وهو هو الدنيـــــا لدى الظمــــآن
وهو هو الموت لدى الغــــرقـــــان شـــــارفــــتــــــه والليل شطرتان
فـــمـــا صـــغـــا الليل لصـــوت ثان ولا أمــــال مــــســـمع الأمـــان
ألا إلـى هـاتـيـكـم الألحـــــــان كـــأنهـــا تجـاوب الغــيـــلان
ثُـمـت أدلجـنـا إلـى أســــــوان وفـى طـريق الصــــبـح غلوتان
فــيـالهـا ، ومـا عـدوت شـانى، من رحلة طيــــفــيــــة الأوان[1]

أتــمــنــى(*)

أتمنى يومًــــا لو أن حـــيــــاتى تنقــــضى كلهــــا ولا أتمنى
أتمنى وقــــد أطلت التـــمنى لو تعلمت كــــيف أن أتمنى
أتمنى لو علمـــتنى الليـــالى باطل الأمـــر قـــبل أن أتمنى
منيــة لو تحــقــقت لتــســاوى مـــا تملكتـــه ومـــا أتمنى

* * *

(١) نسبة إلى الطيف والطيف يسرى ليلا والإدلاج هو مشى الليل .

(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

القمة الباردة(*)

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئًا ولم يشعر بشىء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة فى كل ذرة . فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة .)

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوّارة ... ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة بالخلق أو بائدة
قوالب يلتذ تقليبها ... أناس وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبدًا واحدة
وتعلو وتهبط جدرانها ... وأساس جدرانها قاعدة
ويابؤس فان يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة ... وحى له جثة هامدة
إلى الغور !! أما ثلوج الذرى ... فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك(*)(١)

أيا «بعل» هذا قادم لك مقدم ... وفىّ لمن يزرى به الدهر مكرم
دعوتَ وحوليك الاسنة شرّع ... فلباك لا تثنيه نارٌ ولا دم
أتاك من الوادى الذى فى ضفافه ... تسامى «لآمونَ» البناء المدعّم
وأقوى كما أقوت ذراك على المدى ... وأقصر عنه العابدون وأحجموا

(*) القمة الباردة : جزء ثالث . (*) على أطلال بعلبك : جزء رابع .

(١) «بعل بكى» معناها سيد الوادى كما يرجح بعض المؤرخين .

يحـيـيك عن «آمـون» فى مـسـتـقـره   وأنت المحـيـىّ باسـمـه والمسلم
فـمـا بعل إلا اسم لآمـون تلتـقى   له صـور شـتى ولفظ مـقـسّم

* * *

ويـا دار بـعـل وهـى لا بـعـل عـنـدها   وياحـصن بعل وهى لا شىء تعـصم
ويا جـارة الماضين والدهر جـائر   ويا مـشـرق الآمـال والليل مظلم
عـزاءً إذا أدبرت والعـيش مـقـبل   وروضك مطلول[1] الأزاهيـر يبـسم
ولـم يدفع الأربابُ عنـك ولا الآلى   أنابوا إليـهم بالدعـاء ويمـموا
ومـا حـيلة الأرباب فـيك وإنهـا   لتُبنى كـمـا تبنى الصروح وتهدم؟!

* * *

«جبيتير»[2] جبار الصواعق ساهر   عليك وسلطان العُقـار مـخـيّم
ولـلزهرة الغـراء عندك قـبلة   يطل عليـهـا مـسـجـد مـتـجـهم
وفـيك مُـصلّى للمـسيح ومطهـر   وفـيـك منار للنبى ومـعلم
شـفـاعـات أرباب لديك كـثـيـرة   وركنك مـصـدوع العـمـاد مـحطم!
فـمن ذا يرجى العفو أو يأمن الحمى   إذا مـا طغى صرف من الدهر مبـرم ؟

* * *

عـزاء إلى اليـوم الذى فـيـه يسـتـوى   أخـيـرٌ على حكم الردى ومـقـدّم
وصبرًا إذا ما شئت صبرًا على البلى   وإن لا تشـائى فـالقـضـاء مـحـتم
سـتـحـفظك الذكـرى مليًّـا وتنطوى   فـلا ذاكـرٌ يومًـا ولا مُـتـرسِم

(١) حول الهيكل المتهدم روض يتجدد كل عام بأعذب الفاكهة هناك وأنضر الأزهار .
(٢) أو «زوس» إله الآلهة ورب الصواعق وباكوس رب الخمر ولكل منها معبد فى الهيكل .

إلى غندى يوم إفطاره (*)

غندى لك النصر المبين على المدى ... ولشانئيك الخسر والخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه ... وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة ... أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ... بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم ... بقر السَّوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكسُ أمورهم ... بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشع لنقص القوم عند كما لهم ... فكذاك تغفر ذنبها الأوطان[1]

الظن[3] (*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا ... وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ ... فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق (*)

زاملنى فى السجن ذاك القلم[2] ... وناله ما نالنى من قسَم
ومس من فكرى وأسراره ... ما رامه الناس وما لم يُرَم
فربَّ معنىً ما وعاه سوى ... ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتَضى ... فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفخة كالصَّبا ، ... وكم له من لفحة كالضّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(١) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة .
أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(٢) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم له من زهر مُجتنى ... وكم له من ثمر مُلتهم
سجّل ما سجّل من رحمة ... أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورب مسكين قضى حقه ... وغاشم أحصى عليه اللّمم
أعززته عن حلية تُقتنى ... وصنته عن غاليات القيَمْ
ولى أخٌ يذكرنى بالنعمْ ... فقلت أجزى بعض تلك النعم
فلم أجد أنفس منه لمن ... محّضنى قلبًا نفيس الشّيمْ
قد صان ما أكتب فى صدره ... فغير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما ... أوحى ، ويرعاه كرعى الذمم

* * *

رعاه فى أمن إلى أن قضى ... عليه بالفقد قضاء حتَم
فغاله منه لصوص لهم ... من كل عين فرصة تُغتنم
فى يوم حشر حافل المزدحمْ ... ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لمحة فى الضحى ... فبات فى ليلته لم ينم

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم ... وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى ... فى كف خوان ولا مُتّهم
ولا تخط الجهل فى صفحة ... «أبيضُ» ما فيها سواد الحمم
ولاتكن يا قلمى آلة ... تشتمنى باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لى من هنا ، ... ومن هنا تنحى على من نظم
بدأت فى الأوج فلا تنحدر ... إلى حضيض الذل فى المختتم

* * *

بين التعب والراحة (*)

قال المعرى :

تعب كلهــا الحـيــاة فــمــا أعــ ــــجب إلا مــن راغــب فــى ازديــاد

ويقول صاحب الديوان :

راحــة كلهــا الحـيــاة فــمــا أعــ ــــجب إلا مــن راغــب فــى ازديــاد

مــا ابتــغــاء المزيد من يوم أمنٍ عـــاطل لا يزاد بالتـــعـــداد

فـــالزمـــان المريح تكرار شىءٍ واحـــدٍ واطّراد حـــال مـــعـــاد

* * *

هذا هو التاريخ (*)

من جــانب القــبــر لســان بدا يكذب مــا شــاء ولا يســتــحى

هـذا هو الـتـــاريخ لـو أنـنـى صــورته يومًـا على المســرح

* * *

رأى الناس (*)

من عــوّد الناس خــيــرًا طالبــوه به كـــأنه الدَّين يُلوى بالمعـــاذير

ومن تعــقّــبــهم شــرًا فــأمــهلهم يومــا تقــبّل منهم أجــر مــشكور

لا أرى للناس فى نفع ولا ضــــرر ومــا لهم قط من حكم وتقــدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .

(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .

(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان (*)

إن قـــبل بالحق أو البـــهــتـــان
دعـــهم يقــولون ،وقل ســيــان ،
ســيــان مــهــمــا افــتــرق الضــدان
ســيــان مــهــمــا اختلف الخـصــمــان
ســـيـــان ألـفٌ هى أو ألـفـــان
ســـيـــان بيـــدٌ هى أو مـــغـــان
ســـيـــان نـور أو ظـلام فـــان
ســيــان من يلهـــو ومن يعـــانى
قـلـهـــا ببــــرهـان ولا بـرهـان
وأنــت أنـت أحـكـم الـزمـــــان
وإن تـصــــدوا لـك بـالـنـكـران
أو ضـحكوا سـخـرًا فـقل سـيــان !

خداع النفس (*)

يقـــول ومـــا قـــضـى عـــجـــبًـــا
فـــتـى يخـــبـط فى حـــدســـهْ

أيخــــدع نـفــــســــه رجـل
لـه عــــيـنـان فى رأســــه؟

أجـل يا صـــــاح : عـــيـنـان!
وزد مـــا شـــئـت من حـــســـه

وهـل أخــــدع لـلإنـســـــا
ن بين الناس من نفـــســـه

خــــداع النفس مـــعــــهــــود
وقـــــاك الله مـن دســـــه

(*) سيان : أعاصير مغرب .
(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

الأستاذ طاهر (*)

أخى السيد طاهر :

قل لى بحـــقك كم بلغت سنينا خـمـسين ؟ أو سـتين ؟ أو سـبـعـينا

إنى أراك كـــمــا عـــهـــدتك بادئًا شـــوط الشـبــاب تناهز العـــشـــرينا

قــد كنت بين الناشــئين مــحنَّكا حـسن الأناة ، مع الخطوب ، رصينا

واليـوم تقــتـحم الكهـولة سـابقـاً خطو الشـبـيـبـة لا تطيق سكونا

آناً فــتـىً بين الشـــيـــوخ وآنةً شـيـخـاً مع الفـتـيـان مـسـتـبـقـينا

خــذ هذه أرقــامنا من واحــد : ضعْ بعــدها الشـفــر العــزيز يمينا

عــشــرًا إلى عــشـرين أو خــمـســ ين أو ستين صـاعـدةً إلى التـسـعـينا

إن قلت عــشـرا صـدقـوك وإن تقل تسـعين قلنا عــشــتـهــا عــربونا

* * *

أفــتى طناح لا برحت مـــهنئًـــا ومـــهنَّأ بالصـــالحـــات قـــمـــينا

إن السنين - وقــد صـدقتَ - لعلهـا مـــرت بمدرجـــة الزمـــان قـــرونا

وإذا حـــســبت صـــفـــاءها فلعلهـــا ساعـات حلم مـا اغـتـمـضن جـفـونا

حـسبى وقـد فـرغت يدى من زادها أنِّى أبَيتُ لهـــا الفـــراغَ قـــرينا

ورضـــاى عنهـــا أنهـــا لم تُرض فى عـــهـــد ظلومًـــا أو تســـر خـــؤونا

ومناى منهـــا أن أعـــيش ولا أرى أبدًا بأوهام الـمُنى مـــفـــتـــونا

ومـــداى فـــيـــهـــا أن أودِّعـــهـــا ومـــا ودعـــتـــهـــا أسِــفـــا ولا مـــحـــزونا

مـــا دام فـــيـــهـــا حـــامـــدون كطاهر فـــالله أحـــمـــدُ . لست بعــدُ غـبـينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطناحى جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين .

الفن الحى (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلَّ معنى ، وجسّم — من معانى النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما — تجتليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً — ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلَّ من يفضل الحياتين جهلا — واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى — وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما — لقيتك جمٌّ الخوف جمٌّ التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة — بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة — ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى — ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما — مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلّ يا دهر لغيرى مزجها — إن أحلاك لمرٌّ فى فمى

(*) الفن الحى أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب(*)

صـاحـبى مَن سـروره وسـرورى في صـفـاء الزمـان يلتـقـيـان

وصـديقى من اسـتـجـد سـرورا من سـرورى ، وإن تناءى مكانى

وحـبـيـبى من قلبـه كـيـفـمـا كـا ن ، وقلبى فى الشـجـو يسـتـويان

فـالذى يرتضى العـذابَ لأرضَى كيف أدعوه ؟ وما اسمه فى البيان؟

ذاك فـوق الحـبيب إن كـان فـوق الحـ ـب شـىءٌ يُرجى من الإنسـان

ذاك فـيـه من صـبـغـة الله سـرٌّ جلّ عن صـبـغـة الوجـود الفـانى

الـنـور(*)

طهـرت بماء سـمـائهـا أمم وبه تطهّـر روحـهـا الـهـنـد

والروح أولى بالطهـور لهـا نور يخـف بهـا ويمتـد

فـيض يشف فـمـا به كـدر ومـدى يفـيض فـمـا له حـد

بكاء السليب(*)

وقـالوا خـؤون قلت مـهـلاً فـإنما بكائى عليـه وافـيـا لعـجـيـب

لقـد سلبـتنيـه الخـيـانة راغـمًـا وإن جـديرًا أن ينـوح سـليـب

وإنى لأبكـى مَن كـان قـبـلهـا يفى لى على زعم الهـوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .

(*) النور : الجزء الرابع .

(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)
معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التى تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها ؟ أو هى دميمة والقدرة الإلهية هى التى تحببها إليها وترغبنا فيها ؟
الجواب فى القصيدة التالية أنه لا قدرة - دون قدرة المعجزات والخوارق - تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سها ... عنها ربٌّ لا يقبلها
بل قالوا : يحجبها عنا ، ... أو ينهاها ، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيّنها ... ونرى الشيطان يدلّلها
يا قومُ ألا عينٌ نظرت ... هذى الشوهاء تُمثلها ؟
ما يقدر إلا ربٌّ الكو ... ون يحبّبها ويجمّلها
لولاه قتلنا أنفسنا ... أو لم نعذل من يقتلها
أفهذى دنيا نعشقها ... لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذى قدرته ... فليعرفها من يجهلها !

المذكّر المنسى(*)

لم يبق من دنياك يَعنينى ... إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه - إذا ما مرّ - ينسينى ... لا بل يذكّرنى إلى حين

أنّى - كما قيل - ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحى الأربعين .

خبر الربيع (*)

يأيهـا الورق الخـضـرُ فى شـجـر ... عـهـدى ومـا فـيـه من ذى خـضـرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى ... عـيـدانك العـوق ذاك العطر والزَّهر
إنا سـألنا ، لو عـاد السـؤال إلى ... فحوى الضـمـائر لم نعرفه يا شـجر
سلنا بحـقك من أين اسـتـجـدَّ لنا ... هذا السـرور الذى فى القلب ينتـشـر
كـلاهمـا طارقٌ طاف الربيع به ... على براق من الأنوار ينحـدر
سلهُ فـإن لم يُجب فـأنعم بمقـدمـه ... وافـرح به ، وانتظره حين يُنتظر
إذا أجـاب بأزهار مـفـتَّـحـة ... وبالسـرور ، فـحـسـبى ذلك الخـبـر

الطريق فى الصباح (*)

بـدأت دولـة الـطـريـق ... وانتـهـت دولة البـيـوت
ضـاق بالكـوكب المفـيقْ ... عـالـم الـليـل والسـكـوت

* * *

حـيـث يمت مـسـرعُ ... يتلقـاه مـسـروعـون
مـا لهم ؟ أين أزمـعـوا ؟ ... ويحـهـم ! م يـهـربون ؟

* * *

كلمـا غـاب مـجـفـل ... طلع اثـنـان فـى هـجـوم
ذاك ركـبٌ مـضـلـل ... حـائر حـيـثـمـا يحـوم

* * *

حـائر حـيـرة الأولى ... سُـحـروا ثـم أطلقـوا
وضح الصـبـح والجلـى ... فـهـو بالسـحـر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : هدية الكروان .

(*) الطريق فى الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فـردَ سـاحـر | فـيك يا صـبح بل ألـوف
كم أسـيـر وآسـرٍ | والـرّقـى بَـيـنـهـم صنـوف[1]

* * *

ذلـك الـطـفـل مـا عـنـاه ؟ | جـدول الضـرب فى كـتـاب
ذلـك الـشـيـخ مـا منـاه ؟ | لقـمـة كلهـا عـذاب

* * *

والـفـتـى . أيـن قـبـلـةٌ | نـحـوهـا يـرسـل الـعـنـان ؟
غـايـة الأمـر قُـبـلـة | بـعـدهـا يـمسـح الـدهـان !

* * *

خـذهُـم أيـهـا الـطـريـقْ | فى غـداة من الـصـبـاح
لا تـضـلـنّ بـالـرفـيـق | إِن دنـت سـاعـة الـرواح

* * *

إن دنـت سـاعـة الـسـبـات | ويـك ! لا تـخـطـئ الـوكـور
كـم وكـور مـنـاظـرات | للبـيـوت اسـمـهـا الـقـبـور !

* * *

ماذا استفدت ؟[*]

بـرئـت مـن غـش نـفـسـى | ولا أقـول انـتـبـهـت
قـد كـنـت سـاهـرَ عـينٍ | مـسـتـيـقظًا مـا غـفـوتُ

* * *

بـرئـت مـن غـش نـفـسـى | ولـيـتـى مـا بـرئـت
مـا الـعـمـر مـحـض نـهـار ! | فى الـعـمـر للـغـمـض وقـت

* * *

هـا أنـت يـا عـين يـقـظـى | وهـا أنـا قـد نـظـرت
مـاذا اسـتـفـدت لـعـمـرى | ومـا عـسـانى اسـتـفـدت ؟!

* * *

(١) جمع رقية وهى طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .

(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)[1]

قلت للمـــــريخ أعـــــذله | وهو يذكى جـمـــرةَ الغـضب
ويك !مـــا هذا الخـراب ؟ ومـــا | ذلك الإغــــراق فى العطب ؟
أمٌ تـــسـطــو عــلــى أمم | ولــظـــى ثـــوارة الــلـهـب
ودمـــاء كـــالبـحـــار على | عـــيْلم[2] لـلدمع منكسب
وقـــبـور كظَّهـــا تَخَـــمــا | جـثث الهلكى من السَّــغب[3]

* * *

قـــال : مــهْ يا صـــاح أين ترى | كلٌّ مـــا استــهــولتَ واعــجـبى
أرضكم مـــا زلت أبصـــرها | نائيـــا حـــينًا وعن كـــثب[4]
هَيِّنٌ مـــا قـــد تبـدّل من | ســمـــتـهـــا فى هذه الحـقب

* * *

لا ضيف فى الخان(*)

إيه يا دنيـا ! لو اسطعت سـمـاعى | قــد نزلنا منك فى غـيـر اتسـاع
أكـرمـينا حـيـثـمـا تدعـيننا ! | أودعـــينا من لقـــاء ووداع
قـالت الدنيـا : لمْ أكـرمكم ؟ | كلنا فى الحق مـــدعـــوٌّ وداع
حـبـذا الخـان ! فـلا ضـيف هنا | إنما يُجـزى مـتـاعـا بمتـاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيــمـــا ولا تلومنَّ إلا | همـةً كلفـتك همّـا جـسـيـمـا
كـل راج يُلـقـى عـليـك مـنـاه ، | فـإذا خـاب كنتَ أنت الملومـا
تنصف الأمـة الضعـيفَ ولا تنصـ | ـف يومـا عظيـمـهـا المظلومـا

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (٢) بحر .
(٣) الجوع . (٤) عن قرب .
(*) لا ضيف فى الخان : وحى الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحى الأربعين .

النعيم والشقاء(*)

ما العيش ؟ قل لى فأنت مختبرٌ ... همـوم هذى الدنيـا ونعـمـاها

* * *

العيش بأساءُ ليس يحهلها ... من ذاقهـا أو أصاب عـدواها
ونعمةٌ لا يزال يُحرمَها ... من نال منهـا أو من تعداها
نشتاقها إن نأت ، ونبخسها ... إن أقبلت ، جاهلين معناها
كأنها درة مسوّمة ... فى بعض سكر الحياة نُعطلها
يمنحها حاسدٌ لآخذها ... آب عليه سرور لقياها
حتى إذا ردها وأحرزها ... ادراه ما قدرها لينعاها
هذا سرور الدنيا ولذتها ... دع عنك ما شرها وبلواها
فاحسبه من خيرها ونعمتها ... إن شئت أو من صميم وبؤساها

* * *

الصنم الهاوى(*)

خبرونى عن الصنم ... أين ألقت به الحطَم
خبرونى بمصرع ... للهوى فيه والشيم
كيف باع العباد والخلْ ... د والحب والعظَم
والسماوات كلها ... بضئيل من القِسَم

* * *

خبرونى عن الصنم ... ذلك الأروغ الأشم
ذلك الشاهق الذى ... قصرت دونه الهمم
ذلك العابس الذى ... فى حمى الصمت ما ابتسم
كيف قِيدت لرائم ... عزةٌ منه لم تَرم
كيف زلت عروشه ... من أعاليه فى القمم
كيف أمسى ورأسه ... فى الثرى موضع القدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .

(*) الصنم الهاوى : الجزء الرابع .

مـا دهاه فـمـا اتقى
مـن حـذار ، ولا وجـم

فـتـهـاوى بلا ونىً
وتـرامـى بـلا شـمـم

وتـخـطـى عـن الـذرى
عـلـمًـا دونـه عـلـم

واسـتـوى غـيـر نادم
فى حـضـيض من الرجم

خـبـرونى وأجـمـلوا
رب عـذر لمتّـهـم

حكمـة تلك فى الحكم
أم قـضـاء من القـدم ؟

أم إلـه أصـابـه
حـسـدٌ منه فـانتـقم

نقـمـة تلك مـا خـلا
مـثلهـا قط فى الأمم

ضـربـة تلك من إلا
ه فـمـا عنه مـعـتـصَم

هى سـوى حكمـه يضـ
ـل صـوابًـا إذا حكم

***

خـبـرونى واسـمـعـوا
أنـا والـلّـه فـى صـمـم

أنا فى غـمـرة الأسى
ظلمـة فـوقـهـا ظلم

حـيـرة تـشـده الـعـقـو
ل بمـسٍّ مـن الـلـمـم

إن ويـلـى بـسـرهـا
فـوق ويلـى علـى الـصـنـم

***

حـدثـونى عـن الـصـنـم
بـدأ الـويـل أم خـتـم[1] ؟

زعِـم الـقـلـب أنـهـا
لـوعـة بـعـدهـا سـأم

بلى الـقـيـد فـانفـصـم
وهـوى ذلـك الحـرم

لا قـرابين تُـهـتَـدى
فـى المحـاريـب ، أو ذمم

لا صـلاة ولا صـيـا
م ولا فـتـنـة عـمـم

فليـجـد مـنـه راحـة
عـابـدٌ طالما التـزم

وليـشُـبْ منه راضـيًـا
خـادم طالما خـدم

جـهـل الـقـلـب نـفـسـه
كـذب الـقـلـب مـا زعـم

ليـتـه عـاد فـى الـقـمـم
ظالمًا كـيـف مـا ظلـم

غـانمًـا كـلّ مـا ارتـضـى
مـن ضـحـايا ومـن نـعـم

(١) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره ؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين ؟

آخـــــذاً مـن دمــــــائـنـا ولنـا بعــــدُ مـــا اغـــتـنم
إنمـــا الحـــب مـــنـــعــم وهـــب الحـب أو حـــــرم
لـيـــتـــه لم يكـن هوى لـيـــتـــه عـــاد فى القـــمم
لـيـــتـــه فى الحــضـيـض لم يُـشـف مـن ذلـك الـنـهـم[1]

* * *

ألمى مـــا ابتــغـيت من ناضب النفس مـــصطلَم[2]
دائـبـًــا فى المزيـد لم تـســـــهُ عنه ولم تنم
حـــسـبك اليـأس والضنى وجـــوى الليل يا ألم
فـــــرغ المأتم والذى بتَّ تحـــيى لـه الضـرم
فـــدع النار ينطفئ من لظى النار مـا احتدم
أيـعـــود الإلـه ألـــقى به الذلَّ فى العدم
ويك هيـهـات لامـعـا د ، فطوبى لمن وهم
بدأ الليل وانتـــهى وصـحـا حالمٌ حلم

* * *

ولماذا القرد؟[*]

أرى السخف فى الإنسان طبعًا مؤصّلا شـــواهده فى كل بادرة تبـــدو
ولو لم يكن فى طبعـه ومـزاجـه طويةُ سـخف لا يلازمـهـا حـد
لما خص من كل الخلائق سخره بأشـبـهـهم طرًا به ، وهو القـرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب فى العبادة .
(٢) اصطلمه : قطعه .
(*) ولماذا القرد : بعد الأعاصير .

نعمة من نقمة(*)

جـــلا مـــعـــرضُ الحب أصنافـــه ... نماذج من كل صنف عـــجـــاب
فــــحـبٌ يُلاصق هذا الثـــرى ... وحبٌ يحلّق فـــوق الســحـــاب
وحبٌ يعـــيش مـــدى ســاعـــة ... وحـب مـن الخـلـد رحـب الجنـاب

* * *

وفـــوّضت أمـــرى على غـــرّة ... لكوبيـــد يخـتـــار لى مـــا يرى
فــعلّقنى منه ذاك الخـــبـــيـ ... ـث بحب تعـــمّق تحت الثـــرى
وقـــال : إليك قـــرينَ الربيـ ... ـع فى القـــاع يُزهر مـــا أزهرا

* * *

عـــجـبتُ أنا الصـــاعـد المرتقى ... وســـاءلت ربّىَ فى قـــســـمـتى
فـــقـــال انتظر ريثـــمـــا ينقـضى ... هواك ، أنبـــئْك عن حكمـــتى
فلمـــا تقـــضّى وزال الخـــفـــاء ... ســـألت القـضـــاء ، فلم يصـــمت

* * *

لقـــد كنتَ تجـــهل هذا الثـــرى ... وكنتَ تطيـــر ولا فـــضل لك
فـــهـــا قـــد عـــرفت وها قـــد علو ... ت بوقـــر الرغـــام الذى أثقلك
أترضى ؟ فـــقلت نعم قـــد رضيـ ... ـت . لك الحـمـــد ربّىَ مـــا أعــدلك

* * *

لك الحـــمـــد ربّى إنى افـــتـــتـحـ ... ـت سـمـائى بالحب شبـرًا فـشـبـرا
وشـتـــان فـــاتحـهـــا مـغـمـضًـــا ... وفـــاتحـهـــا مـبـصـــر العين حـــرا
ملكت الوهاد ، ملكت النجـــا ... د ، كـمـــا تُملكان . فـحـمـدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ماتقدم

«فيما يلى مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه مايطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . .» .

الجزء الأول

. . . . *** . . . .

«أحسن فيكتور هوجو فى كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه - لا سيما المضاربون وفقهاء القانون - بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفّت عن الشروق . وأنك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليو م ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم فى الفضاء . وأن قلال الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقُّ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثانى

* * *

« . . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أ مثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتياسًا على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرُّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريفٍ محدود ، فالشاعر لا ينبغى أَن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهوَ «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكلب ما دخل فى هذا الباب – باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق – فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنِّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون . .

هدية الكروان

* * *

. . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

. . . .
من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوربية ليو باردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«انظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وأننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

. . . .

نحن فى زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شىء ، ونعيد تقويم كل شىء وننقد ونعيد النظر فى مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذى تجرى به المعاملات بين الناس فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذى يتواضع الناس عليه فى فهم المعانى والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

وروجعت ، أو ينبغى أن تُراجع ، قيمة النقد الذى يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته فى عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه فى تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقَد به النقد فى كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى فى نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن تنفذ إلى قيمة المعدن فى صميمه . فالنقد الذى فى الصميم هو القيمة التى تدل على المنقود وتعطيه حقه فى الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هى البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التى يجهلها صاحبها فى كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شىء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم فى الدين أو شيعتهم فى السياسة .

ولكنّ الجديد فى هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة فى دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها فى تقريظهم ونقدهم ، وفى ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج فى القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج فى خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير ، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفى عصرنا هذا ينبغى أن نلتفت إلى شوائب النقد التى عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التى لم يعرفوها قط أو عرفوها فى حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون فى الأدب العربى صنوفا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة ، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه فى التشيع وتارة لأنه على هواه فى مؤازرة الدولة القائمة من بنى أمية أو من بنى العباس ، ولوحظ - مثلا - إهمال كتاب الأغانى للشاعر «ابن الرومى» .

أما الجديد الذى لم يعهده الأقدمون كما عهدناه فى عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأى أساسى فى مذهبهم يقضى باستخدام «النقد الأدبى» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين فى حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التى لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبى» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التى لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعا من «غير الأدباء» . . . وهم جميعا لا ينتجون أدبًا ولا يقرأون أدبًا لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التى تعنيهم باسم النقد الأدبى وما هو من النقد الأدبى فى شىء . إنْ هو إلا العداوة التى تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين فى الدعوة إلى الجديد . فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد فى الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

من مؤلفات عملاق الأدب العربي الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ ـ الله
٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء
٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ ـ عبقرية محمد ﷺ
٥ ـ عبقرية عمر
٦ ـ عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ ـ عبقرية خالد
٨ ـ حياة المسيح
٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ ـ عمرو بن العاص
١١ ـ معاوية بن أبى سفيان
١٢ ـ داعى السماء بلال بن رباح
١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ ـ هذه الشجرة
١٦ ـ إبليس
١٧ ـ جحا الضاحك المضحك
١٨ ـ أبو نواس
١٩ ـ الإنسان فى القرآن
٢٠ ـ المرأة فى القرآن
٢١ ـ عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ ـ رجعة أبى العلاء
٢٦ ـ رجال عرفتهم
٢٧ ـ سارة
٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية
٢٩ ـ الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ ـ مايقال عن الإسلام
٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية
٣٣ ـ الفلسفة القرآنية
٣٤ ـ الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوروبية
٣٦ ـ الثقافة العربية
٣٧ ـ اللغة الشاعرة
٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ ـ أشتات مجتمعات
٤٠ ـ حياة قلم
٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور
٤٢ ـ مذهب ذوى العاهات
٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية
٤٥ ـ الصهيونية العالمية
٤٦ ـ أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات جزء أول
٥٤ يوميات جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – إهانات مجتمعات فى اللغة والأدب
٥٨ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٩ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٦٠ – أراء فى الأدب والفنون
٦١ – بحوث فى اللغة والأدب
٦٢ – خواطر فى الفن والقصة
٦٣ – دين وفن وفلسفة
٦٤ – فنون وشجون
٦٥ – قيم ومعايير
٦٦ – ديوان فى الأدب والناقد
٦٧ – عبد القلم
٦٨ – ردود وحدود

فــــهرس



طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر



من شعر عملاق الأدب العربى
عباس محمود العقاد

١ - ديوان يقظة الصباح
٢ - ديوان وهج الظهيرة
٣ - ديوان أشباح الأصيل
٤ - ديوان وحى الأربعين
٥ - ديوان هدية الكروان
٦ - ديوان عابر سبيل
٧ - ديوان أعاصير مغرب
٨ - ديوان بعد الأعاصير
٩ - ديوان عرائس وشياطين
١٠ - ديوان أشجان الليل
١١ - ديوان من دواوين

